١٥٠

جامعة الازهـــــــر
كلية الدراسات الاسلاميةوالعربية للبنين
بدسوق

محاضرات فى الفلسفة الحديثة

د / ثروت حسين سالم
مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية

٢٠٠٤- ٢٠٠٥

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ٠

وبعـــد ٠٠٠٠٠٠

فهذه محاضرات فى الفلسفة الحديثة استكمالا لطورهـا السـابق عبـر العصـور المختلفة أردت بها استجلاء الفهم حول بعض الأفكار الفلسفية تبصـيرا للطالـب باصالة هذه الأفكار أو تقليدها لغيرها ،كى نبرز فيه ملكة التنقيب والتمحيص وذلك ما نبغيه من طالب العلم كى يعلو ويسمو ٠واذا كان الفكر الانسانى حلقة متكاملـة يبنى فيه اللاحق ما أسسه سلفه له او يهدم ويدعى الابتكار ٠٠٠٠٠٠٠٠الخ فان هذا يدفعنا إلى البحث عن ابرز أعلام الفلسفة الحديثة وما نادوا بـه مـن أفكـار فلسفية كان لها صداها الواسع على المجتمعات التى نشأ فيها هـولاء او تعـدى أثرها لغيرها من المجتمعات الأخرى٠ وقد وقع الاختيار على جملة من الفلاسـفة المحدثين والذين دار بحثهم بين التجريب والشك والالية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠الخ منهم فرنسيس بيكون رائد المنهج التجريبى كمـا يطلقـون عليـه ورينيـه ديكـارت والمعروف بابى الفلسفة الحديثة ،وتوماس هوبز من رواد الاليه المادية ووجـون لوك وأفكاره المادية أيضا ،وديفيد هيوم حيث يطالعنا برايه وفلسفته المشـهورة فى السببية ومن هولاء الى تشارلز دارون وفلسفته التطورية ٠ واحسب اننا لـم نأت بجديد وانما هى اشارات الى فلسفة هولاء الفلاسفة وابرز ارائهـم معتمـدين على ماسطره الاساتذه الاجلاء حول هذا الفن ٠وقد وقفت على كل فيلسوف مـن حيث نشأته وعصره واثرهما على فكر الرجل ثم مراحل تدرجه العلمى فالانسـان لاينفك عن بيئته ،مثنين هذا الامر بفلسفته مالها وماعليها وفى هذا العـرض لـم أغفل الاثر الوضاء للاسلام متمثلا فى رجاله الذين اثروا الحياة العقلية ابان ظـلام اوربا واستبداد كهنتها ٠

والله اسأل التوفيق لابنائنا الطلاب فى شتى مجالات حياتهم وان يجعلهـم ذخـرا للإسلام

مدخل إلى الفلسفة

يقتضينا المقام قبل ان نتكلم عن الفلسفة الحديثة وما يتعلق بها من موضوعات فلسفية أن نقف على تعريف الفلسفة فنقول:-

*** لقد حاول الكثير من الباحثين تعريف هذا المصطلح فتعـــددت أقوالهم ومقاصدهم حول هذا الفن وذلكم نظرا :-**

* لاختلاف تأثير التيارات الحضارية والدينية على مسيرة الفلسفة طول تاريخهاالضارب في القدم الى مالا قبل الميلاد وقد أدى هذا التاثير المتباين الى تضارب في المفهوم الفلسفى متراوحا بين الثقة والتضييق والازدهار والانحدار[1]

*الطابع الشخصى لكل فيلسوف فتح له طريقا للإبداع من حريـــة وتقويم لآراء الغير وعدم التزام باتباع غيره مـــن المتقـــدمين او المعاصرين له٠

يقول أ٠د/زقزوق (ولعل الصعوبة في العثـــور علـــى تحديـــد او تعريف يتفق عليه بمفهوم الفلسفة يرجع الى ان مفهوم الفلسفة ذاته يعد موضوعا فلسفيا ومن هنا لانعجب اذا ذهبت وجهات النظـــر في شانه مذاهب شتى شان اى موضوع فلسفي ٠[2]

*ومن هنا فلاضير من اختلاف وجهات النظر ذلك كمـــا يقـــول د/دراز عمل انسانى يحكم فيه كل ما في طبيعة الإنسان من قيوده

---

[1] الفلسفة الاسلامية في المشرق د/ سعيد الهوارى ص ٦ وما بعدها ٠
[2] تمهيد للفلسفة أ٠د محمود حمدى زقزوق ص ٢٥ وما بعدها ط دار المعارف الرابعة ١٩٩٢ م ٠

وحدوده وتدلرج بطى في الوصول الى المجهول وقابليته والتحول وتقلب بين الهدى والضلال واقتراب وابتعاد عن درجة الكمال ٠)[٣]

*وهذا التعدد الفلسفى في الأفكار لأنها كما علمنا نتاج عقلى فمن الماء الى الهواء الى النار الى المبدأغير المتناهى الى التعدد في الوقوف على اصل للكون[٤] كان الاختلاف والتباين الفكرى ونلخص من هذا الى صعوبة الوقوف على تعريف جامع مانع للفلسفة ٠

*ناهيك عن تنوع مجالات الفلسفة وميادنيها واختلاف الفلاسفة تبعا لهذا التنوع الى جانب ذلك اختلاف المساحة الزمنية والمكانية والفكرية التى يظلها لفظ الفلسفة ٠ [٥]

واليك التعريف المعجمى للكلمة ثم اردافه بالتعريف المذهبى للكلمة ٠

المفهوم الفلسفى للكلمة عند اليونان ٠

الكلمة من حيث الاشتقاق ليست عربية الاصل وانما هى يونانية وتتكون من مقطعين فيلو سوفيا وتعنى محبة الحكمة والحكيم هو الذى يكرس حياته وبعض حياته في تحصيلها ٠ ولما ترجمت العلوم اليونانية إلى اللسان العربى استبقى المترجمون الأصل

---

[٣] الدين – د محمد عبد الله دراز ص ٧٣ ط مطبعة السعادة ١٩٦٩ م ٠

[٤] دروس في تاريخ الفلسفة د/ابراهيم مدكور – يوسف كرم ص ١٠

[٥] مدخل الى الفلسفة د/فوقية حسين ص ٥ وما بعدها ٠

اليونانى بعد ان أخضعوه للنطق العربى ومنه اخذ الفعل تفلسف ومشتقاته ٠

أول من اطلق عليه لفظ الفيلسوف :-

قيل ان اول واضع له فيثاغورث ٥٧٠ -٤٩٧ ق٠م حيث اثر عنه قوله لست حكيما فان الحكمة لاتضاف الى غير الالهة وما انا الا فيلسوف اى محب للحكمة ٠

*بينما يرى البعض صحة اطلاقه على ماكان بين سقراط والمغالطين السفسطائيين فالمغالط ينتقل من مكان الى مكان اخر يعلم الشباب في سبيل اجره يتقاضاه بينما الفيلسوف يطلب المعرفة لذاتها ليس هذا فحسب با ويبتغى العلم دون اموال ينتظرها من وراء ذلك ٠

*ويقال ان هيرودوت اول من استخدم الفعل يتفلسف بمعنى طلب تالعلم والتماس المعرفة لذاتها اذورد عنه قوله في حديث للمشرع سولون قوله سمعت ان رغبتم في المعرفة جعلتك حملتك على ان تطوف بكثير من البلاد متفلسفا اى طالب للمعرفة بدون غرض او منفعة والحكمة عملية ونظرية فالأولى غتيتها الخير في العيش وكيفية مواجهة الحياة باسلوب طيب يقتضى نوعا من العقل والرزانة والرشد في قيادة الحياة يجحنب صاحبه الوقوع في الخطأ ٠٠٠٠٠٠والنظرية غايتها معرفة الحق من خلال وجهة

نظر الفيلسوف وهى تقوم على على نوع من المعرفة الاساسية او العلم بالمبادئ الاول ٠[٦]

وهى عند سقراط البحث عن الحقائق بحثا نظريا وخاصـــة عــن المبادئ الخلقية من خير وعدل وفضيلة ٠

فالمفهوم اخلاقى فـــي وجـــه العـــابثين المغـــالطين (المعرفـــون بالسفسطائيين)[٧] ويأتي أفلاطون ليعرف الفلسفة بانها البحث عــن

---

[٦] الفلسفة الاسلامية في المشرق د/ سعيد الهوارى ص ٦ وما بعدها ٠

[٧] واجه سقراط السوفسطائيين و أقرعهم بالحجة ليبين فساد مذهبهم ومن ثم كان عليه أمورا أخرى تتمثل فى إنارة عقول المجتمع الاثينى وذلك بتصحيح الأفكار وتحويل دائرة الفكر من الإطار الطبيعى إلى دائرة الإنسان ٠ومن هنا كان سقراط أول من اهتم اهتماما ملحوظا بدراسة السلوك الإنساني فقد كانت الدراسات قبله منصبة على (البحث عن المبدأ الأول وعن تفسير ظواهر الكون الطبيعية) (*)ومن هنا كان عليه أن يؤسس إطارا أخلاقيا جديدا يهتم بالكيان الإنساني ومن ثم قيل فيه(بأنه الذى انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض)(**) وهذا الاهتمام من جانبه لم ينصب على الناحية النظرية لعلم الأخلاق بل تدرج الرجل الى إعلان الأخلاق كعلم يمكن أن يدرس ونظرية فلسفية يمكن أن تعلم)(*)

ولقد ملأ السوفسطائيون عقول الناس بالأفكار السامة و الفاسدة فاعلنوا (إن الطبيعية الإنسانية شهوة وهوى وقد وضع المشرعون القوانين

بغية قهر هذه الطبيعية فهى تتغير بتغير الظروف والعرف إنها إذا نسبية وغير واجبه الاحترام، وبل من حق الرجل القوى بالعصبية او بالمال او بالبأس او بالدهاء او بالجدل ان يستخف بها او ينسخها ...)(**)ولاشك ان لمثل هذه الآراء خطرها على السلوك الإنساني ،وجعله لاقيمة له فلا قيم ولامعان ثابتة يرجع إليها فإذا ما صار الأمر خاضعا للأهواء ولإحساس كل فرد بما يصلحه وبما يضره٠كل هذه الأمور تؤدى فى النهاية إلى انهيار المجتمع الإنساني وتكون طبقية فى المجتمع مابين طبقات قويه وأخرى ضعيفة فضلا عن نشوء الأنانية وعموم البلوى٠ فالمرء قد يجد نفسه ظالما ومظلوما فى ان واحد وكيف يكون مظلوما وهو الذى يضع لفسه الإطار الحقيقى لمسمى الظلم فهو المعدل والمقرر لمصالحه ٠

ومن هذا الجانب السلبى الى الجانب الإيجابي والذى قرر فيه سقراط رفضه لهذه الأمور مقررا ان الإنسان روح حس وعقل يسيطر على الحس ويدبره والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للقوانين الحقة (*)٠ومن هنا فلا يجوز للحكيم ان يخالف قوانين المدينة المكتوبة لان الثورة عليها انما تعنى تحطيم كيان المدينة وانهيار قيمها المتوراثة (*)

وتلك القوانين فى حقيقتها عبارة عن صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها الآلهة فى قلوب البشر فمن يحترمها فقد احترم العقل والنظام الإلهي والمخالف له عقاب فى الحياة المقبلة (*)٠ وهكذا يعلى سقراط شأن العقل الإنساني والذى انحدر الى مرتبة دنيئة على أيدي

حقائق الاشياء وعن الجمال والانسجام الذى يوجد في الاشياء الذى يوجد في الاشياء الذلاى ليس الا الخير) فالفلسفة تعنـــى الســـعى

السوفسطايئن ويصبغ قرراته بصبغة قدسية فقراراته من الآلـــة الـــذى يرسم عدله وحكمته فى قلوب البشر ٠فلا نسبية فى الأخلاق ناهيك عن كونها لاتخضع لأي أمور يفترضها بنو البشر ولاصحة لما زعمه كبير مذهب العندية برتاجروراس من الإنسان مقياس الأشياء جميعها وبـــذا تتعدد الحقائق بتعدد مدركيها٠٠٠)(*)

كما ان سقراط لم ينظر إلى الإنسان على انه كيان مادى يسعى لمصالحه فقط ولكنه بين انه ذا إحساس فهو صاحب الرحمـــة والود والعطف ٠٠٠٠٠الخ

وفى إطار حملته الأخلاقية وتأسيسها قرر أن الخير ينقسم الى قسمين : حقيقى وزائف فأما الأول فهو (الذى لايختلف فيه اثنان ولايحتاج الـــى غيره ليكمله وذلك مثل الحكمة والفضيلة ٠واما الخير الزائـــف فهـــو ماليس بثا بت ولايتفـــق عليـــه ولايقابـــل بالاســـتقلال وذلـــك كاللـــذة والثروة(*)٠ومن هنا فهى أمور عارضة فالرجل الشهوانى رجل جهل نفسه وخيره ومن هنا فقد برز قوله،، الفضيلة علـــم والرزيلـــة جهـــل (***-)،،فهى عبارة تفصح عما يكنه الرجل إزاء مجتمعه فارفع هـــذه الفضائل التى يسعى إليها الإنسان هى الحكمة وهى تتكون مـــن الســـر الأعلى ومن الفضائل الشخصية كالاعتدال والشجاعة والعدالـــة التـــى تعتبر فضائل صغيرة الى جانب الفضيلة الكبرى وهى الحكمة(*)

الدجائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة التى تستخدم العقل وسيلة لها وتجعل الوصول الى الحقيقة اسمى غايتها ٠ ثم خلفه ارسطو معرفا للفلسفة بتانها العلم بالمبادئ التى تفسر طبيعة الاشياء حتى يتدرج عند مواجهة الاشياء من على لاخرى حختى يصل الى العلة الاولى التى هى علة العلل ثم كان من امر العصر الهلينستى والذى يمتد من وفاة الاسكندر الاكبر من بداية القرن الاول الميلادى وكان من ابرز ممفكريه شيشرون الذى يخاطب الفلسفة بقوله ايتها الفلسفة انمت المدبرة كياننا انت صديق الفضيلة وعدو الرزيلة ماذا تكون حياتنا لولاك ٠٠٠وهكذا اصبحت الفلسفة تتدخل في تقييم سلوك الفرد ايجابيا وسلبا ولكن المفهوم اتسيع لشمل كل مكا لايودى الى سعادة الانستان وعبر عن هذا المدرستين الاغريقتين الرواقية والابيقورية والشكاك فذهب الرواقية ٠ **مدرسة الشكاك** :- واشهر زعمائها **بيرون** ٢٧٥ ق٠م ويعرف بصاحب مذهب اللادرية فكل شى عنده يحتمل الايجاب والسلب بقوة متعادلة وكل شى موجود ومعدوم فلا ان واحد ويبدو تنه كان يهدف من هذا التناقض السلبى الوصول للسعادة او لنيل اللذة [٨]٠

***الفلسفة الابيقورية** :-تنسب إلى **ابيقور** الذى عاش فا بين ٣٤١و ٢٧٠ ق٠م ولد بساموس وتاثر بوالديه الام الساحرة والاب المعلم فى احدى المدارس اليونانية وقد انتزعه الغرور

---

[٨] الفلسفة الاغريقية ج٢ ص ١٨٩

مدعيا انه علم نفسه بنفسه وقد عنى بنشر العلم فجعل فى حديقته منتدى للقاء جميع الطبقات فليس للتفلسف وقت او سن معينة [٩] والتى ذهبت الى القول بكثرة الموجودات وردها للصدفة دون رابط او قانون وتضع السعادة فى اللذة وتجعل قانون الأخلاق المنفعة الذاتية **واما الرواقيه** (نسبة الى الرواق الذى كانوا يلقون فيه دور سهم)كمدرسة تالية فقدج قالت بوحدة الوجود وبقانون ضرورى او عقل كلى منبث فى الوجود الأخلاق تبعا لحرية الإرادة وتعين لها قانونا هو الواجب (واجب المطابقة بين الارادة الكلية والارادة الفردية ٠٠٠٠٠٠٠ثم انحصرت ابحاثها فيما بعد فى شرح ابحاث المتقدمين وتدوين الملخصات ٠ وسادت تعاليمها بين شعوب أبناء البحر المتوسط فى مقدمة مراكز نشرها مدرسة الاسكندرية [١٠]

طابع العصر الهلينى الطور الأول :- من أخر القرن الرابع ق٠م الى منتصف القرن الأول ق٠م وتقع فيه الرواقية والابيقورية ومدرسة الشكاك وبداية مدرسة الانتخاب والتوفيق

وتقضى لا الالهة خارج العالم وتنكر دعاءهم فهى مدرسة مادية

[٩] الفلسفة اليونانية ص٢١٤ و الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٤ وحكمة الغرب ج١ ص٢٠٧

[١٠] الجمع بين راى الحكميين – الفارابى البير نصر ص ٤١

الطور الثانى :- ويمتد من منتصف القرن الاول ق٠م الى منتصف القرن الثالث بعد الميلاد وطابعه الانتخاب والتوفيق بمعنى الاخذ من الاراء الفلسفية القديمة والتوفيق بين بعضها بعضا أوبينها من جهة واراء أحرى دينية او تصوفية من جهة اخرى وفيه دخل التصوف الدينى الشرقى فى عناصر الاختيار مع الفلسفة الإغريقية وتقع فيه الرواقية المتأخرة والفلسفة الهلينية اليهودية وتلك الفلسفة التى اشتبكت فيه الآراء الإغريقية مع العقيدة اليهودية عن طريق التوفيق بين الطرفين بامالة احدهما بالشرح نحو الاخر او بتاليف يجمع فيه بينهما .

الطور الثالث :- ويمتد من منتصف القرن الثالث بعد الميلاد الى منتصف القرن السادس فى بيزنطة وروما والى منتصف القرن السابع بعد الميلاد فى الاسكندرية ويمثل سيطرة الافلاطونية الحديثة وقيام مدرسة الاسكندرية وتطورها ٠

الافلاطونية الحديثة مذهب قام على أسس افلاطونية[11] وقد تمثلت أصولها من العديد من الفلسفات غير ان (رجالها حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليونانية اى بالعقلية العلمية

[11] يعتبر امونيوس ساكاس ١٧٥- ٢٥٠ ابرز رجال هذه المدرسة وكان حمالا ولد من أبويين مسيحيين فلما تفلسف ارتد عن المسيحية ٠ لم يدون أرائه ويقال انه حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو ٠

التى تنظر الى الوجود كانه هندسة كبرى فتستبعد منه الممكن والحادث وتخضعه للضرورة وبذا يعرضون الديانات جميعا وعلى الرغم من إحيائها لتراث أفلاطون الا أنها عارضته فى تصويره للصانع فى تدخله فى شئون الكون تبعا لخيريته وتنظيمه للعالم وفقا للمثل ٠٠٠٠الخ وقد دارت فلسفتهم حول الفلسفة الاغريقية والتصوف الشرقى وطابعه يتمثل فى الانتخاب من تلك المدارس او منها ومن التصوف الشرقى كما يتمثل فى الشرح والتعليق على كتب القدامى وفيها نعثر على آراء مخالفة للديانات السماوية اليهودية والمسيحية لان أساس هذه الآراء هى تلك الآراء العناصر البدائية للعقيدة الشعبية التى من بينها الاعتقاد بتعدد مصادر التأثير فى الكون

وهذه المحاولة الفلسفية دارت فى ثلاثة محاور

الطور الأول :=- مات تنسب فيه الى مدرسة **أفلوطين**[١٢] وتلميذه فورفوريس ٠

---

[١٢]لقد مزج أفلوطين فى فلسفته فكر المدرسة الافلاطونية والارسطوطاليسـيه والرواقيه فاول الموجودات عنده لايوصف بانه عقل ولامعقول ولابانه جوهر ولاعرض ولابانه مريد ويوصف فقط بانه خير وهو عين ذاته وليس عرضـا قائما بذلته كما انه واحد من كل وجه فى الواقع والتصور فصدور العقا عنـه بالطبع وليس بالارادة لئلا تجب الكثرة فيه كما ان الصدور ليس فى زمان ولا مكان ٠١٢

الطور الثاني :- وتقع فيه محاولة المدرسة السريانية وهى مدرسة جامبليكوس •

الطور الثالث وهو ما تم فيه من صنيع مدرسة اثينا وهى مدرسة بلتارخوس ومن بعده برقلس •

•مدرسة الإسكندرية كانت خلفا للافلاطونية الحديثة فبعد ان كان منهج الاولى يقوم على الناحية الميتافيزيقية من الفلسفة الإغريقية اى فى اتجاه ربما يتنافر مع المسيحية أصبح اهتمام مدرسة الإسكندرية متجها الى بحث العلوم الرياضية والطبيعة من جهة اخرى مع كبت الناحية الميتافيزيقية ولهذا سادت الملائمة بين اتجاها واتجاه المسيحية فالانتخاب والانتقاء بين الآراء الاغريقية والشرقية طابع ساد الافلاطونية المحدثة بينما غلب الشرح للاراء الفلسفية هو المسيطر على رجال مدرسة الإسكندرية •

الطابع التوفيقى وإثره فى التابعين لهذه المدرسة

وبعد مدرسة الإسكندرية خلفتها مراكز للنشر فقد بقيت مستمرة بعد الفتح الاسلامى فى مدينة انطاكية على الحدود بين الامبراطرية العربية والبيزنطية وفى حران فى شمال العراق التابعة الآن لسوريا وانتقلت الى الاولى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان انتقالها الى الثانية فى خلافة المتوكل وكان من أهم الأهداف التوفيق بين الفلسفة والمسيحية

وقد كان للصابئة دورهم فى مدرسة حران ومن اعلام ثابت بن قرة وقد اثر وغيره فى الفكر الفلسفى حتى قبل انتقال مدرسة حات الى الاسكندرية ٠الى جانب الرها ونصيبين وكانتا فى المنطقة الناطقة بالسريانية والفارسية وقد اعتنق الانطاكيون المذهب اليعاقبة بينما اعتنق اهل الرها ونصيبين مذهب النساطرة ٠ ثم تحول الامر من هذه المدارس بان اصبحت بغداد هى قلعة هذا العلم وبعد ان كان تلاميذ الفلسفة من النصارى اصبحو من المسلمين (١٣) **وبعد** فقد لعب افلوطين وابرقلس دور كبيرا فى التأثير على الفلسفة الإسلامية لانهما كانا من اصحاب نظرية الفيض التى قال بها الأول وأكدها الثانى وانتشرت من خلال كتابه الخير المحض وكان له تاثيرا ضخما فيما يبدوعلى الفارابى وابن شينا ٠٠٠٠٠٠فقد عملت مدرسة الاسكندرية على التوفيق بين ارسطو وافلاطون خاصة فىمجال الالوهية وهو ما حدث لدى فلاسفة المسيحية والإسلام وقد شهد التوفيق مرحلته البالغة على يد فيلون واتباعه وكلمنت واوريبجين المسيحيين من ناحية اخرى وساعد على ذيوعها فى البيئة الاسلامية الترجمات الخاطئة التى قام بها المترجمون فى العصور الوسطى حيث نقلوا عدة نصوص لفلاسفة الاسكندرية ونسبوها

---

[١٣] الجانب الالهى ص ١٦٠ وما بعدها ٠

خطأالى اما الى افلاطون او الى ارسطو وخاصة الى ارسطو وبون هذه المؤلفات المنسوبة خطا الى أرسطو (كأثولوجيا أرسطو طاليس الذى كان من مولفات أفلوطين من بعض تاسوعاته والتى ترجمها عبد المسيح بن ناعمة ونسبها الى الاول وقد اعتمد الفارابى فى الجمع بين الحكميين ارسطو وافلاطون على هذه الترجمات الخاطئة وهذا يعد أمرا واضحا فى تأثير الفكر الاسكندرى على التراث الاسلامى الفلسفي ومن ثم لدى كل فلاسفة الدين فى العصور الوسطى ٠(١٤)

فلاسفة الاسلام والفلسفة

عرف الكندى الفلسفة بانها صناعة الصناعات وحكمة الحكيم وهى ايضا معرفة الانسان نفسه كوسيلة لمعرفة العالم الاكبر ومنه الى معرفة الخالق سبحانه وتعالى ٠

وهى عنده علم الأشياء بحقائقها ومنها علم الربوبيـــة وعلــم الوحدانية وعلوم الفضيلة وحقيقة الانبياء والمرسلين

وعرفها الفارابى بانها العلم بالموجودات بما هـــى موجـــودة والحكمة استكمال النفس الانسانية بتصور الامور والتصـــديق بالحقائق الانظرية والعملية على قدر الطاقة الانسانية وقسمها الى نظرية وعملية فالنظرية تتناول الامور التى نعلمها وليس

مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونانية د / مصطفى النشار ص ١٧٥ وما بعدها ط دار المعارف [١٤]

ان ان نعمل بها والعملية تتناول الامور العملية التـــى لنـــا ان نعلمها ونعمل بها وكل واحدة مكن هاتين الحكمتين تنحصــر في أقسام ثلاثة :-

المنزلية والخلقيةو المدنية :

•**فالمنزلية** تتناول ما ينبغى ان يكون عليه التشارك بين افراد النزل لتنظم به الممصلحلة المنزلية **والخلقيـــة** تهـدف الـــى معلرفة الفضائل وكيفية مزازلتها والزائل وكيفيـــة اتقائهـــا •. **والمدنية** تعرض لما ينبغى ان يكونت عليه التعاون بينم الناس على مصالح الابدان وبقاء النوع الانسانى •

يقول د/ احمد الاهوانى ان قسمة الفلسفة الى نظرية وعمليـــة ترجع الى ارسطو نقلها الكندى وزرعها في ارض العرب – فاثمرت واستمرت عند الفلاسفة الاسلاميين وجرى عليها ابن سينا •

واما العصر الحديث فقد تعددت فيه معانى الفلسفة

فعند ديكارت أشبه بشجرة جـــذورها الميتافيزيقيـــا وجـــذعها الفيزياء وغصونها المتفرغه منها هى العلوم الأخـــرى وقـــد رجعها الى ثلاثة الطب والمكانيكا والأخـــلاق وهـــى أعلـــى درجات الحكمة •

فلفظ الفلسفة معناه دراسة الحكمة وليس معناه قاصرا علـــى على الحيطة والتبصر في الأمور بل تفيد ايضا معرفة كاملـــة لجميع الاشياء التى يستطيع الانسان معرفتها اما لهداية حياته او للمحافظة على صحته او لاختراع جميع الفنون

ومنذ عهد ديكارت تحولت الفلسفة الى دراسةو القيم وما تعلق بها من حق وخير وجمال

ومن التعريفات المذهبية حديثا للفلسفة وجدنا من يذهب الى ان **الفلسفة** هى الاهتمام بدراسة كـــل مـــا هـــو موجـــود دون الاختصاص بدراسة هذا الجانب او ذلك من الجوانب الواقعية او المعرفية فهى عند هيجل لاتدرس فقط كل شئ بل تـــدرس كل ما يوجد في كل شئ ما يوجد في كل شـــئ اى الماهيـــة العامة لهذا الشئ

وقد رد بوخنيسكى على الوضعية بزعمة برتراندرسل ١٨٧٢ م بقوله انه ينبغى علـــى الفيلســـوف ان يســـتغل بالمعرفـــة وبالإنسان وباللغة جميعا •

واحدث التعريفات نقلها أ د/ زقزوق عن الاستاذ لاوت الذى يرى ان الفلسفة عمل عقلى حر يقصد منه المعرفـــة الكاملـــة لمبادئ كل الحقيقة الواقعة وينتهى الى الحصول علـــى هـــذه المعرفة وتحقيقها •فهى عنده علم المطلق وظهوره او تجليـــه

٠٠٠ وهكذا دار كل فيلسوف في اطار خاص معبـــرا عـــن مكنونات نفسه متاثرا بكل ما يدور حوله ٠[١٥]
وقيل ان الفلسفة هى علم او الاقل ينبيغى ان تكون علما ٠٠[١٦]
واليك بيان لاتجاهات العقل على رأســـه ديكـــارت ١٥٩٦ م والمعروف بابي الفلسفة الحديثة المذهب الميتافيزيقى ويمثله ليبنتز والتيار الروحى ويمثله بسكال والتجريبى ويمثله بيكون والطبيعى ويمثله لوك والنقدى ويمثله كانت والوضعى ويمثله كونت والوَجــدانى ويمثلـــه برجســـون والوجــودى ويمثلـــه سارتروالبرجماتى ويمثله بيرس وجميس وديوى والماركســـى ويمثله ماركس والظاهرانى ويمثله هوسرل والمثالية الجدليـــة ويمثله هيجل ٠

موضوع الفلسفة :-

بالنظر إلي ما سطره الفلاسفة تري أنهم قد بحثوا في كل شـــيء مـــن أعظم المسائل إلي أصغرها ،ومن نشأة العالم وتكوينـــه إلـــي الســـلوك الصحيح في الحياة اليومية (*)ولكن جل الباحثين ومؤرخى الفلسفة قـــد حددوا موضوعتها في ثلاث مباحث هـــي مجالاتهـــا . (الوجـــود – المعرفة – القيم)

---

[١٥] تمهيد للفلسفة ص ٣٩ وما بعدها ٠
[١٦] راجع تفصيل التعريفات مدخل الى الفلسفة د/حسن عبد الحميد صض٣٤ وما بعدها ٠
(*) راجع تمهيد للفلسفة د/زقزوق ص ٥١

أو لا : مبحث الوجود
(الأنطولوجيا)

يبحث في الوجود بصفة عامة دون النظرات الى التعيين او التحديد فتلك مهمة العلوم الجزئية فالعلوم الطبيعية تبحث في الوجود من حيث هوجسم متغير ، والرياضة تبحث في الوجود من حيث هوكم أو مقدار ... فالعلوم الجزئية تبحث فى ظواهر الوجود ويدخل فيه ما يلي :-

١- البحث في خصائص الوجود العامة لوضع نظرية في طبيعة العالم ٠

٢- النظر فى الأحداث الكونية من حيث قيامها علي أساس من الثبات أو الصدفة أو الاتفاق .

٣- البحث عن علل الأحداث من حيث رجوعها إلي نفسها أم لعلة خارجة عنها هذه العلة ٠

٤- **البحث في صفات الآله وعلاقته بمخلوقاته ٠**

٥- البحث في الوجود من حيث المادية والروحية [١]٠

خالف الوضعيون هذا الاتجاة وزعموا أن الفلسفة ذات قضايا فارغة لا تحمل معني وأنها منهج بغير موضوع فهى مجرد طريقة لتعليل الألفاظ تعليلا منطقيا[١]٠ ٠

ثانياً : - مبحث المعرفة

[١] نفسه ص٥١

[١] راجع اسس الفلسفة د/توفيق الطويل ص ٨٦

:- الابستمولوجيا

يرتبط هذا المبحث بسالفة ارتباطا مباشرا فيقوم علـــي خدمـــة مبحـــث الوجود إذ يراد به البحث في إمكان العلم بـــالوجود أو العجـــز عـــن معرفته ويدور حول ما يلي :-

١- مدي إمكانية إدراك المرء للحقائق ومدي صحة أو خطـــأ مـــا ذهب اليه .

٢- هل معارفه خاضعة للشك (حسي ،عقل - حـــدس) أم أنهـــا مسلم بصحة اختيارها ٠

٣- مدي ثقة المرء بمعارفه وهل يصل بها إلي درجـــة اليقـــين أم الاحتمال .

٤- طبيعة هذه المعارف (الحسية - العقلية - الحدسية)٠

هذا وقد أطلق المؤرخون علي مبحث الوجود والمعرفـــة مصـــطلح (مابعد الطبيعة أو الميتافيزيقيا) وقد كانت الفلسفة مدرجة عند القـــدماء مع مباحث الوجود لكن المحدثين رأو أنها في جملتها تبحث الوجود من خلال نظرية المعرفة .

ثالثاً : مبحث القيم

(الاكسيولوجيا)

لمبحث القيم اهمية بالغة في حياة البشرية إذ هو قوامها الذي لا تصلح إلابه وبدور مبحث المثل العليا أو القيم المطلقة حول - معـــان ثابتـــة ٠هى **الحق** ، **والخير** ، **والجمال** ، ويبحث فيها ذاتيا من حيث ذاتهـــا لا

من حيث اعتبارها وسائل إلي تحقيق غايات فهو يبحث فيها (من حيث ما ينبغي) أي أنها علوم معيارية وليست علوما وضعية تنصب دراستها علي البحث فيما هو كائن فعلي سبيل المثال ،علم الأخلاق، يضع المثل العليا التي ينبغي أن يسير عليها سلوك المرء أي انه يبحث فيها ينبغي أن تكون عليه تصرفات الإنسان [1] وتلك وجهة القدماء حول موضوع الفلسفة ،

وهناك من الحق بها علوم أخرى ضمنها فلسفات العلوم منها القانون ، الدين ، التاريخ ، السياسة٠٠٠٠الخ٠

الفلسفة والعلم

تختلف الفلسفة عن العلم موضوعا ومنهجا – فالعلم وإن اسهم في مجالات مختلفة ، فإن الفلسفة أثرت في بناء الشخصيات المختلفة التي أثرت وأخرجت العلم إلي مظانه ، فالفلسفة أوسع طريقا إذ حررت العقل من الجمود والخضوع للأحكام المسبقة والأراء الشاقة والعادات والتقاليد البالية ،وهذا من شأنه أن ينير طريق الحياة أمام الناس :- ولكن هذا الأمر لا يعني الانفصال التام بينهما ، فكلاهما يبحث عن الحقيقة غير أنهما قد تكون في العلم عملية أمام الفلسفة فتصبح بالصيغة النظرية، كذلك العالم يحتاج إلي الذهن والفكر الصافي حتى يصل إلي الرأي والإتجاة الصحيح ، كذلك الموضوعية مطلوبة من

[1] راجع أسس الفلسفة ٠

العالم والفليسوف ، ولكي هذا الأمر يستدعينا كما اشر ناسلفا إلي إبراز أهم نقاط الابتعاد والاختلاف بين الفلسفة والعلم .

أولا : نظرة الفلسفة نظرة كلية للأشياء فهو لا تتناول جانبا معينا من العالم بالبحث دون جانب ،فهذا شأن العلوم الجزئية كما علمنا ، فاختصاص العلم الجزئيات المتغيرة .

ثانياً : تسليم الفلسفة بالنتاج يكون قطعيا يبحث لا يترك مجالا للشك في حين يبني العلم قضاياه (فرضياته) على البدهيات دون السؤال عن حقيقتها أوماهيتها .

ثالثا : ترتبط الفلسفة بالفكر المجرد (المعقول) أما العلم فهو واقع في المحسوس دائما ومرتبط دائما به . فالعالم يسير فى خطه التجريبى من المرئى الى المرئى ومن الملحوظ الى الملحوظ سواء اكان ذلك بطريقة مباشرة او غير مباشرة .. بينما الفيلسوف يتجه من المرئى الى اللا مرئى .[1]

رابعا : العلم يهتم بما هو كائن والفلسفة تهتم بما ينبغى ان يكون عليه الشيء كالعلوم المعيارية .ويظهر ذلك واضحا في علم الأخلاق والجمال – فالمعلومات تكون واضحة لدي الطالب أما الفليسوف فهو لا يستطيع أن يفصل بين ذاته وبين الموضوع الذي يعالجة فالفلسفة ما هي إلا وجهة نظر تختلف باختلاف الأفراد وبالتالي فلا يمكن لنا أن

---

[1] راجع المعرفة عند مفكرى المسلمين د/غلاب ص ٤٦

نلزم شخصا ما بطرح ما نعتقده من آراء فلكل فرد أفكاره الخاصــة ، (٢)

<u>**خامسا**</u> : – العلم بهدف للبحث عن العلل القريبة التي تحدد لنا ظهــور ومسار ظاهرة من الظواهر ، أما الفلسفة فتبحث عــن العلــل الأولــي للظاهرة التى ليس ورائها علة أخري ،فهي تتعلق بمجال أكثر شمولا من المجال العلمي المحدود(*).

<u>**سادساً**</u> : يقتضي التفلسف حركة الفكر من الخارج إلي الداخل ،أي من العالم إلي الأنا، أو من الموضوع إلي الذات ،وهذا يعتبر شرطا أولياً للتفلسف، أما العلم فلا يستخدم بالضرورة مثل هذا الرجوع فالفكر ينتقل فيه من موضوع إلي موضوع ومن ظاهرة إلي أخري .

بعد هذه الإطلالة نعود أدراجنا للحديث عن اتجاهات الفلسفة الحديثة .

---

(٢) راجع الفلسفة مباحثها د/ابو ريان ص ٥٢٤

(*) مقدمة فلى الفلسفة العامة د/يحى هويدى ص ٥٣

إتجاهات الفلسفة الحديثة

إن الباحث فى تاريخ الفلسفة الحديثة لا يستطيع تحديد بداية معينه لبداية هذا التفكير الفلسفي الحديث وذلك راجع إلى:-

أولا:- إن الحدود التي يضعها الفلاسفة كفواصل بين العصور المختلفة غير دقيقة وذلك لأن الفكر الفلسفي ماهو إلا تجاربه خاصة مر بها كل فيلسوف وقررها وتابعه عليها تلامذته .

ثانيا:- إن تداخل التيارات الفكرية وتشابكها فى أحداثها ووقائعها التاريخية يجعل من الصعوبة تحديد إطار معين لبداية هذا الفكر الفلسفي الحديث . فقد نجد فيلسوفا متأثرا بآراء غيره أو بمن سبقه ومن هنا يضيق ويصعب الوقوف على بداية فكر هذا الفيلسوف ومن هنا يضيق ويصعب وضع حدود فاصلة بين الفكر عبرعصوره المتغيرة

ثالثاً :- وجود مدارس سالفة على الفكر الفلسفي الحديث قد أثرت فيه فمثلاً نجد الفلسفة القديمة و الفلسفة المدرسية لازالتا يؤثر كل منهما فى الفكر الحديث بل وفى الفكر المعاصر فمثلا المدرسة القومية الجديدة وهي التي تحيي آراء القديس توما فى العصر الحديث لازال لها أتباع فى هذا النصف الأول من القرن العشرين وأن أتباعها يحاولون تطويرها بحيث تتمشي مع الإتجاهات الفكرية الفلسفية المعاصرة [١]

وكذلك الحال فيما يختص بالموقف الفلسفي القائم على المعتقدات البروتستانتية ، ومن هنا فيصعب القول بتحديد بداية ما لهذا الفكر الحديث

وذلك لعدم تخلص الفيلسوف أى كان من شوائب الفكر السالف أو السابق عليه فالفلاسفة المحدثين على الرغم من معارضتهم لأرسطو وآرائه إلا أنهم قد احتفظوا

---

(١) راجع : دراسات في الفلسفة الحديثة د/محمود حمدي زقزوق ص١١ ط دار الطباعة المحمدية الثانية ١٩٨٨
راجع الفلسفة الحديثة د. محمد علي أبوريان ص١٨ ط دار المعرفة الجامعية ١٩٦٩م

يقدر منها . ورغم حملتهم على المدرسين القاسية إلا أنهم أيضـا تـأثروا بـهم وكـذا يقـال في المحدثين من الفلاسفة إنهم متأثرون لحد كبـير بـآراء فلاسـفة عصـر النهضـة . [1] وهكذا تتشابه الأفكار وتتلقى المعارف . قد تتباعد شيئا مـا إلا أنـها تصـب فـى مشـرب واحد . ومن هذا الإطار فإن القول بتحديد بداية الفكـر الفلسـفى بظـهور روجـر بيكـون ١٢١٤م/١٢٩٤م قول غير دقيق وإن كان روجر بيكـون قـد دعـا إلـى المنـهج العلمـى الجديد في مجال العلم والفلسفة . معتمدا كما ذكر بريفولـت فـى كتابـه بنـاء الإنسـانية . على العرب المسلمين في الطبيعة أو فى الفلك أو غير ذلـك مـن العلـوم .

كما فعل غيره واستطاع أن يضـع اللبنـة لمـن أتـى بعـده كبيكـون ١٥٦١م – ١٦٢٦م وديكارت ١٥٩٦م – ١٦٥٠م علـى الرغـم مـن كـل هـذا التطويـر والدعـوة إلـى التجريب إلا إن روجـر بيكـون لـم يكـن لـه تـأثير كبـير علـى المعـاصرين لـه أو الملاحقين له ولهذا لا يمكن اعتباره بدايـة لتـأريخ الفكـر الفلسـفى الحديـث . ذلـك لأن الفلسفة الحديثة تزخر بأفكار مختلفة من الفلسـفات التـى سـبقتها لافـرق فـى ذلـك بيـن شرقية وغربية وعربية ويونانية يهوديـة ونصرانيـة . [2]

وهناك رأى ثان يرى أن بدايـة التـأريخ للفلسـفة الحديثـة قـد بـدأت فـى عـام ١٤٤٠م وذلك على يد المفكرين الإيطاليين فـى فلورنسـا فقـد حـاول هـؤلاء تفسـير النصـوص الأفلاطونية بعيدًا عن التأثير المدرسى [3] الذى يعتمد علـى النصـوص الدينيـة .

---

[1] دراسات في الفلسفة الحديثة ص ١١ .

[2] راجع – الفلسفة الحديثة محمد على أبوريان ص١٩ .

[3] نسبة إلى التعاليم الفلسفى الذى نشأ فى كل المدارس الكنيسة فى العصور الوسطى من القرن العاشر إلى نحو القرن السابع عشر وتميز بارتباطه بعلم اللاهوت وبمحاولة التوفيق بين الوحى والعقل وبالاعتماد فى البحث على طرق القياس البرهانى وتفسيرات النصوص القديمة وخاصة النصوص الأرسطية ، وتتسم معالمها بالصورية الشديدة كالإفراط فى التقسيم والتفصيل والتفريع والتجديد .... ألخ كما يطلق على كل باحث به ميل واضح

وهناك رأى ثالث يرى أن بداية هذا العصر يمكن إرجاعها الى سقوط القسطنطينية على يد الأتراك ١٤٥٣م وفي هذا الوقت بالذات هاجر أفواج من علماء اليونان إلى إيطاليا وتعاونوا هناك مع الحركة التي كانت قد بدأت في فلورنسا لإحياء تراث أفلاطون وغيره وهذه الحركة . حركة إحياء التراث القديم كانت مهمتها تنصب على تنقية النصوص الكلاسيكية في الفلسفة اليونانية من الشوائب الهللينية والمدرسية على السواء والتي أدخلها شراح ومترجمي السريان على النصوص اليونانية والتي شوهت فيها صورة الفكر اليوناني من جانبهم كما علمنا ومن جانب تفاعل الحضارات مع غيرها خاصة بين النحل الدينية والصوفية والغنوصية ... ألخ والتي كان يموج بها الشرق الأوسط . فيما بعد عصر التنوير اليوناني ناهيك عن التأثير الواضح بأديان الشرق وأفكارها .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن حركة الإحياء للتراث اليوناني والتي تبعت سقوط القسطنطينية تلتها حركة علمية تمثلت في ظهور النصوص المترجمة إلى اللاتينية عن العربية من مدرسة طليطلة ومن جنوبي فرنسا حول تولوز وكذلك من شمالي إيطاليا حيث نشطت الحركة العلمية من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي وساعدت هذه الحركة على تنقية التراث اليوناني ووجدت له ثلاث أصول – **الأول – يتمثل في الاصل الذي نقله العلماء الفارون من بيزنطه بعد الفتح ١٤٥٣م.*** والثاني – النص اللاتيني المدرسي والثالث – النص العربي [1]

للتقيد بالقديم والتزام التراث وترجيح النقل على العقل.
راجع المعجم الفلسفي – عبد المنعم الحفني . ص ٣٠٧ ط الدار الشرقية .

(١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة . محمد على ابو ريان . ١٩

ومن هذا الإطار السالف يمكن القول بأن العصر الحديث يقصد به عادة تلك الفترة التاريخية التي تبدأ بعصر النهضة الأوربية وتمتد حتى العصر الحاضر.[1]

ويمكن تقسيم المراحل الفلسفية التي سبقت الفكر الفلسفي الحديث إلى ثلاث مراحل

المرحلة الأولى :- وتبدأ من سنه ١٤٥٣م وتسمى بعصر النهضة وتنقسم هذه المرحلة إلى فترتين

الأولى :- وتسمى الفترة الإنسانية وتبدأ من سنه ١٤٥٣م وتستمر إلى سنه ١٦٠٠م أى إلى تاريخ وفاة جيوردانو برونو – وقد امتازت بالتفكير حول النصوص اللاتينية واليونانية خلال الشطر الأول من هذا العصر إلى جانب الرصيد العلمي الواسع الذى تركه علماء إيطاليا .

الثانية :- وتبدأ من عام ١٦٠٠م إلى ١٦٩٠م وهذا العصر انجب فلاسفة مشهورين منهم بيكون (فرنسيس) وتوماس هوبز ثم إنجلز وديكارت واسبينوزا

وامتازت هذه الفترة بالرقى العلمى المعتمد على التجريب وظهرت قيمة الفلسفة وأثرها فى الناحية العلمية وظهرت فى هذه الفترة أيضاً بعض المذاهب المتكاملة مثل اسبينوزا وليبنتز .- وعلى الرغم من تحديد هذه المرحلة إلى عام ١٦٩٠م إلا أن تأثر فلاسفة هذه المرحلة أثروا فى غيرهم ومن فلاسفة القرن العشرين – وهذا الأمر كما علمنا سالفا إن شوائب الفكر متصلة لا ينفك عرفها . ومن هنا فعصر النهضة يعتبر فترة انتقال بين العصر الوسيط والعصر الحديث وهذه المرحلة الانتقالية لا يمكن تجاهلها ، وعلى الرغم ما فعل فيها إلا أنها كما درج الباحثون على اعتبارها فتره جديدة أمر يجانبه الصواب وذلك لأننا عندما نبحث عن الدوافع

---

[1] ***

الحاسمة للتحول وللبدء الجديد للفلسفة الحديثة فإننا كما علمنا سنعود أوراجنا إلى العصر المدرسى المتأخر .

المرحلة الثانية . مرحلة عصر التنوير وتبدأ بنشر كتاب جون لوك ١٩٦٠م مقال فى العقل الإنسانى وعاصره أيضا مجموعة من كبار المفكرين من أمثلة روسو وفولتير فى فرنسا وتركز الفكر الفلسفى وتقنذ على الإنسان ونأى عن الفكر فى الكون والوجود كما كان يفعل المدرسيون وفلاسفة عصر النهضة وساعدت أفكار الفلاسفة على القضاء على الخرافات والأساطير . وتقنذ والرقى بالإنسان لنيل حقوقه على الجانب السياسى . وامتازت هذه المرحلة بغزاره إنتاجها الفكرى والذى ساعد على قيام الثورة الأمريكية سنه ١٧٧٦م والفرنسية سنة ١٧٨٩م ومن هنا فعصر التنوير هذا يمتد من القرنين التاسع عشر والعشرين ومن فلاسفته . بتنام .

ستيورات ميل – أو جست كونت . فى القرن التاسع عشر وجورج سنتيابا وبرترند رسل فى القرن العشرين . وفى هذا الأطار يرى بعض المؤرخين إن هذه المرحلة تنتهى سنة ١٧٨١م يظهور الحركة الرومانطيقية وهذا أمر أيضا يجانبه الصواب لامتداد عصر الإنارة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .

المرحلة الثالثة :- وتبدأ من سنه ١٧٨١م بظهور كتاب كانط نقد العقل الخالص . تنتهى بوفاة هيجل سنه ١٨٣١م . وتمتاز هذه المرحلة بالتحول نحو الروحانية بتفسير الوجود على أساسها وكان لهذا الاتجاه الروحى تأثير على شتى العلوم بخاصة الأدب والشعر وظهر تيار الحركة الرومانطيقية فى الأدب عند كل من جوته وشللر . وغيرهما- وعند شعراء الأنجليز – من أمثال ودورث وشيكى ...... فى أمريكا عند أميرس وكان لهذه المرحلة أثرها البارز فى تشكيل آراء الفلاسفة . تعرف بالنزعة المثالية والتى استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر وظل تأثيرها

واضحا عند بعض فلاسفة القـــرن العشـــرين ولا ســيما فـــي انجلـــترا عندبراولـــي وفـــي ايطاليا عند نيدتو كرانشـــي .

وقد درج المؤرخون على اعتبـار هـذه المرحلـة والتـي تبـدأ بموفـاة هيجـل بالفلسـفة المعاصرة وهذه المرحلة تطـــورت فيـها العلـوم كـالفلك - وعلـم الجيولوجيـا . وعلـم الاحياء ... الخ وكان لهذه العلوم اثرهـــا الواضـــح فـــي وضـــع منـــاهج البحـــث العلمـــي الصحيح .وتبع هذه المرحلة جدال عنيق بيـــن مذاهـــب المثـــاليين والواقعيـــن ودار الكثـــير من المبنحث المعرفية الابستمولوجيه حـــول أدوات المعرفـــة ومصادرهـــا .... الـــخ)

هذا وقد احرزت كلا من الفلسفة العلمية البرجماتيه والواقعية تقدمـــا ملحوظـــا فـــي انجلـــترا وامريكا .

- هـــذا بالاضافـــة الـــى ظـــهور مدرســـة التحليـــل المنطقـــي عنـــد مريـــن ومور وبرتر اندرسل فى انجلـــترا .

- وأما فرنسا وألمانيـــا فقـــد خفلنـــا تيـــارات متعارضـــة ومتداخلـــة كالتيـــار الظـــاهرى والوجودى والروحـــى ..... (١)

ومما سبق يمكننا الوقوف فى اجمال على مراحل تطور الفلســـفة الحديثـــة. كمـــا يلـــى :-

أ- عصر النهضة - ينقسم الـــى فـــترتين
 - الانسانية ١٤٥٣ -١٦٠٠م
 - العلم الطبيعى ١٦٠٠ - ١٦٩٠م

ب-عصر التنوير .. يبدأ من ســـنه ١٩٦٠ إلـــى ســـنه ١٧٨١ م .

اشهر فلاسفتة لوك - بـــاركلى - هيـــوم

جـ- عصر المثالية يبدأ من ســـنه ١٧٨١ م إلـــى ســـنه ١٨٣١م

---

(١) راجع هذه المراحل بالتفصيل فى كتاب تاريخ الفلسفة الحديثة . محمد على أبوريان من ص ١٩ - إلى ٣٥

أشهر فلاسفة كانط – فخته – هيجل

د– المرحلة المعاصرة تبدأ من سنه ١٨٣١م وتستمر إلى الوقت الحالي . ومن أشهر فلاسفتها

شوبنها ور – كونت – ستيورات ميل–سبنسر – نيتشه – كير كجارد – سارتر – .... الخ .

- مظاهر النهضة الأوربية :–

بعد سبات طويل حجر فيه على الأفكار من لدن رجال الكنيسة في العصور المظلمة الوسطى والتى تمتد من سقوط الدولة الرومانية الغربية في عام ٤٧٦ م حتى عصر الاكتشافات الكبرى والإصلاح الديني . آن للعقل أن ينهض من سباته ويركز فكره حول ألوان متعددة من ألوان النشاط الفكرى يبدأن هذه النهضة الفكرية سبقتها عوامل أصلت لها منها .

١– إحياء الآداب القديمة ونهضتها //

أنكب العقل الإنسانى وقفها على أفكار اليونان والرومان الأدبية ليعلن من خلالهما تبرئته من العقم والجود الكنسى وكان من أبرز حاملى لواء هذا الاتجاه بترارك ودانتى وغيرهما – ومما عجل بهذا النضوح الأدبى فرار طائفة من علماء القسطنطينية سنة ١٤٥٣م من الزحف التركى نحو إيطاليا كما علمنا سالفا فقويت بهم الحركة واتسع نطاقها .

وكانت فلورنسا مركزا لها . وكان لرئيس الدولة وفقتذ كوز يمردى مديتش دورا بارزا فى تطور النهضة الأدبية وذلك بإنشائه إكاديمة فى حدائق قصره [١] وعلى الرغم من كون دانتى

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة . زكى نجيب محمود – أحمد أمين ص ٣٦ – ج (١) ط النهضة المصرية السادسة – ١٩٨٣ م.

ويتر ارك من رجال القرن الرابع عشر إلا أنها ينتميان عقليا إلى عصر النهضة . وقد صاحب هذه النهضة نهوضا فى الفنون الأخرى كالنحت والنقش والتصوير .....) [١]

ثانيا - حركة الإصلاح الدينى

بعد تحول الفكر من الطبيعة نحو الإنسان وإعلاء حقوقه والذى نبتت بذوره فى ألمانيا ثم ذاع صيته فى أرجاء الأرض وخرج الناس من ظلمهم بالنصر على الكنيسة وسلطتها وليعلنوا جميعا . أن الكهانة لا واسطة فيها وأن كل إنسان على إتصال مباشر بالله وليس المسيح فى حاجة إلى قسس ووسطاء بين الله والناس - ولاريب أن هناك بصيصا من نور الإسلام والذى أثر فى هذه المجتمعات وقد علمنا سالفا أن علوم العرب قد اطلع عليها جها بذة وفلاسفة أوربا وقد ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية سنه ١١٤٣م [٢] . ومن أشهر دعاة هذا الاتجاه - مارتن لوثر - ١٤٨٣ -١٥٤٦م فى ألمانيا - والذى أعلن (أن التبرك بالمقدسات والحج إليها وتكرار الصلاة لايجدى العاصى ولا يعفيه عن توبة نصبوح وقدم مطهر ورجاء رحمة الرحيم وأن أحدا من الخلق مهما تكن قد سيته لايملك لأحد غفرانا ولا يستطيع أن يسترننيا قد ارتكب) [٣] ومن هنا فقد تبعه العامة والخاصة .

ومن هنا فقد تبعه العامة والخاصة وأرسلت الكنيسة إليه لمحاكمته أمام محكمة التفتيش التى دبرت أمرا يطرده من الكنيسة فى عام ١٥٢٠م وأدى تدخل العوامل السياسية الى انقسام الكنائس فيما بعد إلى كاثو ليك وبروتستانت . وأيضا كان من دعاة الإصلاح ذو نجلى والذى ظهر فى سويسرا ١٤٨٤ -١٥٣١م وكلفن فى فرنسا

---

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ١٩.

تاريخ الفلسفة العربية - برتدالدرسل ص ٣٠ جـ٣ ترجمه د/ محمد فتحى الشنيطى - القاهرة ١٩٧٧م.

(٢) راجع - دراسات فى الفلسفة الحديثة

(٣) راجع محاضرات فى النصرانية الشيخ الامام محمد أبو زهرة ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ط الثالثة ط دار الفكر العربى

١٠٥٩ – ١٥٦٤م إلى غير ذلك من زعماء حركة الاصلاح الديني[1] والتي بددت أحلام الكنيسة وسيطرت على قساوسها وأعلنت حرية الرأى والفكر والدين .

ثالثاً :- نشأة العلوم الطبيعية :-

كان العالم حينئذقدامتد أفقه واتسع نطاقه بكشف أمريكا والطريق البحرية إلى الهند وما انتهى إليه كل من ١٤٧٣ – ١٤٥٣م كوبر نيكوس فى دراسته الملكية من اعتبار الأرض كوكبا بين كواكب المجموعة الشمسية .

وكيلر (١٥٧١ – ١٦٣٠) وجاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢م) وكان لاكشافات هؤلاء العلمية أثرها الواضح فى النضوج العقلى والتقدم العلمى . إذا هبط من عالم الغيب الذى كان يحلق فى سمائه ويخبط فى بدائه إلى الواقع المحسوس الذى يرى ويحسن وقد لا قى هؤلاء المكتشفون صنوفا من العذاب والعنت من الكنيسة وتتذ خاصة محاكم التفتيش ولا أدل على ذلك من جاليلو والذى برهن كما علمنا على دوران الأرض حول الشمس ونفى كون الارض مركزا للكون . فكانت التنمية هى الإعدام لمخالفته للنصوص الكنيسية ولكن الكنيسة أعترفت بعد ثلاثه قرون ونصف بصحة ماذهب إليه جاليلو من قبل . وما حدث مع برونو ١٥٤٨ – ١٦٠٠) ومن اضطهاد وتعذيب حتى الموت [2].

رابعاً :- النزعة الإنسانية

وقد أسلفنا الكلام فيها ولكنا نشير هنا إلى أن هذه النزعة والتى حولت الفكر نحو الإنسان كان لها أثرها البارز فى التطور الفلسفى حتى القرن السابع عشر . [3]

---

(١) راجع محاضرات فى النصرانية الشيخ الامام محمد أبو زهرة ص ١٦٣ ، ١٦٤ ط الثالثة طدار الفكر العربى

(٢) راجع قصة الفلسفة الحديثة . ص ٣٧ ، ٣٨

(٣) راجع دراسات الفلسفة الحديثة ص (٣٠).

راجع ايضا – اسس الفلسفة – توفيق الطويل ص١٨٦ ط النهضة الديثه السابقة ١٩٧٩م



المذهب الواقعى فى انجلترا

فرنسيس بيكون

(١٥٦١م- ١٦٢٦م)

١٥٦١ - ١٦٣٦م

عصره

نشأ بيكون فى البيئة الإنجليزية . والتى شهدت آنذاك أزهى عصورها الزاهرة . فى القرن السادس عشر فقد كان لاكتشاف أمريكا صدى واسعا فى تحويل مجرى التجارة من البحر الأبيض إلى المحيط الأطلسى فارتفع نصيب انجلترا وصديقاتها المحيطة بها وانتعشت التجارة بها كما كانت لدى ايطاليا من قبل ومن ثم انتقلت النهضة بكافة نواحيها الى انجلترا خاصة بعد أن أفلت قوة منافستها الاسبانية سنه ١٥٨٨م وبدأ الانحصار يتضح أمامها فبدأ ملاحوها يطوفون حول الأرض روادا كاشفين ناهيك عن الرقى الأدبى وظهور شعراء وأدباء مشهورين كشكسبير ، ومارلو ، وبن جونسون ، وسبنسر ..... الخ [١]

فى هذا العصر الذهبى . ولد فرنسيس بيكون – وقد تهيأت انجلترا وصديقاتها بالانتعاش وتركز اهتمامها على الابداع الفلسفى وانجاز إعمال فلسفية ومنهجية نذكر منها :-

١- وضع منهج جديد للبحث الفلسفى يحل محل المنهج المدرسى القياسى وكان تأثير من يتلون ودكارت عظيما جدا فى هذة الناحية .

٢- فى هذه الفترة أيضا ثم وضع مذاهب هامة عند هوبز وديكارت وسبنوزا وليبنتز وكان لها تأثير على الفكر إلى عصرنا هذا .[٢]

---

(١) ولديورانت قصة الفلسفة الحديثة ص ٣٦ .

(٢) الفلسفة الحديثة . محمد على أبو ريان ٣٨ .

حياة بيكون :-

١- مولده

ولد بيكون فى لندن سنة ١٥٦١م فى الثانى والعشرين من شهر يناير من أسرة كريمة مجيدة فقد كان والده السير نقولا بيكون متربعا فى منصب عال من مناصب الدولة فقد كان حاملا للختم الأكبر فى خدمة ملكة انجلترا اليزابيث . وأما والدته فقد ذكر ماكولى الكاتب الانجليزى المعروف عنها انها سليلة بيت عريق حصلت من العلم وأصول الدين قدرا محمودا فأخذت ترضع ابنها من رحيق علمها الواسع ولم تدخر جهدا فى تنشئته وتكوينه منذ نعومة أظفاره لتخرج منه رجلا قويا . (١)

ثانيا :- تعليمه

تدرج بيكون فى تعليمه حتى وصل إلى المرحلة الجامعية فالتحق بجامعة كمبردج فى الثالثة عشرة من عمره عام ١٥٧٣م وخرج منها بعد ثلاث سنين دون أن يحصل على إجازة علمية ولعل ذلك قد يكون راجعا لعزوفه عما كان يدرس من علوم ومذهب أرسطو والمدرسين ثم رحل إلى فرنسا ونال منصبا رفيعا فى السفارة الإنجليزية بباريس وتوفى أبوه ١٥٧٩م فعاد إلى وطنه . ولم ينل من ميراثه الا شيئا ضئيلا ذلك لأنه لم يكن الأبن الأكبر لأبيه وتلك كانت عادة للانجليز وقتئذ ثم تحول فى دراسة القانون أى من الفلسفة إلى القانون وبرز فيه حتى تخرج محاميا سنه ١٥٨٢م ثم اشتغل بالحياة السياسية فانتخب عضوا بمجلس النواب كان ذلك بعد سنتين من تخرجه بما يدل على ذكائه وقدرته فى استجلاب المناصب . فقد كان خطيبا مفوها فأثار الاعجاب فى المجلس النيابى ببراعته الخطابية فاسترعته الملكة (اليزبيث) وعينته مستشارا فوق العادة للتاج فأخلص كل الإخلاص فى خدمتها ملتزما بمبادئ الحق والعدالة والأخلاق كمستشار لها يحاول مرضاتها . حتى دفعة ذلك للغدر برجل أحسن إليه ووهبه أرضا هو الكونت إسكس إذ تغيرت عليه الملكة واتهم بالتآمر عليها فترافع بيكون

(١) راجع قصة الفلسفة الحديثة ص ٣٧.

ده طالبا برفع الحكم الصادر عليه [1] ولما آل العرش إلى جـاك الأول اصطنـع بيكـون الملـق
للسيسة ومالأ الملك فى استبداده وقضاء مصالحة ومصالح الأسرة المالكة فبلـغ أقصـى وأرقـى
مناصب القضائية ولما كان الملك يتسم بمثل هذه الصفات فإنه سرعان ما انقلب على بيكـون بعـد
تهامه من مجلس النواب بالرشوة والاختلاس واحسن بيكون أن ذلك يتبرير من الملك وانه كان كبش
فداء فى هذه التهم ومن هنا كان العقاب صار ما عليه حيث أبعد عن المناصب العامة وآثر اعـتزال
حياة السياسية معتكفا على الدراسة فى داره خمس سنوات للدراسة والبحث . [2]وكان بيكون فى سنه
١٦٢م قد اتهم بالرشوة كما علمنا فاعترف بما فعله فحكم عليه بغرامة قدرها أربعون ألـف جنيـه
حرمانه من المناصب العامة وولاياتها ومن عضوية البرلمان ومن إلا قامة بالقرب مـن البـلاط ،
فضل رعاية الملك لم يقض فى السجن سوى بضعة أيام ولم يؤد الغرامة ولكنه حاول عابثا استرداد
اعتبار ولكن هيهات فكان انكبأيه على العلم التجريب ليعلو نجمه من جديد إنه حقا شخصية متناقضة

عكف بيكون على دراسة ووضع أساس المذهب التجريبى وقد حدث فى شهر مـارس مـن سـنه
١٦٢م أنه كان مسافرا من لندن إلى احدى المدن القريبة فأخذ يفكر تفكيرا عميقا فى امكـان حفـظ
حم من التعفن بتغطيته بالثلج وأراد أن يجرب بنفسه فنزل من عربته الى كوخ صادفه فـى بعـض
طريق وابتاع منه دجاجة ذبحها وملأها بقطع الثلج ليرى كم تعيش محفوظة دون ان يصيبها العفـن
بينما هو لذلك إذا داهمه مرض مفاجئ (عجزه عن العودة لندن فنقل إلـى مـنزل مجـاور لأحـد
الأثرياء حيث كانت النهاية ورقدة الموت وقد كتب على سرير الموت آخر ما خطه قلمه إننى أضـع

جمع أسكس جيشا من ايرلندة وساربه الى لندن وحاول اشعال نار الثورة بين الناس وهنا
صحة بيكون وقبض عليه للمرة الثانية ولم يتردد بيكون بالمطالبة بالحكم عليه باقصى
عقوبات حتى حكم عليه بالموت . ومن هنا كان قول الشاعر الانجليزى بوب (عن بيكون . إنه أعظم
حكم وأحسن إنسان بين البشر)
راجع تاريخ الفلسفة الحديثة / يوسف كرم . ص ٤٤ ، ٤٥ ط دار المعارف ١٩٨٦م

روحى بين يدى الله وليد فى جسدى فى طن الخفاء وأما اسمى فإنى بعث به إلى العصور المقبلة وإلى سائر الأمم) [١]

وتوفى سنه ١٦٢٦م وهو فى الخامسة والسنين من عمره . وهاهى الأجيال من بعده تبدأ من حيث انتهى بيكون فى المجال التجريبى .

وقفة مع شخصية فرنسيس بيكون

من خلال ما سبق بيانه عن بيكون ومولده وعصره وحياته الفكرية والسياسية نراه قد تضاربت فيه الاراء وربما كان ذلك راجعا لما امتاز به من شخصية يحويها الغرور والتلون والانتهازية

فهو فى نظر البعض (القدر عقلية انجبتها العصور الحديثة ومصنفاته اعظم انتاج للفكر الإنسانى منذ عصر ارسطو وفلسفته قد حركت العقول التى حركت العالم بينما فى نظر الشاعر الانجليزى الكسندريوب أحكم وأحسن إنسان بين البشر) وقد عرضنا لما بينه وبين صديقه اسكس والذى تفانى فى المطالبة بمقاضته بأقصى العقوبات حتى حكم عليه بالموت ولكن برتداند رسل يلتمس العذر للرجل حيث يقول – إن بيكون قد عمل مع اسكس حين كان إسكس مخلصا ولكنه تخلى عنه حين كان استمرار الولاء له معناه الخيانة وليس فى هذا شئ يمكن أن يدينه حتى من أشد أخلاقى هذا العصر) [٢]

وكانت لحياته السياسية أثرها البارز على الرجل فقد خان وغش ودنس وليس فى الأمر عيب أو حكما على كل من ولى منصبا ما فقليل ماهم من يثبتون أمام تيار الاغراء المالى والترقى السياسى والنفس بطبعها تريد العلو ومن هنا صح ما نسب إلى الامام الشيخ محمد عبده قوله لعن الله السياسة وساس ويسوس وما تصرف منها " ولكن كما قلت إن القله هى التى تثبت أمام زخرف المجد والسلطان وهؤلاء فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله . فقد كان بيكون محافظا جامدا وليس ذلك بعجيب من رجل يطمح إلى مناصب الحكم . .

---

(١) راجع قصة الفلسفة الحديثة (٣٩).

(٢) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٣٨ .

وأما الغرور فقد اعتبر نفسه داعيا لعلم جديد يزيد فى سلطان الانسان على الطبيعة والحق أنه نـــافذة إلى ماهية العلم الاستقرائى .

*وقد كان يتكلم بلسانين أحدهما مع الحكماء والثانى كما يرى مع الحمقى . فيقـــول " فـى الفلســفة نتحادث مع الحكماء اما فى اعمالنا فنتعامل مع الحمقى "[1] ولكنه باء بالفشل فى حياته السياسية فلــم يجد من النهاية بدمن العودة للفلسفة والبحث والتجريب والتى خلد من خلالها اسمه كما ذكر على مر العصور .

كما كان بيكون داعيا للحرب ولا يميل للسلم ومن هنا كان سببه لتقدم الصناعات لأنها تبعــث علــى الاستقرار والذى تتنافى فى معه دواعى الحرب والذى يحيه ويحيذه فالسلام فى راية يقتـل الشـهامة والشجاعة فى الرجال[2] ومع هذا فهو متناقض مع نفسه حينما يتكلم فى مدينة الفاضلة عن الحـرب والسلم فهو فيها يكره الحرب ويحب المسلم ومن هنا فلا رأى له . فهو مذبذب ولعل ذلك راجع لأنـه رجل مصانع ومدلس يلقى هذا بوجه وذاك بوجه أخره فهو صاحب مصلحته انى وجدت ومن هنا فقد اتهم بيكون من جانب معاصرية ومع ذلك فقد رد عليهم بقوله (إن القليل من الفلسفة يميــل بعقـل الإنسان إلى الإلحاد ولكن التعمق فيها ينتهى بعقول الناس إلى الايمان وإذا ما صادف عقـل الإنسـان اسبابا ثانوية مبعثرة فقد يقف أحيانا عندها ولايتابع السير إلى ما وراءهـــا ولكنـه إذا اتعـم النظـر فشهدسلسله الأسباب كيف تتصل حلقاتها فإنه لايجد بدا من الارتماءفى احضان العناية الالهية والتسليم بالله)[1]

ومن هنا فقد جعل الفلسفة مطيته للوصول إلى الخالق وهو واثق فيما يعينه من الاعتماد على العقــل دون الوحى والاسهام فى التعرف على الدين ولعل هذا منه كان نبذا لما كان من الاحبـار والرهبـان الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا. ومع اعترافنا بعجز العقل عن الوصول كليه إلى الله خاصـــة فيمـا وراء الحجب فاننا نرى أن الرحل يعترف بوجود الاله ويسلم به.

(1) دراسات فى الفلسفة الحديثة ٣٨ .

(2) قصة الفلسفة الحديثة – ص ٤٣ .

(1)) المرجع السابق ص ٤٣ .

مؤلفاته

بلغت مصنفات بيكون أكثر من عشرين مصنفا تناول فيها جميع جوانب الادب والعلوم والفنون تقريبا

وله مقالات عديدة فى شئ الفنون بلغت فى الروعة والاسلوب مبلغاً راقيا ولبيكون نهجه الخاص فى قراءة الكتب وتذوقها حيث يقول (بعض الكتب ينبغى أن يذاق وبعضها يجب أن يـــزدرد وبعضـــها القليل خليق أن يمضغ ويهضم)[٢]

ولقد كانت مقالاته بغير شك من هذا القليل النادر ، من أهم كتبه :-

١-فى تقدم العلم ١٦٠٥م وضع باللغة الانجليزية .

٢-الأورغانون الجديد أو العلامات الصادقة لتأويل الطبيعة نشــره عــام ١٦٢٠ . ويطلــق عليــه الاورجانون الجديد (أو المنطق الجديد وهو كتاب فى المنهج الا ستقرائى عارض فيه منطـــق أرسطو).

٣-أطلنتس الجديدة وهو كتاب فى السياسة المثلى على نسق المدن الفاضلة الخيالية (يوتوبيا) وفيها يقترح أن يمنح المزارعون ملكية أرضهم ثم يقوم على رأسهم ارستقراطية تدير أمرهم ......)

٤-كتاب أحكام القانون .

هذا وقد وضع بيكون أهدافا عامة نصب عينه وأراد تطبيقها . النهوض بمجتمعه وهى على النحـــو التالى :-

---

(٢) راجع مؤلفات فرنسيس بيكون من خلال المراجع الآتية :-

١- قصة الفلسفة الحديثة . ص ٤٢ ، ٤٣ .

٢- تاريخ الفلسفة الحديثة . ص ٤٥ ، ٤٦ .

٣- دراسات فى الفلسفة الحديثة . ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

٤- الفلسفة الحديثة . ص ١١ ، ١٣ .

حاول فرانسيس بيكون أن يضع خطة جديدة يخلص بها العقل من أداراته ومن سيطرة المنطق القديم أملم العلم التجريبي . فعمد إلى وضع أساسيات جديدة في مذهبه أو في بحثه فيها .

أولاً — الكشف عن أسباب توقف العلم وجموده منذ عصر اليونان .

ثانياً — وضع تصنيف جديد للعلوم وتحديد مجالات عملها .

ثالثاً — وضع منهج جديد لتفسير الطبيعة .

رابعاً — الاهتمام بالعلوم الطبيعية الحقيقية والبحث في جزئياتها وظواهرها فقد كان السابقون قبله من فلاسفة العصور الوسطى . يبدءون بالملاحظة ثم يقفزون من الجزئيات وملاحظتها إلى الأحكام الكلية (التعميم) غير محتاطين لما يعممون ودون استقراء أكبر عدد من العناصر ومن هنا كانت وصيته بالأناة الغير للباحثين . حتى لا يقعوا في هذه المشكلة .

خامساً — الإشارة إلى جملة الابتكارات والاكتشافات التي سيكون لها صدى في المستقبل العلمي فالعلم قوة تدفع نحو الابتكار والإبداع .

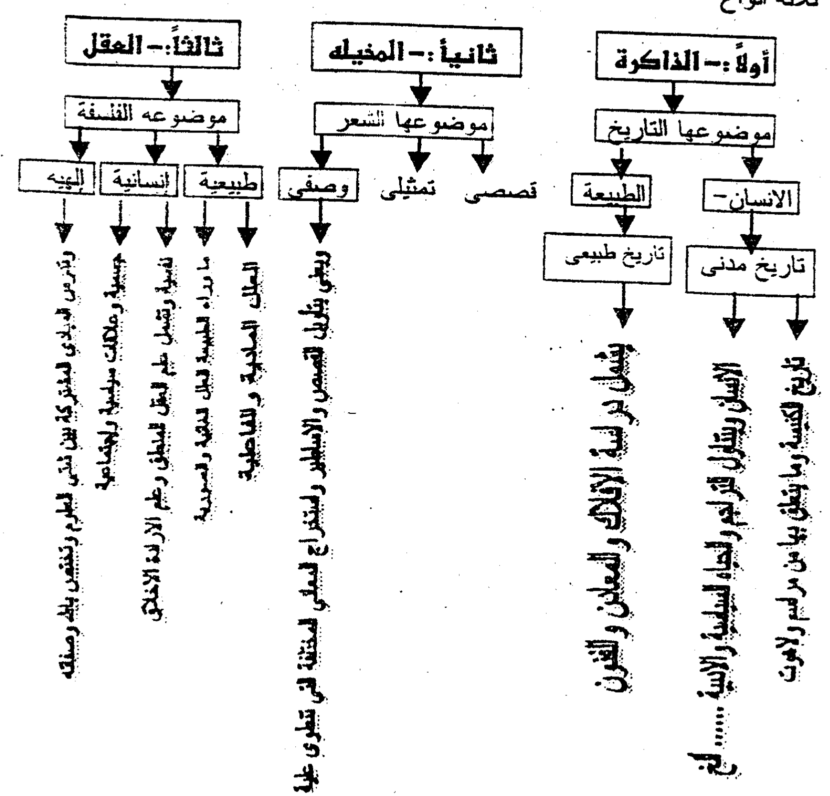
سادساً — رسم صورة لمدينة العلم الفاضلة وهذا ما كان من كتابه اطلنتس الجديدة

ورغم جهد بيكون في اتمام خطته إلا إنها لم يتم لها النجاح إلا في جوانب ثلاثة هي في قيمة العلوم والأرجانون الجديد والمدينة المثالية والتي حذى فيها حذو سابقيه وإن اختلف عنهم بعض الشئ .

تصنيف بيكون للعلوم

إن الباحثين فى أى فن يفيدون من التصنيفات التى يضعها أربــاب الصناعــات فــى فنونــهم وقد كان هدف بيكون من تصيفاته الاخذ بيد إنسان المستقبل نحو النهوض العلمى وبــالاخص فى العلوم التى ستجد فيما بعد – ويمكننا أن تشير إلى مصنفاته من خلال ما يلى :-

أولاً :- رتب بيكون العلوم خسب القوى المدركة (**الذاتية**) فى الإنسان وهى عنده تتمثل فــى ثلاثه أنواع



ويلاحظ على تصنيف بيكون أنه تصنيف ذاتي وإن كان سبق إليه من غيره وتعرض للنقد من قبل معاصريه فالعلم الواحد قد يحتاج لأكثر من وسيله للادراك .

كما يشيد بيكون بقوى الإنسان ويجعل كلا من التاريخ والشعر والفلسفه موضوعات لقوى الادراك النفسية وهي مراحل متتاليه يمر بها الفكر الإنساني في تكوينه للعلوم ولكل منها فائدة تعمل على خدمة العقل الذي مر فعلا بهذه المراحل . وقد قام القدماء بترتيب لهذه العلوم وأن للمحدثين أن يصلوا إلى عملية التركيب العقلي ليصلوا إلى المعرفة العلمية الحقيقية .

المنطق الجديد (أو المنهج الجديد عند بيكون)

* لما كان موضوع العقل هو الفلسفة فإنها ليست جديرة بالرقي بالإنسان لما يحوطها من شوائب الجاهلية ورواسب التقليد ومن هنا فهي عاجزة عن الأخذ بيد الانسان نحو التقدم العلمي الذي يكشف من خلاله عن قوانين الطبيعة ومن هنا فلابد من مراعاة أمرين أحدهما :-

ذاتي :- ويعمل على التخلص من تلك الأوهام والاخطاء الباطلة التي تحول دون سلامة الفكر والتي انحدرت إليه من الامم السابقة .

ثانيهما :- موضوعي ويتمثل في قيام الفلسفة على أساس من العلم وتستمد من نتائجة القائمة على الملاحظة والتجربة . فيجب على العالم الطبيعي إذن احترام الواقع الى جانب الذهن في تخطيطة للطبيعة وهذا يتأتى من خلال استخدام الاستقراء الحقيقي الذي يعتمد على الصبروالتأني وبه يتوقف الاصلاح المنشود للعلوم .

وعن هاتين الطريقتين يقول بيكون

(ينبغى ألا نمد العقل بالأجنحة بل يجب أن نثقله بالأغلال حتى نحول بينه وبين القفز والطيران) [1]

فهو يخلص العقل من أوهام القرون الوسطى ومن سار على دربهم يفرض على العقل الانحلال والقيود التى تسمح بصدور أحكام متأنية صحيحة وسليمة منه يكون ملها الفائدة وتحقيق الأمن والسعادة .

ونشير الآن إلى المنهج الذاتى ويتمثل فى القضاء على الاوهام والتى حصرها فى أربعة وهى على النحو التالى أوهام الجنس – أوهام الكهف – أوهام السوق – اوهام المسرح

أولا أوهام الجنس – أو أوهام القبيلة

ويقصد بها تلك الأخطاء التى غرست فى طبائع البشر بصفة عامة رغم ما بين الناس من فوارق هائلة مثل اعتقادهم فى نفع النذور وثقتهم بنفعها .والانسان بطبعة ميال للتعميم دون تعرضة للحالات الأخرى عند غيرة من بنى جنسية ومن أمثله هذه الاوهام أيضا – ان يفوض العقل البشرى فى الأشياء درجة من النظام والاطراد اعظم مما هى عليه فى الواقع – مثال ذلك أن الإنسان لايكاد يرى الكولكب تعود مبتدأ سيرها من حيث إنتهت حتى يفرض أن أفلاكها دوائر كاملة . وأنها تسير سيرا منتظما . [2]..... الخ نشأ فى الناس تتحكم فى احكامهم .ومن هنا صدق الناس السحر والتنجيم والاساطير .... الخ .

ثانيا :– أوهام الكهف

لكل فرد كيف أو مغارة خاصة به دون غيره يعمل على كسر أضواء الطبيعة والتغيير من لونها وليس هذا الاليرز شخصيته التى تكونها الطبيعة والبيئة والتغذية والتربية و ..... الخ . ومن هنا فلاختلاف هذه الامور أدى لاختلاف النزعات والميول والعواطف فلكل انسان نزعاته وأخطاؤه الخاصة . ومن هنا .

---

[1] أعلام الفلسفة الحديثة ماو فقى زاهر – ص ١٧

(٢) قصة الفلسفة الحديثة ص ٤٤ .

نجد بعض الناس يميلون الى التحليل وملاحظة أوجه الاختلاف والاتفاق بين الأشياء وأخرون لايعبأون بذلك ولذا نجد الشعراء يختلفون عن الفلاسفة فى مشربهم ومن أمثلتها – أن يعتقد الرجل (شخص ما) أن اباه افضل رجل فى الدنيا أو أن أمه اصلح سيدة فى العالم وقد تمر به أزمة عاطفية خاصة فيستنكر الحب ويكره جميع النساء . [١]

ثالثاً :– أوهام السوق :–

فهى التى تنشأ من التجارة واجتماع الناس بعضهم مع البعض ولكل حديث خاص ولغة يتحدثون بها ومن هنا قد تختلط الالفاظ وتضيع االلغةالاصلية بين هذه المجامع ومن هنا ينشأ تعطيل للعقل لفقد الالفاظ دلالتها الحقيقية ومن هنا قد يصفق الناس لخطيب ماليس إعجاباً وانما مشاركة وجدانية فقط فإذا خلا كل منهم إلى نفسه وجد الخطاب اهون مما يستحق له التصفيق ومن هنا استنكر صمويل بيكيت –و يوجين يونيسكوا وظيفة اللغة واقاموا مكانها فلسفة العبث أو اللامعقول[٢]. فاللغة ليست مصدر الأخطاء وإنما استعمالها الخاطئ هو الذى أدى باصاحبها إلى هذا الوهم الكبير والذى يجب التخلص منه .

رابعا :– أوهام المسرح ..

ويقصد بها الدنيا كمدرسة كبيرة أشبه بالمسرح الذى يستمع فيه الناس ويشاهدون صنوفا متعددة من اشكال الحياة والتى يقلدونها ويؤمنون بها . دون نظراوفكر فالانظمة الفلسفية التى يتلقاها كل جيل عن اسلافه ليست الاروايات مسرحية تمثل اكوانا خلقها الفلاسفة بفكرهم خلقا كما يخلق الروائى اشخاص روايته وحوادثها [٣] كما هو الحال فى مثل أفلطون ومن هنا فقد يفتن الناس فى كل زمان بمشاهير الرجال ومثال ذلك ما قرره جاليلو فيما يخص قانون الجاذبية إنه لو قذف من مكان عالى بحجرين زنة إحداهما رطل وزنة الاخر عشرة أرطال

---

(١) اعلام الفلسفة الحديثة ص ٧.

(٢) اعلام الفلسفة الحديثة ص ٧.

(٣) اعلام الفلسفة الحديثة ص١٨.

لوصل كلاهما الى الارض فى وقت واحد ورغم نجاح هذا الامـــر إلا أن الكنيســة رفضتــة وكذبه من أفتتن بأرستو والذى قرر أن الحجر الذى زنته عشرة أرطال يصل إلى الارض فــى عشر الوقت الذى يصل فية حجر زنه رطل واحد • وهكذا يضل العقل ويزيـــغ فــى أوهــام السابقين بغير علم وليس إلا اجحافا ومكابرة .

اهتمام الفلاسفة التجريبين

بالاستقراء

" مشكله المنهج "

يرجع اهتمام بيكون ومن سار فى ركابة بالاستقراء إلى قصور القياس الصورى القديم عـــن تحقيق الغاية من الاستدلال فى كل صورة وهى كسب معرفه جديدة لأن مقدماته ليست علـــى الدوام يقينة .

فقد تكون ظنية (فى الاستدلال الجدلى) اوكاذية فى الاستدلال (السو فسطائى) فلا فائدة لــها فى الواقع المحسوس لأن العبره فيه مرتبطة بمقدماته الصادقة أو الكاذبـــة . فنتائجــة مقيــده لارتباطها بالمقدمات ولا يعطى معرفة جديدة ومن ثم لا تكون لها قيمة فـــى حياتنـــا . لانــها ليست جديدة بالنسبة للباحث .

من أجل هذا كان العقم سببا فى ظلام فكر العصر المدرسى المرتبط بالقيـــاس الصــورى إذا الاصل فى التفكير العلمى أنه أداة لكسب معرفة جديدة عن طريق الانتقال مـــن معلــوم إلــى مجهول وفق قواعد معينه حددها منهج علمى وقد عجز القياس عن هذا الأمر ومن هنـــا قيــل إنه استدلال هابط . أما الاستقراء فهوا ستدلال صاعد يبدأ بالجزئيات وملاحظتها ثــم إصــدار قانون عام لها فالقياس انتقال من حكم كلى أى حكم جزئى والاستقراء انتقال من جزئيات إلــى

حكم عام ومن هذا فنتائج القياس أخص من مقدماته بينما هى فى الاستقراء أعم منها [١] وكانت الكنيسة فى العصور المظلمة قد اعتمدت القياس الصورى (منطق ارسطو) وحمل لواء هذا الأمر القديس الفيلسوف (توما الاكوينى) [٢] وقد عارضت الكنيسة هذا المنطق فى البداية ولكنها سرعان ما آمنت به واعتمدته واعتنقه الكاثو ليك كدين إلى جانب ما يدينون به بل أنهم اثبتوا له القداسة والاحترام واعلنوا ان من خالفه فقد خالف الدين . وقد خالف الا ناجيل لدرجة أنهم اتهموا بالكفر والالحاد كل من يخرج على كلام أرسطو ونظرياتة وحكموا عليه بالموت بأبشع الطرق [١] وقد مضى ما كان من أمر عالم الفلك جاليلو والحكم عليه بالموت لمخالفته لآراء ارسطو الإلهى عندهم . وقد تعرض هذا لحملة من النقد قديما وحديثا [٢]

واليك أيها القارئ العزيز بعض الفروق بين المنطق الصورى عند ارسطو والمنهج الاستقرائى .

---

(٢) راجع أسس الفلسفة توفيق الطويل - صـ١٥٤ وما بعدها .

(٢) راجع المنطق الصورى د / رفقى زاهر صـ٦٦ .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوى صـ١٩٤ .

(٢) راجع جهود والمفكرين المسلمين فى الرد على منطق اليونان صـ٣٤ وما بعدها .

-أيضا راجع الرد على المنطقيين - ١١٠ وما بعدها .

ايضا راجع المنطق الصورى رد على سامى النشار ص٣٠ وما بعدها ط دار المعارف ١٩٦٦م .

ويمكننا أن نشير إلى بعض الفروق بين القياس والاستقراء من خلال ما يلى :-

القياس	الاستقراء
قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر.	تصفح الجزيئات لإثبات حكم كلى
استدلال هابط	استدلال صاعد
يقتضى الصعود قبل القيام بالهبوط اى انه يبدأ بالكليات إلى الجزيئات	يرتقى من الجزئيات إلى الكليات
* يهتم بصورة الفكر وشكله دون مادته نتائجة أخص من مقدماته	يعنى بالناحية الموضوعية للاشياء نتائجه اعم من مقدماته
معيار الصدق والكذب فية متوقف على نتائجة واتساقها مع مقدماته	معيار الصدق والكذب فية تطابق نتائجه مع الواقع المحسوس .
* **مطلق فى احكامه وهى ثابته**	* نتائجة ظنية تتوقف على أخر ما توصل إلية الباحث
* **نتائجة معروفه من خلال مقدماته**	* **يعطى نتائج جديدة من خلال البحث والاستقراء**
ينتقل من المعلوم ليصل إلى المجهول	**ينتقل من المجهول ليصل إلى المعلوم ينقسم إلى قسمين تام – ناقص**
ينقسم القياس الى استثنائى وأقترانى	**ليسمى الاسقراء الناقص بالتوسعى او التعميمى ويسمى استقراء علميا لانه ينتقل من الظواهر الى القوانين**
* **يعتمد على العقل فقط**	**يعتمد على العقل مع التجريب**

والاستقراء بداية (فحص مجموعة من الظواهر الحسية ابتغاء الكشف عن عللها او معلولاتها عن طريق وضعها وتقرير حالتها وفقا للواقع المحس وقوام هذا هو الملاحقة او التجربة المقصوده)[١] ويطلق على المنهج التجريبى كثيرا اسم المنهج الاستقرائى وذلك على اعتبار على إعتبار أن الخبرة الحسية هي المنطلق الاول فى البحث لآن فهمَ الظاهرة يفرض على العالم أن يقترب من الواقع ويقوم بملاحظة الظاهرة بدقة ويقف علي تفصيل منها ويكشف جوانب التشابة والاختلاف فيها......)[١]

بعد هذه الاطلالة على اوجه الاختلاف بين المنطق الصورى والاستقراء التجريبى.يمكننا أن تشير الى حقيقة هامة وهى اى كلا الامرين لاغناء لاحدهما عن الاخرفانه لايمكن غالبا تتبع جميع افراد الظاهرة موضوع البحث فى الاستقراء ومن ثم نحكم على ما غاب منها بما وصلنا إليه من نتائج فيما امكن حضورة من افراد الموضوع وذلك بواسطة القياس-

فمثلا لو لم يكن فى الامكان الا اختيار الحديد والذهب والنحاس للحكم على المعدن بأنة يمتدد بالحرارة أم لا فحدثت ظاهرة التمدد فى هذه المواد فقط ثم اريد لهذا الحكم ان يكون عاما فى جميع افراد المعدن لايكون ذلك الا بالقياس مالم يستقرىء معادن أخرى ومن هنا فان لكل منها مجاله الخاص فالاستقراء يخدم العلوم الطبيعية التجريبية و القياس يخدم الناحية العقلية ومما سبق يتبين لنا أن كل قياس يستدعى استقراء سابقا وكل استقراء يحتاج الى القياس فى مرحلة التحقيق من صدق المقدمات العامة او الفروض التى ينتهى اليها)[٢]

واذا كان بيكون قددعا الى سلب العقل عن الاوهام الباطلة وهو الجانب الذاتى فإنه قد دعا ايضا إلى جانب موضوعي ايجابى نتحدث عنه فى الصفحات التالية إن شاء الله تعالى .

---

[١] اسس الفلسفة ص ١٥٥

[١] فلسفة العلوم الطبيعية ص ٣٥ .

[٢] راجع التفصيل المنطق الحديث ومناهج البحث ص ٥٣ وما بعدها .

ثانياً - الاستقراء التجريبى

الجانب الايجابى

قلنا إن بيكون قد حرص على النهوض بالفكر او بالعقل الانسانى ومن هنا كان منهجة الذاتـــى فى القضاء على الاوهام بكل أشكالها السالفة الذكر . ومن هنا كان له اتجاه أخـــر اتســـم فيـــة بالهجود على القياس الأرسطى ورفض الصورية المطلقة التى اتسم بها الفكر المنطقى وهــــذا ما جعله يتجه الى الطبيعة ملاحظا ومجربا فالموضوعات التى تكشف عن اتصالـــها بـــالواقع التجريبى جديرة البحث العلمى وقد عارض منطق ارسطو الصورى فى كتابـــه الاروجـــانون الجديد .

ومن هنا كانت بدايته فى الشك فيما حوله لتطهير العقل من الادران والحجب وفى هذا يقـــول لو بدأ الإنسان ببعض الحقائق فسينتهى به الامر إلى الشك ولكنه إذا بدأ السير بالشك فـــلا بـــد أن ينتهى بالحق واليقين . ..

ومن هذا المنطلق أكد بيكون فى الحاجة الى منهج قويم يعتمد على الملاحظة والتجربة وهـــذا المنهج هو السبيل للأخرين للاعتماد عليه فهو بمثابة الشمعة التى تكشف لنـــا الطريـــق الـــذى علينا أن نسلكه حى النهاية .

ومن ثم فإنه من الضرورى ان نستعين بالتحليل لنقف على حقيقة الصور أو الطبائع البسيطه.

فالانسان حين يتجه إلى الطبيعة ليدرس ظواهرها . يرى أن هناك جزئيـــات لـــهذه الظواهـــر بمعنى أن الطبيعة تبدو له وكأنها متحققة فى صور شتى كذلك فإننا حين نلاحظ الظاهرة نجـــد أن هناك حالات تبدو فيها وحالات أخرى تغيب فيها وحتى تتكشف الصورة الحقيقية للظـــاهرة فإنه يتعين علينا أن نستخدم الاستقراء باعتباره المنهج القويم الدقيق نفهم الظـــاهرة (الصـــورة الحقيقية للأشياء) ذلك لأن الاستقراء يفصل الطبيعة عن طريق العمليات الصحيحـــة للرفـــض

والاستبعاد ثم ينتهي إلى النتيجة الإيجابية بعد أن يجمع عدداً كافيا من الحالات السلبية [1]
وقد كانت الطريقة السالفة قبل بيكون تعتمد على التعداد البسيط للامثلة مثال ذلك ماأورده برتراندرسل حيث يورد مثالاً للعد البسيط فيقول ذهب موظف الإحصاء السكاني لتسجيل أسماء جميع سكان إحدى القرى وقد كان أول شخص سأله الموظف عن اسمه من سكان القرية يدعى (وليام وليامز) وكذلك كان اسم الثاني والثالث والرابع وأخيراً قال الموظف لنفسه هذا شيء ممل فالواضح أنهم كلهم يدعون (وليام وليامز) سأسجلهم على هذا النحو وأظهر بيوم عطله [1]ومن هنا كان الخطأ المرتقب فقد كان واحدا منهم يدعى جون جونز وتتلخص طريقة بيكون في خطوتين

أولا :- جمع الامثلة بقدر المستطاع

ثانياً : تنظيم هذه الأمثلة وتبويبها وتحليلها وإبعاد ما يظهر منها أنه ليس له بالظاهر المبحوثه علاقة علة ومعلوم وصولا إلى صورة الظاهرة والكشف عنها أي عن قانونها وتقوم هذه الخطوة على النحو التالي :-

١-وضع قوائم للظواهر المشتركة في صفة معينه هي موضوع البحث (قائمة الحضور)

٢-وضع قوائم للظواهر التي تفتقر (تخلو) إلى هذه الصفة (قائمة الغياب).

٣-وضع قوائم للظواهر التي تملك هذه الصفة بدرجات متفاوته (قائمة درجات المقارنة)[2]

---

(١) راجع فلسفة العلوم الطبيعية – ص ١٠٣ .

(١)راجع تاريخ الفلسفة الغربية -ج٣ – ص ٨٣ .

(٢) راجع دراسات في الفلسفة الحديثة – ص ٥٣ وما بعدها .

راجع ايضا فلسفة العلوم الطبيعة ص ١٠٥ وما بعدها .

ومن هذه الطرق الثلاثة يصل إلى صورة الظاهرة والتي هي القانون الذي نريد الوصول إليه.أو نتيجه البحث .

وقد بحث بيكون العلل الأربع المادية والصورية والفاعلية والغائية وقد كان فهم بيكون للعلة الصورية غير فهم أرسطولها وأفلاطون . فعند الأول تعرف بالمنطق وعند الثانى تتدرج في عالم المثل ويتم التوصل إليها باستخدام الجدل الصاعد ومن هنا كان احتفاظه بالصورة باعتباره شائعاً ومألوفا وهى سبب ضرورى لوجود طبيعة بسيطة معينة .

والصورة عند بيكون والتى نريد الوصول اليها تمتاز بما يلى

١-إن الصورة لا تعنى فقط معرفة الطبيعة الجديدة التي توجد بالاقتران الثابت مع الصفة المعطاة حيث ليكفى الاقتران فى الحضور وحدة بل لابد إلى جانب ذلك من العزل *

ثانياً :- إن الصورة ليست تصورا مجردا وانما هى خاصية فيزيائية أو طبيعية بمعنى أن الصورة تظهر لنا فى قائمة الحضور ولا تظهر فى قائمة الغياب ، ويتضمن فهم بيكون هنا لطبيعة عمليات خفية سوف يستطلعها المرء وهو لذلك يستعين بالشواهد المميزة التى تساعد الذهن فى التوصل لتفسير الطبيعة وفهمها ولتعيين الصورة التى تبحث عنها وبالتالى يمكن الاستدلال من الطبائع الملاحظة إلى غير الملاحظة وهو ما نجده فى مثال الحرارة ...

ثالثاً :- إن الصورة ليست وضعاً رياضياً فقد كان بيكون يعتقد أن المكان الحقيقى للرياضيات ليس بين المبادئ الدنيا للسلم الاستقرائى التى تهتم بها بما هو عيانى بل إن مكانها الحقيقى بين المبادئ العليا التى تهتم بالعموميات .*

رابعاً :- تعكس الصورة طبيعة الأشياء فى علاقتها بالعالم الطبيعى

خامساً :- ينظر بيكون إلى القانون على أنه الصورة ومن ثم فهو تفسير علمى لظاهرة مـــا أو عدد من الظواهر يكشف عن صورة تلك الظاهرة [٤]

بعد هذه المراحل والتى وقفنا فيها على معرفة الصورة وقانونها عند بيكـــون وخصائصـــها – يتبقى معنا هنا

منهج الحذف أو الاستبعاد

الأمر الأول يرى بيكون أن منهج الاستقراء العلمى هو الذى يفصل طبيعة الأشياء بـــالرفض أو الاستبعاد الدقيق وهذا يتوقف على أمرين

أولهما – ظهور حالة واحدة سالبة تخالف الملاحظات التى سبق التوصل اليها فلابد من رفـض القانون فظهور هذه الحاله يلغى مابنى عليه سالفا ولذا فهمنا نسبية فى العلوم . مـــهما كـــانت عدد الاسئلة [١]

ثانياً :- إثبات قانون ما أونظرية يكون باثبات كل القوانين المعارضة لـــه . فالقـــانون عنـــدة يعتبر تفسيراً للملاحظات والتجارب مستنداً إلى ان مبدأ العلية كلى .

الثانى :- ارتبط منهج الاستبعاد عند بيكون بالحتمية فكل حادثة فى الكون تتحدد عن طريـــق حادثه اخرى سابقة عليها

---

(٤) راجع الاستقراء والمنهج العلمى محمود فهمى زيدان ص ٦٩ ط مكتبه الجامعة العربية بيروت ١٩٦٦م

(١) راجع فلسفة العلوم الطبيعية . ص ١٠٦، ١٠٧

والاستبعاد ثم ينتهى إلى النتيجة الإيجابية بعد أن يجمع عددا كافيا من الحالات السلبية [١]

وقد كانت الطريقة السالفة قبل بيكون تعتمد على التعداد البسيط للأمثلة مثال تلك ما أورده برتراندرسل حيث يورد مثالا للعد البسيط فيقول ذهب موظف الإحصاء السكانى لتسجيل أسماء جميع سكان إحدى القرى وقد كان أول شخص سأله الموظف عن اسمه من سكان القرية يدعى (وليام وليامز) وكذلك كان اسم الثانى والثالث والرابع وأخيرا قال الموظف لنفسه هذا شيء ممل فالواضح أنهم كلهم يدعون (وليام وليامز) سأسجلهم على هذا النحو وأظهر بيوم عطله [١] ومن هنا كان الخطأ المرتكب فقد كان واحدا منهم يدعى جون جونز

وتتلخص طريقة بيكون فى خطوتين

أولا :- جمع الأمثلة بقدر المستطاع

ثانيا : تنظيم هذه الأمثلة وتبويبها وتحليلها وإبعاد ما يظهر منها أنه ليس له بالظاهر المبحوثه علاقة علة ومعلوم وصولا إلى صورة الظاهرة والكشف عنها أى عن قانونها وتقوم هذه الخطوة على النحو التالى :-

١-وضع قوائم للظواهر المشتركة فى صفة معينه هى موضوع البحث (قائمة الحضور)

٢-وضع قوائم للظواهر التى تفتقر (تخلو) إلى هذه الصفة (قائمة الغياب).

٣-وضع قوائم للظواهر التى تملك هذه الصفة بدرجات متفاوته (قائمة درجات المقارنة)[٢]

---

(١) راجع فلسفة العلوم الطبيعية - ص ١٠٣ .

(١)راجع تاريخ الفلسفة الغربية -ج٣ - ص ٨٣ .

(٢) راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة - ص ٥٣ وما بعدها .

راجع أيضا فلسفة العلوم الطبيعة ص ١٠٥ وما بعدها .

ومن هذه الطرق الثلاثة يصل إلى صورة الظاهرة والتى هى القانون الـــذى نريـــد الوصـــول إليه.أو نتيجه البحث .

وقد بحث بيكون العلل الأربع المادية والصورية والفاعلية والغائية وقد كان فهم بيكـــون للعلـــة الصورية غير فهم أرسطوتها وأفلاطون . فعند الأول تعرف بالمنطق وعند الثانى تتدرج فـــى عالم المثل ويتم التوصل إليها باستخدام الجدل الصاعد ومن هنـــا كـــان احتفاظـــه بـــالصورة باعتباره شائعاً ومألوفا وهى سبب ضرورى لوجود طبيعة بسيطة معينة .

وهذه الصورة عند بيكون والتى يريد الوصول اليها تمتاز بما يلى

١-إن الصورة لا تعنى فقط معرفة الطبيعة الجديدة التى توجد بالاقتران الثابت مـــع الصفـــة المعطاة جيث ليكلفى الاقتران فى الحضور وحدة بل لابد إلى جانب ذلك من العزل *

ثانياً :- إن الصورة ليست تصورا مجردا وانما هى خاصية فيزيائية أو طبيعية بمعنـــى أن الصورة تظهر لنا فى قائمة الحضور ولا تظهر فى قائمة الغياب ، ويتضمن فهم بيكـــون هنـــا لطبيعة عمليات خفية سوف يستطلعها المرء وهو لذلك يستعين بالشواهد المميزة التى تســـاعد الذهن فى التوصل لتفسير الطبيعة وفهمها ولتعيين الصورة التى تبحث عنها وبالتـــالى يمكـــن الاستدلال من الطبائع الملاحظة إلى غير الملاحظة وهو ما نجده فى مثال الحرارة ...

ثالثاً :- إن الصورة ليست وضعاً رياضياً فقد كـــان بيكـــون يعتقـــد أن المكـــان الحقيقـــى للرياضيات ليس بين المبادئ الدنيا للسلم الاستقرائى التى تهتم بها بما هو عيانى بل إن مكانـــها الحقيقى بين المبادئ العليا التى تهتم بالعموميات .*

رابعاً :- تعكس الصورة طبيعة الأشياء فى علاقتها بالعالم الطبيعى

(٤٤)

منهود فى الميزان

أولاً - تغافل بيكون عن وضع خطة أو خطوة ضرورية فى المنـــهج العلمـــى القـــائم علـــى الملاحظة والتجريب الا وهى مرحلة الفروض - أو خطوة الفرض باعتبارهـــا مـــن مراحـــل المنهج الأساسية وقد علل العلماء هذا الاتجاه بأمور منها

* يقول حيين - من الجائز أن بيكون كان يعتقد أن الفروض تفضى إلى أغاليط وهذا ما جعلـــة يهتم بالملاحظة والتجربة دون الفروض .[1]

ويقول مايرسون

إن ذلك راجع أن بيكون كان يرى أن الاكتشافات العلمية يمكن التوصل اليـــها عـــن طريـــق استخدام الاستقراء كعملية ميكانيكية .[2]

وهو مع هذا كما يرى جيفونز لم يغفل قيمة التوقعات الفرضية فقد أشار إليها بطريقة عرضيـــة . وقد كان همه جمع أكبر عدد ممكن من الواقع وتصنيفها مما يضفى عليه قيمة تاريخية مـــع نطاق تاريخ العلم وقد يكون الأمر راجعا لخشيته من وجود آراء لم تمحصها التجربـــة ومـــن هنا كان حرصة الشديد فى منهجة على الرغم من استخدامه الفرض العلمى دون أن يدرى .

ثانيا:- مع هذا الجهد الذى قام به بيكون إلا أنـــه قـــد أغفـــل دور التصـــورات الرياضيـــة والاستدلال الرياضى كادوات جيدة يمكن للمنهج الاستقرائى أن يتزود بها .[3]

---

(١) فلسفة العلوم الطبيعة ص ١٠٨، ١٠٩.

(٢) نفسه ص ١٠٨ .

(٣) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٥٥ .

ثالثاً :- تجاهل بيكون الاكتشافات العلمية وغفل عما كان يجرى فى ميدان العلم فى عصره على الرغم من كل ما ابداه من اهتمامه بالبحث العلمى فقد رفض نظرية كوبرنكوس وتجاهل انجازات كبار فى علم الفلك .... الخ

رابعاً :- لم يستطع بيكون رغم حملته الشرسه على المدرسيين وارسطو أن ينأى عن التأثر بهم فقد تحدث عن الفلك والاسباب التى يريد الوصول إليها وقد تحدث ارسطو عن العلل الاربع الغائية والفاعلية والصورية والمادية وقد تحدث بيكون عن العله الصورية والتى تشكل فى نظرة ماهية الأشياء واذا ما انتزعت منها تلاشت طبيعتها . وهذه الصور ليست صورا عينية للاشياء وفقط بل هى صور مركبه من صور الصفات الفردية أو من طبائع الأشياء فالذهب له صورة مركبه من اللون الأصفر ، والثقل والامتداد .... وكلها صورا بسيطة وهى محور البحث أولا بداية كما خاصيات للأشياء [1]

وهو فى هذا كما يرى د/ غلاب حين يطلق على الروائح . والحرارة والبروده والثقل والخفة ..... وما اليها بسائط الطبائع أو اسم الصور الأسية للاشياء يكون خاضعا كل الخضوع لتأثير آراء أهل العصور الوسطى ولما كانوا يدعونه بالخصائص الخفية للاشياء [2] وهو وأن استعمل الصورة على أنها القانون الخاص للاشياء الخفية السالفة الذكر فيحمد له كما يرى لالاند أنه جعل الناحية العملية اسمى من الناحية النظرية فهو يريد علما منتجا يجعلنا نسيطر على الطبيعة لا معلومات تافهة يرددها جيل بعد جيل [3]

أضف الى ما سبق بيانه أمراً هاما يتعلق بفلسفة الرجل فيما دعا اليه من التحرير من السلبيه الوهميه واللجوء للايجابية التجريبية عن طريق الاستقراء .

---

[1] راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٥٤.

[2] راجع المذاهب الفلسفية . د/ غلاب ص ٥ القاهرة ١٩٤٨ م.

[3] راجع المنطق الحديث ومناهج البحث د/يوسف قاسم ص ٥٤ ط - الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٣ م.

علمنا مما سبق أن فرنسيس بيكون وروجر وبيكون وغيرهما قد أطلعوا على ثقافات العــــرب وعلومهم كما ذكر ذلك بريفولت فى كتابه بناء الإنسانية من نحو تلمذتهما علـــى يـــد رجـــال الاندلس المسلمين إلى جانب ترجمة تراث المسلمين إلى اللاتينية فى الوقت المظلم لاوربا كـان شروق العلم ورفعته فى المراكز الاسلامية المتعددة انذاك ومن هذا المنطلـــق نطـــوف حـــول أوهام بيكون الاربعة لنرى لصالتها الاسلامية فى الكتاب والسنه فالقرآن الكريم قد دعا العقـــول للتحرر من ربقه التقليد ودعا اربابه للتفكر والنظر وقد حطم التبعية الزائفة للعظمـــاء والابـــاء وتلك هى أوهام المسرح التى دعا اليها بيكون وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعــــالى (وقـــالوا ربنا إنا لطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا) [١]

وقوله (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان أبـــاؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) [٢]

كذلك حرر الاسلام أربابه من أوهام الجنس والتى تدعو التقوقـــع داخـــل الكـــهوف المظلمـــة والسير وراء الشائعات والذوبان فيها دون تدبـــير أو تفكـــير وفـــى هـــذا يقـــول الله تعـــالى (وإن قطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن ســـبيل الله إن يتبعـــون إلا الظـــن وإن هـــم إلا يخرصون)[٣]

وكذا أيضا دعا المنهج الاسلامى للتحـــرر مـــن أوهـــام الكـــهف والتـــى يقـــع فيـــها اتبـــاع للهوى والأمانى الكاذبة وفى هذا يقول الله عالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليـــه وكيلا .....)[٤]

---

[١] سورة الأحزاب الاية رقم ٦٧

[٢] سورة البقرة الاية رقم ١٧٠ .

[٣] سورة الانعام الاية ١١٦ .

[٤] سورة الفرقان الاية رقم ٤٣ .

وكذا دعا الاسلام إلى التحرز من اوهام السوق وضبط ما يفوته المرء دون خلط فــى أقوالــه ليصح لفظه وتضبط عباراته وفى هذا يقول الله تعالى (ثم جعلناك على شــريعة مــن الأمــر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضــهم اولياء بعض والله ولى المتقين) [١]

وفى هديه عليه السلام نلاحظ قوله

(لا يكن احدكم إمعه يقول انا مع الناس إن احسن الناس احسنت وإن اســاؤا اســات ولكــن وطنوا أنفسكم إن احسن الناس ان تحسنوا وإن اساؤا ان تجتنبوا اساءتهم) [٢]

وهكذا بين لنا اصالة المنهج الربانى فى تخليص العقل من اوهامه ودعــوه للانفــاح العلمــى والنظر فى اقطار السموات والارض ليفيد نفسه وليزداد إيمانه بربه [٣]

كما يتبين لنا أيضا أن علماء اصول الفقة قد عرفوا فى استدلالتهم منهجا يشبه إلى حــد كبــير منهج بيكون ومن ذلك الجانب الإيجابى وهى على النحو التالى :-

أ- السبر والتقسيم :- وهو أن يبحث المناظر عن معان موجودة فى الأصل ويتبعها واحدا واحدا ويبين خروج احادها عن صلاحية التعليل به الا واحد ايراه ويرضاه

ب- الدوران وهو أن يوجد الحكم بوجود الوصف ويرتفع بارتفاعه فيعلم أن هــذا الوصــف علة ذلك الحكم والوصف يسمى مدارا والحكم يسمى دائرا .

(جـ) تنقيح المناط وهو أن تكون أوصافا فى الحكم فيحذف بعضها عن الاعتبار بالاجتــهاد ويناط بالباقى [٤]

---

[١] سورة الجاثية الايات من ١٧ إلى ١٩ .

[٢] ورة الجاثية الايات من ١٧ إلى ١٩

[٣] راجع أعلام الفلسفة الحديثة ص ٣٣ وما بعدها

وهذه الطريقة كما يرى الدكتور سامي النشار عين ما عند المحدثين وتسمى طريقــة الحــذف وهي في ايجاز

(أن يكون لدينا عدد من الفروض فنضع قائمة لها ثم نقوم بحذف الفــروض التــى تنـاقض التجارب التى نعملها لتحقيق المسألة التى نريد بحثها ثم نعتبر الفرض الباقى فى القائمــة هـو الفرض الصحيح)[٢]

وما قرره بيكون حول مدينتة الفاضله فقد سبقه اليها فلاسفة يونانين وإسلاميين مثل أفلاطــون والذى قرر وجود هذه المدينة فى جمهوريتة وأيضا أبو نصر الفارابى [٣] ومدينه الفارابى تمتاز باحتوائها علـــى شــتى الطبقــات البشــرية أمــا اطلنطــس الجديــدة فانــها تــهمل (العلاقات الطبيعية بمدن العالم وأقاليمه وكأنها عالما منفردا ومنعزلا عـــن غـيره - وهـى بلاشك اشبه إلى الخيال منه الى الحقيقيه لأن الواقع المشاهد يرفضها ولا مكان لهما فى كتابه

وبعـد

فقد أسهم بيكون فى نهضة العلوم الطبيعية وقد كان بحق رائد التجريبية فى العصر الحديث .

---

[١] راجع اعلام الفلاسفة ص٣٠ .

[٢] راجع مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ص١٠٣،١٠١،٩٧ .

[٣] راجع اراء اهل المدينة الفاضله - الفارابى .

٦٠

من رواد المادية الآلية

توماس هوبز

١٥٨٨م-١٩٧٩م

تـوماس هوبـز

١٥٨٨ - ١٦٧٩م

نشأ توماس هوبز فى عصر اتسم بالمادية البحته فهو من أوائل الماديين المحدثين والذين دعـوا الى الاليه البحته والتى كان يذيعها كبلر وكوبرنيك وجاليل وغيرهم فى القرن الســابع عشــر الميلادى والتى كان لها أثرها على الحياه كلها وامتد هذا الأثر الـــى مجــال الفلســفه ومــن هنا فقد ظهرت أفكار شتئ فى هذا العصر كفكرة التعــاقد الاجتمــاعى التــى تقــترن باســم (جان جاك روسو) ومذهب الآلية الذى يقترن باسم توماس هوبز وذلك على عكس ما حــدث فى القرنين التاسع عشر والعشرين فقد ظهرت المذاهب الفلسفية التـــى تعيــد إلـــى الانســان اعتباره وتثبت لدكيانه ..... الخ [1]

---

(١) نظرية فى نشأة الدولة والقانون تردا الاجتماع إلى إتفاق بين الأفراد يدخلونه بمحض إرادتهم ويتنازلون بمقتضاه عن بعض حرياتهم ويتعهدون فيه باحترام حقوق وحريات وملكية الآخرين ويرفض الفكر الحديث نظرية العقد الاجتماعى علىأساس أنها نظرية افتراضية تقدم وجهة نظر مرفوضه فى أصل الاجتماع والقانون والدولة . أ . هـ

- راجع المعجم الفلسفى د/ عبد المنعم الحفنى ص ٣٠٧ ط الدار الشرقية الأولى ١٩٩٠م
- راجع اعلام الفلسفة الحديثة ص ٣٣ .

حياته :-

ولد توماس هوبز فى ما لمسبرى بانجلترا عام ١٥٥٨م وقد ظهر فى الفترة ما بين بيكون وجون لوك . نعم توماس بدراسة عالية فقد التحق بجامعة اكسفورد فى الخامسة عشر من عمره ومكث بها خمس سنين فيها تلقى المنطق المدرسى والطبيعيات دون كبير اهتمام وقد اهتم هوبز فى مطلع شبابه بدراسة الاداب القديمة وبخاصة للمؤرخين والشعراء القدامى .

وقد التحق بخدمة أسرة وليم كافندش الارستقراطية العريقة للقيام بتربية ابنائها والاشراف على مصالحها الخاصة وكان ذلك ايذانا بتوسعه أفقة حيث أطلع على مكتبه تلك الاسرة المثقفة فأفاد منها كثيرا ولم يمنعه عمله كمربى ومؤدب من مصادقة بيكون (فرنسيس) والعمل معه كسكرتير لاعماله فى أواخر حياة بيكون وقد تلقى توماس دراسته الرياضة فى سن الاربعين عندما وقع له بطريق المصادفه كتاب هندسة اقليدس فأخذ يتابع قراءته مع اهتمام بالغ حتى اكمله وقد اعجب هوبز أيما اعجاب به . وأقتنع بالاستدلال الرياضى وجعله اعلى مرتبه من مراتب الاستدلال . وقد تلقى دراسة الرياضية والطبيعية فى باريس فتعرف بجاسندى وديكارت . وكان ذلك فى سنه ١٦٢٩م – ١٦٣١م- وقد كتب هوبز اعتراضات على كتاب التأملات لديكارت تبين من خلالها منهجه المرتب وقدر ديكارت على هذه الاعتراضات وقال ايه لو اسهب فى رده لاعطاها أكثر مما تستحق من قيمة . وكان هوبز كما يرى بعض الكتاب ميالا لشرب الخمر حتى الادمان وكان هذا شائعا فى عصره [1]

* اشتغل هو بس بالكتابة والتأليف خصوصا فى العشرين سنه الأخيرة من حياته حيث تفرغ لذلك تماما حتى كانت عودته إلى موطنه الاصلى انجلترا بعد نشره لكتابه التنيين وذلك فى

---

[1] راجع - الفلسفة الحديثة - أبو ريان ص٥١،٥٣ .

حكم ملك البلاد أو ليزكرومول وكانت كتابات هوبر قد يسرت له لقاء الاطـــراف المتنازعـــه خاصة كتاباته التى دعت للملكية ساعدته فى توثيق صداقته شارل الثانى . وأيضا بما تضمنتـه من معارضة للحق الالهى للملك مهدت له السبيل والخطوة عند كرومويل ومن هـــا استمر مقامة فى انجلترا فى مقام الملك وحتى وفاته منيته سنه ١٧٦٩م. وهو فى الحادية والتســعير من عمرة . [٢]

وهذه الحياه الحافلة لهوبز يتبين منها :-

* انتقاله من الكلاسيكيات إلى الرياضيات ثم إلى ميدان الطبيعة المحسوسة والادراك الحســى ثم انتقل إلى ميدان السياسة وكتب رسالته فيها سنه ١٦٤٦م.

---

[٢] راجع - أعلام الفلاسفة ص ٣٤ .

مصنفاته

ومن أهم مؤلفاته :-

١-مبادئ القانون الطبيعي والسياسي . دونه سنه ١٦٤٠م

وقد قسمه إلى ثلاثة أجزاء

الاول :- في الطبيعة الإنسانية والمبادئ الأساسية للسياسة

الثاني :- في البيئة الاجتماعية

الثالث :- فيما يتعلق بشئون المواطن .

وقد أرجع هوبز علل الاشياء إلى الحركات المختلفة ورأى أن مهمة الفلسفة هي البحث في العلاقات بين العلل ومعلوماتها وقد ادى به هذا الامر إلى الدخول في ميدان الطبيعة والرياضة معا الأمر الذى ساعدة على تكوين مذهبه المادى

٢-**كتاب التنين** :- نشر بعد عشرة أعوام من الأول ويسمى لاوياثان (التنين المذكور في سفر أيوب – محصل ٣ فقره ٢٨ وفصل ٤٠ فقرة (٢٠) ويراد به (الحكم المطلق الذى ينبغى أن تصهر فيه سائر القيم والكيانات .)

* كتبه في أثناء تواجده في باريس وكان يحرره أثناء تجواله وفي جيبه مذكرة وقلم ويكتب ما يتداعى له من أفكار

وقد عالج فيه مسائل تتصل بالمجتمع الكنس والمدنى وأيد في هذا الكتاب جماعة الموالين للملك وهم الذين اتفقوا مع الطبقة المتطهرة (البيورتان) الطبقة المنتصرة أنذاك وكان لذلك

أثرها البارز فى حماية أموال الأولين ونزواتهم من القتل والتبديد . وكان من ضمن هذه الأسر المالكة أسرة كافنديش التى كانت ترعى هوبز . (١)

٣- رسالة موجزة فى السياسة

كتبها سنه ١٦٤٦م وقد وضع فيها سلطة الملك العامة وحقة فى تقرير سيادته المطلقه من نحو إعلان الحرب واقرار السلم وفرض الضرائب وكانت هذه الرساله بمثابه خيفة من هوبز من رجال البرلمان والذى كانوا يضيقون سلطة الملك . ففرا هاربا الى فرنسا حتى لا يعتقله البرلمان ويحاكمه وظل مقيما بها حتى علم ١٦٥١م .

٣- فى الجسم ويحتوى على المنطق والمبادئ الاساسية والفلسفة الأولى ونظرية الحركات والمقادير سنه ١٦٥٥م

٤- فى الانسان سنه ١٦٥٨م وقد خصص القسم الاكبر منه فى البصريات لتوضيح حاسة البصر والباقى بيان موجز فى اللغة من الوجهة النفسية وفى الانفعالات .

وله مؤلفات أخرى منها تراجم شعرية للإلياذ والاوديسا لهوميروس (٢)

---

(١) راجع الفلسفة الحديثة أبو ريان

* راجع ايضا تاريخ الفلسفة الحديثة - يوسف كرم ص ٥١ ، ٥٣

من هنا فقد كان اتجاه هوبز للسياسية كرد فعل للحركة الثورية والتى استولت على السلطة بزعامه كرومول فدعا فى فلسفته إلى الرجوع للنظام الملكى حتى يضمن لنفسة العيش العادى الذى كان ينعم به من قبل .

(٢) راجع اساطين الفكر السياسى ص ٣١٨ .

راجع ايضا - اعلام الفلاسفة ص ٣٥ .

فلسفته

قبل أن نتكلم عن فلسفة هوبز نود أن نشير فى إيجاز إلى أهم البواعث التى دفعته للتحول من الكلاسيكات الى الرياضيات إلى الطبيعة المحسوسة والادراك الحسى ومن كل ذلك لطرق باب التفلسف فنقول إن هناك باعثين هما

الاول :- إعجابه بالهندسة الاقليدية وبالنسق الاستباطى [١] المحكم الذى الذى يربط بين تعريفاتها ومصادراتها ونظرياتها وبنى على ذلك جميع الاستدلالات الرياضية .

الثانى :- تأثره بالمادة أو بمعنى أخص بالاحساس وهنا رد كل شئ إلى المادة والحركة بواسطة معرفة الارتباط العلى بين الحادثات . [٢]

أولاً :- العالم

يقرر هوبز كما قرر الفلاسفة الطبيعين من قبل من أمثلة ديمقريطس وأبيقور .

أن العالم يتكون من درات صغيرة تتلاقى بمحض الصدفه وتتكون منها الكتل والأجسام وهكذا فى كل شئ بما فى ذلك الإنسان نفسه ذلك الكائن المعقد .

---

[١] (استباط) استدلال استنتاجى ينتقل فيه الفكر من العام إلى الخاص ومن المبدأ إلى النتيجة ويسمى الاستباط من مقدمة واحدة استدلا لا مباشرا ومن مقدمتين استدلالا قياسيا . وهو خاص بالعلوم الرياضية وفيه يعتمد اللاحق على السابق فى تسلسل دقيق وكل قضية مستنبطة يكون لها ترتيبها المعين الذى لا تفقده أبداً

راجع المعجم الفلسفى - ص ١٩

(٢) اتجاهات الفلسفة الحديثة د/ على عبد المعطى ص ١٩ . ٢٠ ط المعرفة الجامعية ١٩٩٣م

فالمادة والحركة (حركة الذرات) هى الأساس الأول الذى تتبع منه كل الأشياء وما سائر العمليات الأخرى ماهى الا مجردا شتقاق منها والعمليات العقلية والنفسية والشعورية كلها تدور فى نطاق التحول المادى . وهوبز يريد أن يؤكد أن المعرفة هى أحساس تتمثل فى ضغط الموضوع الخارجى على العضو الحساس سواء بطريق مباشر كاللمس والذوق أو بتوسط مثل الرؤية والسمع والشم .... الخ وأن هذا الضغط على الأعضاء الحية يسبب حركات فى الدفاع فتدرك لونا أو صوتا ..... الخ فالمعرفة - إحساس يتمثل فى أثير المخ إلى القلب عن طريق الذرات المادية المتمثلة مثلا فى العواطف - فيكون فى القلب لطفا وحنانا وهكذا تسيطر الالية على حياة الإنسان بل والكائنات من خلال فكر هوبز .[1]

- يرى أيضا أن الاحلام والرؤى ليست إلا خلطا من عمل المخيلة التى تستند إلى الذاكرة وان القوى الغيبة كالجن والشياطين وغيرها ليست إلا نتاج اضطرابات عضوية دلخلية تحدث فى الدماغ والاعصاب [2]

خلاصة الأمر عنده القول بأن المادة والحركة هما أساس كل شئ وعنهما تصدر الأشياء جميعها وأن كل الظواهر بشتئ صورها يمكن ردها إلى المادة والحركة فهو بزفيلسوف مادى آلى صرف .

---

(1) راجع - اتجاهات الفلسفة الحديثة ص ٣٠، ٣١، ٣٢

راجع تاريخ الفلسفة الحديثة - يوسف كرم . ص ٥٥ - ٨٨.

(٢) راجع اتجاهات الفلسفة الحديثة د/ على عبد المعطى ص ٣٣ .

المجتمع :-

دعا هوبز إلى فكرة التطور فى المجتمع الانسانى – فقد مر فى نظره بمرحلتين :-

أولهما :- البدائية :- وهى مرحله همجية وحشية غير موجهه سلوكيا وكان يرضـــى زمـــام غرائزه ويتعرف بإيحائها وتوجيهها دون ستار – من شرع أو قانون

ثانيهما :- المدنية وهى مرحلة موجهة نوعاما ولكن تسيطر عليها الرغبة والانانية فـــالفرد فى نظرية يحيا فى دنيا الذئاب البشرية التى تتربص به بعضها ببعض ويستعمل كـــل منـــهم أسلحته الخاصة به من نحو المكر والحيلة .... الخ كل ذلك فى سبيل سلامته .

فالحاجة واستشعار القوة يحملان الفرد على الاستئثار بأكثر ما يستطيع الظفر به من خـــيرات الارض وأن اعوزته القوة لجأ إلى الحيله . فالمرء يستبدل بالعنف المادى النميمـــة والافـــتراء والانتقام فى حدود القانون فالانسان يحسن الى الفقراء لينال حمدهم وتقديرهم ويحفـــو القـــوى على الضعيف ليشعر بزهو القوة . وكلما كان المرء اكثر اسنحة كان أكثر أمنا على نفسه مـــن احتمالات اذى الأخرين .

التعاقد الاجتماعى

هكذا نتسم الحياة الاجتماعية بالصراع والشقاق والنفور والاعراض ومن هنا فـــلا راحـــة ولا أناة فى عرف الناس ولذا كان الحاكم المنصب أداة لكبح جماح البشر هذا هو دور الحاكم وأمـــا الناس فعليهم كما يرى هوبز . (أن يتنازل كل فرد منهم عن حقه المطلق فى حـــال الطبيعـــة فينزل الأفراد عنه صراحة أو ضمنا إلى سلطة مركزية قد تكون فرداً أو هيئـــة تجمـــع بيـــن يديها جميع الحقوق وتعمل لخير الشعب)[1]

---

[1] **راجع أعلام الفلسفة الحديثة ٣٧ .**

وأما اقرار السلم فيتأتى كما يرى فى قوله

(أن أتنازل عن قوتى وبعض حقوقى اتجاه هذا الفرد أو هذه الحقيقة بشرط أن تتنـــازل أنــت الآخر عن مثل هذه الحقوق لنفس الفرد أو الهيئة) . [٢]

وفى هذا يقول (الا تصنع بالغير ما لا تريد أن يصنع الغير بك) [٩]

وهنا نلاحظ أن هوبز يخلع على الحاكم صفة الدكتاتورية تحت شعار المحافظة على الأمن

فيضع بين يديه جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية فلا خروج على الحـــاكم مــهما كان أمره فإذا حدثت الثورة فعلى الرعية أن تنتظر حتى يتغلب أحد الطرفين

•أما الديمراطية فما هى الا ارستقراطية خطباء فالسلطة حق تقرير المعتقدات الدينية والنواعــد الاخلاقية وحسم الخلافات لاقرار النظام [٢]

السلطة والدين

• تعتبر كما علمنا المعتقدات الدينيه أمرا خاصا يقرره السياسى الحـــاكم . والديــن ظــاهرة طبيعية أصلها الشعور بالضعف . وليس الدين فلسفة ولكنه شريعة . لا تتحمل المناقشـــة بــل تقتضى الطاعة العمياء [٣] ومن هنا فإن كان الحاكم يهوديا فهم يهود وإن كان نصرانيـــا فـــهم نصارى والناس على دين ملوكهم .

---

(٣) نفسه

(٣) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص٥٦

[٣] نفسه

[٣] نفسه

وما الشعارات والطقوس الدينية التى يؤديها الناس إلا كاقراص الدواء إذا ابتلعت افـــادت وإن مضغت كانت مرة المذاق .[٤]

فلسفة هوبز في الميزان

بعد هذه الاطلالة على فلسفة هوبز يمكننا أن تشير إلى مواطن القوة والضعـــف فـــى فلســفة الرجل من خلال ما يلى :-

أولا :- كانت نظريته (هوبز) فى الدولة بمثابة اعلان عن الدكتاتوريـــات التـــى لحقــت بــه فكانت بمثابة توطئة لها وظهر نظريته فيما يختص بالحاكم وعنفوانه فى الدكتاتوريات الحديثـة مثل النازية الالمانية والايطالية

ثانيا :- إن هذه النظرية ذات النزعة المادية المتطرفة انزلت الانسان منزلا دنيئا فاشـــبهتة بالاله الصماء فعقله ومشاعره وخواطره ومشاعره مجرد ذرات مادية لا تمتاز علـــى ســائر الذرات إلا بأنها الطف منها وهو فى هذا متأثر باليونانين السابقين كاديقرديس وأبيقور

ثالثا :- يلاحظ أن النزعه التشاؤمية تعدو وصفا ثابتا لنظرية هوبز فيما يختــص بعلاقــات الافراد بعضهم بعضا – فقد جعل الطبيعة شر محض واضفى على الناس صنــوف الكراهيــة والعدوان وقد اول فى سبيل ذلك نظريتة حول الحب والكراهية . فالرجل يذكرنا بموقفة هــذه بموقف اصاب المنفعة ممن يرون توقف الأفعال على من ينتج عنها من لذات . فـــالحب هــو الرغبة والكراهية تعنى اللا رغبة والاولى خير والثانية شر وإذا تحققت حدثت الســـعادة وإذا انتفت حدث الشقاء .

---

[٤] اعلام الفلسفة الحديثة ص ٣٩ .

رابعا :- يلاحظ على فلسفته أنه كان من انصار مذهب التعاقد الاجتماعي . في اختيار الحاكم وقد ارادهويز بنظريته هذه حول إرادة الشعب في اختيار حاكمهم تعزيز مكانه الاسرة المالكه في انجلترا فلم يكن هدفه قوميا اجتماعيا وانما كان سياسيا بحتا . وفكرة التفويض الالهي التي كست مذهبه حيث يقرران الملك أو الحاكم ظل الله في ارضة هي أشبه بالنظام الكهنوتي في العصور الوسطى والواقع أنه ليس هناك تفويض إلهي للملك ومن هنا سقطت مكانته وقد اضر بنفسه فهو سلاح هدام استخدمه هوبز من حيث لا يدرى .

وهذه الفكرة قد سبقه بها روسو .

الفرق بين تعاقد الأفراد عند روسو وعند هوبز

•فروسو يرى أن الناس بفطرتهم متحابون مثاليون ولقد تعاقدوا على الاجتماع لكي يوحدوا جهودهم في رقي الإنسانية [١]

• وأما توماس فيرى خلاف ذلك من حيث اعتبر ان الطبيعة الإنسانية طبيعة قوامها النفور والاعراض والعداء بين الناس .... الخ كما علمنا من قبل . [٢]

• وقد وجه بعض الباحثين إلى فكرة التعاقد نقدا غريبا مؤداه انها فكرة خيالية وليست اكثر من ذلك . إذ لم يقع بين الناس مثل هذا التعاقد [٣]

•كانت دعائم مذهب توماس هوبز مؤسسة للمذهب المادي الذي انتشر فيما بعد يد ماركس من حيث أعتبر الطبيعة خالقه وان الدين افيون الشعوب والحقيقة أن الدين الذي يستند الى ركائز قوية لا تضره مطلقا محاولات التعليل أو التحليل بل إن هذه الامور لاتضره مطلقا

---

[١] قصة الفلسفة الحديثة ص٦٤ .

[٢] نفسه

[٣] اعلام الفلسفة ص٤٠ .

محاولات التعليل أو التحليل بل إن هذه الامور تزيده قوة وتماسكا فى نفوس أنصـــاره وهـذه النظرية عند هوبز تنطبق على الاسلوب الكهنى المتخذ شعارا فحواه " خذ وأنت أعمى "

* أما فى الاسلام فقد وضع ضوابط عديدة فيما وراء العقل ودعا المعارضين إلـــى محاولـة الاتيان بشئ من مثل كتابه السماوى فقال تعالى (وإن كنتم فى ريب مما نزلنـا علـى عبدنـا فاتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)[٤] فالأديان التى تلاعـب فيها بنو البشر وغيرها وبدلوا شريعة الله هى التى تصلح للتحليل والتعليل لكشف ما بها مــن باطل .

• كما أن هوبز قد أعلن من خلال آرائه الجبرية البحتة فلا اختيار للمرء فيما يعتقد أو يديـن به بل عليه أن يتبع دين الملك وهذا يتنافى مع قواعد الحرية.

• اين هذا من قوله تعالى (لا إكراه فى الدين ....)[١] وقوله (أفانت تكـــره النـاس حى يكونوا مؤمنين)[٢] بل إن المسلمين قد عاشوا مع غيرهم إلى يوما هذا مع أصحـــاب النحل والملل والاديان الاخرى دون أن يكون هناك أى نفور بل أحب بعضهم بعضا ومن هنا كان تآلف بعضهم ودخولهم فى الإسلام .

* إن فكرة هوبز عن الحاكم الطاعن كما علمنا هى دعوة لعودة النظام الكهنوتى الاســـتبدادى ثم إنه لاعصمة إلا للانبياء كما نعلم فكيف يكون هذا الحاكم معصوما وهو مجرد لسان واحــد ومن هنا فانقطاع الشورى ورفضها منهج باطل لا أســاس لـــه ولا تبنـــى عليـــه مجتمعـات تريد النهوض بمجتمعاتها أين هذا من التوجيه فيما يعرض له وفى هـــذا نقــرأ قولـــه تعـالى

---

[٤] سورة البقرة رقم ٢٣ .

(١) سورة البقرة (٢٥٦)

(٢) سورة يونس (٩٨)

(وأمرهم شورى بينهم)[٣] وقوله (وشاورهم فى الامر) الى أخر وماقرره الاسـلام بـل أن حياة النبى صلى الله عليه وسلم تعد سجلا مشرفا لمنهج الشورى .

وإذا كانت هذه من هينات قد وجهت إلى مذهب وفلسفة هوبز – إلا أنه يحمد له

• إنه بفكريه عن الاحساس قد ارهص بفكرة سيقولها السلوكيون من بعده بحوالى ثلاثه قـرون وهى التى تقرر بأن العمليات العقلية يمكن ردها إلى الدوافع والاستجابات . [٤]

•يعتبر هوبز أحد رواد الفكر السياسى فقد تكلم عن علاقـة الحـاكم بـالمحكومين والقـانون والحرية والحكومة وإن جانبة الصواب فى بعض أرائه التى ذكرها من قبل .

•كما أنه ينبغى أن نعلم أن هوبز قد خالف أرسطو من جهة اعتبار أن الانسان مدنى بطبعـة حيث قرر أن ظروف الحياة وملابستها هى التى قادته للتعاقد مع الآخرين كى يضمن لنفسـه الأمن والطمأنينة [١]

---

(٣) سورة الشورى الاية رقم (٣٨)

(٤) اتجاهات الفلسفة الحديثة ص ٣٣ .

(١) نفسه ص ٣٣ .

ديكارت

الشك المنهجي

١٥٩٦ – ١٦٥٠م

أولاً :- عصـره

امتاز عصر ديكارت بتضاؤل سلطة الكنيسه فيه نوعـــا مـــا وتزايـــد ســـلطة العلـــم . وامتـــدت حياته أثناء حكمى هزى الرابع ولويس الثالث عشر ملكى فرنسا ثـــم بعـــد وفـــاة الأخـــير حتـــى أوائل عصر الفروند ووزارة مزاران وهى فتره اتســـمت بـــالهدوء والاســـتقرار ممـــا كـــان لـــه اثره على فكر ديكارت . وقد حول ديكارت التيارات السالفه قبلـــه إلـــى صفـــه - بدعوتـــه إلـــى تيار جديد جدد فيه ما كان مـــن اورجـــانون بيكـــون . إلا أن أعظـــم وأخصـــب المنـــاهج قبـــل ديكارت والتى اعتمدت على الرياضة كانت على يـــد معـــاصره جـــاليلو

أما بالنسبة للاتجاه الفلسفى فقد كان هنـــاك اتجاهـــان احدهمـــا :-

- **الشكاك الذى تنباه مونتينى وقد كان هذا المنهج** شائعا فـــى فرنســـا ، وإيطاليـــا وأســـبانيا فـــى وقت واحد .

- **إتجاه المجددين لتقديم من التراث اليونانى** . واتخـــذه بعـــض فلاســـفة ايطاليـــا فـــى القـــرن السادس عشر وحاولوا احياء وتجديد التراث اليونـــــانى ولقـــد رفـــض ديكـــارت هـــذه الإتجـــاه الاخير ودعا إلى العلم والمنهـــج العلمـــى .

ولقد برز فى هذا العصر الفنون خاصـــة فـــن البـــاروك . وهـــو فـــن يعطـــى للبـــاحث قـــدره **الاسهام على الابتكار وقد تأثر ديكارت بذلك - الا أنه اخضـــع جميـــع مظـــاهره لعقـــل مديـــر وإدارة حاكمة .**

(٦)

ديكارت

١٥٩٦ - ١٦٥٠م

ثانياً حياته :-

ولد رينيه ديكارت فى مدينة لاهى التابعة لمقاطعة تورين بفرنسا . من أسرة على جانب من الغنى واليسار . مما كان لذلك أثره فى حياته . العلمية والعملية . ولما كان ديكارت حاد الذكاء فقد التحق فى سن مبكرة بمدرسة اليسو عيين فى لافليش فى الثامنة من عمره . وكان يتمتع . ببنية ضعيفة [1] وكان دراسته بمدرسة اليسوعيين بمثابة توطئة لتحليل أفكاره حول التعاليم التى كان يدرسها الآباء الجزويت وقتئذ ، فلم يلبث أن غادرها بعد ثمان سنوات ناقما على ما فيها - فلقد عجز الفلاسفة عن حل المسائل التى اخذوا أنفسهم محلها واختلفوا فيما بينهم اختلافا بلغ من الحدة أنك لاتكاد ترى بينهم رجلين أثنين على اتفاق فى الرأى ومن هنا نراه يقول عن نفسه (ازمعت ألا أنشد من العلم إلا معرفة نفسى أو الالمام بسفر الكون العظيم ....) وقد درس ديكارت فى مدرسة اليسوعين . منطق ارسطو وفلسفته كما الم بعلوم عصره كالرياضيات والتى راى فيها الغنية عن شكوك الفلسفة واقبل عليها حتى حذقها . غادر ديكارت مدرسة اليسوعيين وهو فى السادسة والعشرين من عمره ، وانتقل إلى لون أخر من التعليم وهو دراسة الحقوق

---

[1] فقد ورث عن أمة لونا شاحبا وسعلا لازمة إلى ما بعد سن العشرين وكانت أمة قد ماتت بداء صدرى بعد ولادته بوقت قصيره ومن هنا كان التحذير ممهداً لمحافظة ديكارت على حياته الصحية والالحق به بوالدته .

وساعده ذلك على التطلع على كتاب الكون ثـــم انخــرط فــى ضجيــج الحيــاة الاجتماعيــة – ولكنه وجد فيه الجفاء الذى يحول بينه وبين التطلع لما يريد وعـــن هــذا يقــول .

(أزور الملوك فى قصورهم ، وانخرط فى سلك الجيــوش وأبــادل الحديــث رجــالا مــن ذوى المناصب المتفاوته والطبقات المتبانية ولجمع مـــن التجربــة ألوانــا شــئ ....)

ولقد ساعده ثراء والدية على الانتقال من مكان الى مكان ومن الاخــذ بشــتى فنــون العلــم

وقد التحق بالجيش الهولاندى والالمانى خارج فرنســا لكــى يــدرس أحــوال البــلاد الاخــرى وكان قد التقى اثناء تطوعة فى جيش موريس دى ناســو بهــو لانــدا بطبيــب يدعــى إيــزاك بكمان فتبناحثا مما فى الرياضيات والطبيعـــة ومــن مخالطــة الجيــوش حتــى عــام ١٦١٩م وبالتحديد فى اليوم العاشر من نوفمبر وكان الطقس باردا ممـــا دعــاه للاعتكــاف فــى حجرتــه الدافئة ورأى فيها حلما عجيبا ولعل ذلك كـــان ايذانــا بمنهجــه الجديــد الــذى ســيعرضه فــى كتابه المقال عن المنهـــج .

وكان لرحلات ديكارت ونهمه الشديد فى طلب العلم أثره فى كســـاد ثروتـــه والتـــى بـــدأ يبيـــع ما بقيا منها ليعول به نفسه وهو فى هذا الامر معتكفا للبحـــث والدراســـة فـــى ربـــوع هولانـــدا . ويلاحظ على ديكارت أثناء إقامته فى هولندا والتـــى اســتمرت زهـــاء العشـــرين عامـــا أنـــه كان يغير مكان إقامته دائما لكى لايز عجه فى وحدته الهادئه أحـــد مـــن فئـــات المعجبيـــن بـــه الذين كانوا يودون زيارته من كـــل صـــوب .[1] وفـــى ســـنه ١٦٢٨ نـــال ديكـــارت شـــهرته

---

[1] راجع قصة الفلسفة الحديثة ص٦٦.

راجع ديكارت – نجيب بلدى ص٣٨ طدار المعارف ١٩٥٩م.

واسعة وذلك من خلال مجلس علمى ضم الكردينـــال دى بـــيرك وكـــان أو غســطينى المذهــب وديكارت والذى استطاع أن يعرض أراء توما (القدس) فـــى يســـر وســـهولة معارضـــا إيـــاه ومبيناً اقتراب مذهبه من الافلاطونيـــة الأوغســطينية .[1]

ثالثاً :- شخصية ديكارت

ويظهـــر مـــن خـــلال هـــذه المرحلـــة الطويلـــه والتـــى ذاع فيهـــا صيتـــه كـــاعظم فيلســـوف ورياضى أنتجه العصر - أنه كان مائلا للعزلة مخافـــة أن يصيبـــه مثـــل مـــا أصـــاب العلمـــاء من قبله على يد محاكم التفتيش قبل جاليلو الذى حكـــم عليـــه بـــالحرق ١٦٣٣م لقولـــه بـــدوران الارض ولذا لم ينشر ديكارت كتابة العالم الـــذى أخـــذ فيـــه بالنظـــام الفلكـــى الكوبـــز نيكـــى حتى لايحدث له مثـــل مـــاحدث لســـابقية وقـــد وصفـــه يرتدر اندســـل بـــالجين " قـــائلا عنـــه (ربما كان من الأكرام القول بأنه كان يروم أن يترك فـــى ســـلام لكـــى ينجـــز عملـــه دون أن يعكر صفوه معكـــر)" [2]

* مما سبق يتبين لنا أن شخصية ديكارت شابها شـــئ مـــن الغمـــوض والتوريـــة ولكنهـــا فـــى غالب أمرها تمتاز بالهدوء . وقد اتخذ ديكارت لنفسه مبادئ ثلاثـــه يســـير عليهـــا فـــى حياتـــه العلمية والعملية وهـــى :-

---

[1] راجع الفلسفة الحديثة . أيوريان . ص ٥٧ .

[2] تاريخ الفلسفة الغربية جـ٣ - ص ١٠٦

مبادئ ديكارت

أولا :- أن اطيع قوانين امتى وتقاليدها واحافظ على الديانة التـــى نشـــأت عليهــا.

ثانياً :- أن أكون راسخ القدم ثابت العزم فى أفكارى على قـــدر مــا أســتطيع .

ثالثاً :- أن اجتهد دائما فى أن أغالب نفسى لا أن أغــالب الاقــدار وأن أغــير مــن رغبــاتى ومطالبى الشخصية وليس من نظــام الكــون . "[1]

كما امتاز ديكارت بثقته الزائدة فى نفسه ويظهر ذلــك مــن خــلال عرضــه كتــاب التــأملات على مشاهد الفلاسفة ورجال الدين لا بــداء رايهــم وملاحظتهــم عليــه فقــام ديكــارت بعدهــا بنشر ملاحظاتهم ومعها الردود الخاصة بها مما يــدل علــى ايمانــه التــام بارائــه واســتعداده للدفاع عنها ودحض أى اعتراض يوجــه إليهــا .

نهاية المطاف

كان لشهرة ديكارت العظيمة أثرا عظيما فى استقطابه مــن لــدن الأمــراء وللملــوك للاســتفادة بعلمة وفى سنه ١٦٤٩ أرسلت إليه ملكة الســويد (كرســتينا أبنــة جوســتاف أدولــف) لكــى يعلمها الفلسفة وقد استطلعت قبل مقدمة عليها رأى قبطان الســفينه فيــه والــذى ابــدى اعجابــه بديكارت لانه فى نظره ليس إنسانا من البشر ومن هنا كــان قولــه لهــا .

---

[1] راجع اتجاهات الفلسفة الحديثة د / على عبد المعطى – ص ٥٥ وما بعدها .

(..... فإن من جنتك به إلى جلالتك اليوم الأقرب من مرتبه الآلهة . أنه زودني من العلم فى ثلاثة أسابيع فى شئون الملاحة والرياح أكثر مما تعلمت فى ستين سنه انفقتها فى البحار .) [٢]

وكانت ملكة السويد تمتاز بالحيوية والنشاط الجم ولذا فقد كانت تستيقظ مبكراً لتأخذ الدروس فى الفلسفة فى الساعة الخامسة صباحاً من ديكارت مما كان له أثره عليه حيث أنه كان لا يقوى على برد الصباح فقد كانت بنيته ضعيفة فقاس كثيرا فى طريقة من مكنه إلى القصر فقرر مغادرة السويد ولكن الملكة الحت عليه فى البقاء فاصيب ببرد شديد فى رئتيه مما اودى بحياته سنه ١٦٥٠م فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير عن عمر جاوز الخمسين من عمره .

رابعاً :- مصنفاته

إذا كان برتداندرسل قد وصف ديكارت بالجين فيما يخص شخصيته فإنه قد وصف مؤلفاته بأن فيها عذوبة لانجدها عند أى فيلسوف سابق بارز منذ أفلاطون وكل الفلاسفة الذين جاءوا بينهما كانوا معلمين مع التفوق الاحترا فى الذى ينتمى إلى تلك المهنة وديكارت يكتب لا كمعلم ولكن مكتشف متلهف لإذاعة ما وجده وأسلوبه سهل لا تحذلق فيه موجه إلى أذكياء الناس فى الحياة لا إلى تلاميذ وهو فوق ذلك أسلوب ممتاز قد ومن حسن حظ الفلسفة الحديثة أن يكون لرائدها مثل هذا الحس الأدبى الرائع .

---

[٢] راجع قصة الفلسفة الحديثة ص٦٦ وما بعدها.

أهم مؤلفاته

مقال عن المنهج سنه ١٦٣٧ وقد بين فيــه الطريــق لاســتخلاص المعــارف التــى يوثــق
م إليه ثلاث وسائل فى البصريـــات ، والآثــار العلويــة والهندســة وتوصــل مــن خــلال
التة فى الهندسة إلى اكتشاف الهندسة التحليلية التى ضـــم بهــا الجــبر إلى الهندســة وجعلهــا
حت علم واحد .

اشتهرت رسائله هذه فى بداية الأمر بعيدا عـــن المنهـــج الــذى اعتــبره وأخــذا بــه لكــن
عان ما تبدل الأمر وركز الاهتمام من لدن المثقفيــن علــى منهــج ديكــارت الأمــر الــذى
، بعض الجامعات الأوربية . والمصرية تحتفى بذكرى مرور ثلاثـــة قـــرون علـــى وضـــع
هج الديكارتى سنه ١٩٣٧ وهذا الأمر طبيعـــى قـــد لازم عـــددا مـــن المفكريـــن الاوربييـــن
سلمين على سبيل المثال وجدنا عالم التاريخ ابن خلدون والـــذى اشـــتهر بمقدمتـــه كأنـــه لـــم
ب غيرهـــا . [1]

وقد وضع ديكارت فى كتابة المقال عدداً من القواعد التى قرر مـــن خلالهـــا تـــألف المنطـــق
حديث وتبين من خلالها منهجة وهى على النحـــو التـــالى .

---

[1] راجع أعلام الفلسفة – د / رفقى زاهر – ٤٧ وما بعدها .

قواعد ديكارت

أولاً :- " **قاعدة اليقين** " وتتمثل في قوله . ألا اقبل شيئا على أنــــه حــق مــالم أعــرف يقينــا أنه كذلك في وضوح وتميز بحيث لا يكون فيه مجال للشــك بحــال مــن الأحــوال .

ثانياً :- قاعدة التحليل – وتتمثل فــي قولــه أن اقسـم المشـكلة المطروحـة للبحـث إلـى اجزاء على قدر المستطاع وعلى قدر ما تدعو الحاجة إلى حلهـا علـى خـير الوجـوه .

ثالثاً :- قاعدتا التأليف والتركيب أن أقود أفكــارى بنظــام بادئــا بأبســط الامــور وأســهلها معرفة منتهيا باكثرها تركيبــا

رابعاً :- قــاعدة الاســتقراء – وتتمثــل فــى قولــه أن أعمــل فــى كــل الاحــوال مــن الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلنى على ثقه من أننــى لــم أغفــل شــيئا[١].

وهذه الطرق والقواعد السالفة الذكر تعبر باختصــار عــن الاجــراءات التــى تتبــع فــى حــل المشكلات الأصلية فى الهندسة وهو من خلالها يقود الفكــر إلــى الوضــوح والبيــان والتميــيز بين الأشياء وقد طالب الباحث فى طريقــه بتحليــل المعضــلات والمشــكلات التــى تعــترض طريقة ثم ينظم ويرتب أفكاره على أساس منطقى واخيرا ينظــر إلــى موضــوع بحثــه نظــرة شمولية من جميع النواحى متوخيا فــى ذلــك كلــه النظــام والدقــه وصــولا لكمــال المنهــج الاستقرائى الذى ركز عليه بيكــون ســالفا .

---

(١) راجع مقال عن المنهج لديكارت نقلا عن كتاب دراسات فى الفلسفة الحديثة ص٩١ .

مستأصلا بذلك جذور المنهج المدرسى ورواسبه من الفلسفة .

* وقد اعتمد ديكارت على مناهج الحدس (المعرفة المباشرة العقلية بلاوساطة) والاستنباط البرهانى . والتى تنتج به قضية من قضية أخرى أو عده قضايا . وثنى ذلك بالتجربة والتى تساعد على اكتشاف هذه النتائج . ومن هنا فهذه هى المراحل التى يتعين على الباحثين ابتاعها للوصول إلى المعرفة اليقينية بشترط اجادة استخدامها .[٢]

ثانياً :- التأملات فى الفلسفة فى جزئين ١٦٤١ ويشتمل هذا الكتاب على تأملات ستة هى

* **التأمل الأول** :- فى الأشياء التى يمكن أن توضع موضع الشك.

* **التأمل الثانى** :- فى طبيعة النفس الإنسانية وأن معرفتها أيسر من معرفة الجسم .

* **التأمل الثالث** :- فى وجود الله .

* **التأمل الرابع** :- فى الصواب والخطأ .

* **التأمل الخامس** :- فى ماهية الإشياء المادية والعود إلى الله ووجوده .

* **التأمل السادس** :- فى وجود الأشياء وفى التمييز الحقيقى بين نفس الإنسان وبدنه [١]

---

[٢] راجع أندريه كريسون - ديكارت ترجمة حسن شحاته سعفان ص ١٨ وما بعدها ط الانجلو المصرية ١٩٦١م.

[١] راجع مراجعات فى الفلسفة الحديثة .(٩٣)

ثالثا :- كتاب مبادئ الفلسفة (١٦٤٤) ومعه عـــرض ديكـــارت لمعظـــم نظرياتـــه العلميـــة ويشتمل على أربعة أجـــزاء :-

الأول :- فى مبادئ المعرفـــة

الثانى :- فى مبادئ الأشـــياء الماديـــة .

الثالث :- فى العالم المنظـــور .

الرابع :- فـــى الأرض .

رابعاً :- قواعد لهداية (لارشـــاد) العقـــل ســـنه ١٦٣٠م .

خامساً :- رسالة فى انفعالات النفس سنه ١٦٤٩ وتناول فيه بالبحث المشكلة الأخلاقية.

وأخيرا كتاب العالم والذى امتنع عن نشره لما علمنـــا ســـابقا مـــن ســـخط الكنســـية وســـلطتها وقتئذ وقد رفضت أى أفكار حـــول دوران الأرض ولا نهايـــة العـــالم وقـــد نشـــرت مقتطفـــات من هذا الكتاب بعد وفاة ديكـــارت .[1]

---

[1] راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٩٣ وما بعدها .

أولاً الفلسفة

الفلسفة عند ديكارت مفهوم واسع وشامل فهى منهج استنباطى يقوم على ربط المعانى معيارها الوضوح والجلاء وهى المعرفة الكاملة المستنبطة من العلل الأولى وهى معرفة ذات نفع عملى فهى لا تبعد عن الحياة العامة كفلسفة المدرسيين بل يجب أن يستفيد منها الإنسان لإصلاح أخلاقه وهداية حياته . وإذا أنها ترشدة إلى الخير الاسمى يصبح مسيطرا على الطبيعة . وعلى الموجودات الأخرى فالفلسفة نظام شامل للبشرية يدخل فيها علم الله وعلم الطبيعة ويشترط ديكارت لهذه المعرفة الشاملة شرطين :-

الاول :- أن تكون واضحة وضوحاتاما بحيث لا يمكن الشك فيها بحال من الأحوال .

الثانى :- أن تعتمد عليها معرفة الأشياء الأخرى بحيث يمكن معرفتها بدون هذه الأشياء فى حين لا تعرف هذه الأشياء بدونها . [1]

---

[1] راجع الترجمة العربية لكتاب المبادئ - لديكارت ت د/ عثمان أمين المقدمة ص ٤٦ وما بعدها .

(هـ٧)

أقسام الفلسفة وفروعها

الفلسفة عنده أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقيا والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الاخرى والتي تنتهي إلى ثلاثه علوم رئيسية هي الطب والميكانيكا والاخلاق .

الميتافيزيقيا وتشمل على مبادئ المعرفة جزؤها الأول ما يشمل على ما يفسر أهم صفات الله وروحانية نفوسنا وجميع المعاني الواضحة المتميزة الموجودة فينا .

أما الفيزيقيا يبحث فيها عن ما هية الكون باسره بعد أن يكون قد وجد المبادئ الحقه للماديات وعن طبيعة الأرض وجميع الاجسام لاسيما الانسان وطبيعته حتى يتسنى استكشاف جميع العلوم النافعة له ، وصولا إلى العلوم الرئيسة المتمثله في الطب والميكانيكا والاخلاق ويعنى بالاخيرة الأخلاق الارفع والأكمل التي لما كانت تفترض معرفة تامة بالعلوم الأخرى فقد بلغت المرتبة " الاخيره في مراتب الحكمة " ولقد كان تصنيف ديكارت للعلوم النافعة تصنيفاً مبسطا قصد من ورائه الوصول إلى العلوم التي تخدم الإنسان وتحقيق منفعته الرئيسة .

لقد مربنا سابقا أن منهج ديكارت يعتمد على قواعد وهذه القواعد تمر بدائرة الحدس والاستباط والتجربه وهو في هذا كله يرى أن المنهج السليم الواجب الاتباع هو المنهج الرياضي .

ويستخدم ديكارت منهجة للكشف عن مبادئ ما وراء الطبيعة حيث يبدأ مساره من إثبات وجود الذات المفكره أي الجوهر النفسي ثم ينتقل إلى إثبات وجود الجوهر الإلهي ومنها يصل إلى إثبات العالم الخارجي .

ثانياً الشك الديكارتي

الشك المنهجي والكوجيتو

قبل أن نتكلم عن الشك المنهجي عند ديكارت ينبغي أن ننـوه إلـى أمـر هـام يتعلـق بثـورة الشك التي اجتـاحت أوربـا واوشـكت أن تعصـف فـي قسـوة بمسـلمات النـاس وحقـائق الحياة وإذا كان السوفسطائيون في القرن الخـامس ق . م قـد شـككوا النـاس فـي معـارفهم واستطاع سقراط أن يلجم أفقارهم فقد استطاع ديكـارت أن يعـود بالنـاس مـن دائـرة الشـك إلى دائرة الإيمان وقد اتخذ ديكارت الشـك المرتـب أو المنهجـي كتمهيـد للفلسـفة وبـدأ بـه كطريق موصل إلى الحقيقة وهو في شكله لاينكر الحقائق مطلقـا بـل يثبتهـا وصـولا الحقيقـة المطلقة [1] .

وفي هذا الإطار المرتب فإنه يفترض منذ البداية أن ذهنـة صفحـة بيضـاء لا أثـر فيهـا لأي نوع من التحصيل المعرفي وهذه مرحلة تطهيريه يبدأ الذهن بعدهـا فـي اقامـة معارفـه علـى أساس من الحدس والاسـتنباط .

على عكس الشك الارتيابي والذي يغلق علـى نفسـة دائـرة ضيقـة لا يريـد الخـروج منهـا ويرفض الاعتراف بامكانية هـذا الخـروج .

---

(١)

* ويمكننا أن نلاحظ الفرق بين الشك المذهبى والشك المنهجى فيما يلى :-

الشك المذهبى	الشك المنهجى
١- يعد مذهبا لصاحبه فى حياته وتفكيره .	١- يعد منهجا لصاحبة فى تفكيره فقط
٢- دائم لان صاحبه لا ينوى تغييره	٢- مؤقت لأنه ينتهى إلى الوصول إلى الحقيقة
٣- غاية فى ذاته وليس وسيلة..	٣- وسيلة للوصول إلى اليقين وليس غاية
٤- هدام لأنه لا ينفع المجتمع	٤- بناء نافع للحضارة وللمجتمع
٥- من أعلامه بروتاجورس والذى جعل الإنسان مقياسا لكل شئ	٥- من أعلامه الغزالى وديكارت

وفى هذا يقول (وكانت رغبتى شديدة دائماً فى أن أتعلم كيف أميز الحق من الباطل كى أكون على بصيرة فى أعمالى ولكى أسير على هدى فى حياتى)

وكما علمنا فأنه ينبغى على الطارق لباب الشك المنهجى أن يستقل استقلالاً تاماً بعقله ويتحرر من التقليد والتبعية الفكرية وأن يتخلص من الأوهام والأحكام السابقة وفى هذا الاطار نتذكر منهج بيكون الذاتى -ويرى ديكارت ان من لم يستطع فعل هذا الأمر فعليه ألا يقرع باب الشك ويصفهم بأنهم قليل جداً .

ثم تلى هذه المرحلة (مرحلة التجريد التـــام) مرحلـــة اليقيـــن الفلســـفى وفيهـــا يصـــل الشـــاك
لقمة اليقين ولو فرض له نوع شك واحد لم يصـــــل بعـــد يقـــول فيكفينـــى لرفضهـــا جميعهـــا أن
يتيسر لى أن اجد فى كل واحد منها ســـــبيلاً للشـــك .

• فيجب التخلى عن كل المعارف التى يكون فيها سبب للشك وصـــــولاً للمعـــارف اليقينيـــة وهـــذا
الفعل نراه على الواقع العملى كحـــال المهنـــدس المعمـــارى الـــذى يعـــد للحفـــر فـــى المكـــان
المطلوب اقامة البناء عليه ثم يقوم بأزالة كل الرمال والمخلفات حتى يصـــــل فـــى النهايـــة الـــى
أرض صلبة يستطيع أن يشيد عليها ابنيـــة راســـخة .

* ومن هنا كانت مراتب الشك عنده على النحـــو التـــالى

أولاً:- الشك فى المعارف الحســـية :-

ثانياً :- الشك فى المعارف العقليـــة

ثالثاً :- الشك فى الواقع كله بصفـــة عامـــة

* إ نه الشك الذى لا يبقى احد فى الكون إلا الشـــاك نفســـه .

وعن الأولى يرى أن الحس كثيراً ما يخدعنا فلا يجب الوثوق به وضـــرب مثـــالاً علـــى ذلـــك

* انه كان يحلم بالليل بأنه جـــالس إلـــى جـــوار المدفـــأة بينمـــا يكـــون فـــى الواقـــع مســـتلقياً
فى سريره حينذاك وهكذا تدفعه الرؤية المناميـــة أيضـــاً إلـــى الشـــك فـــى الواقـــع المحســـوس
بصفة عامة .

ومع هذا لا يهتدى لما رآه يقظة أهو منامآ أم يقظة ويقول عن الحواس فى نص آخر له . كل ما تلقيته حتى اليوم وآمنت بأنه أصدق الأشياء وأوثقها قد اكتسبته من الحواس غير أنى جربت هذه الحواس فى بعض الأحيان فوجدتها خداعة . ومن الحكمة ألا نطمئن كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة)) [1]

وأما من الناحية العقلية فيعتريها الشك أيضاً ؛

فإن ٢+٣=٥ تصدق دائماً وفى كل الأوقات ، وإذن الابحاث الرياضية يجب ان تكون صادقة دائماً – ولكن كما يرى ديكارت ربما كان هناك شيطان ماكر خبيث ذا يد يخدعنى ويرينى الحق باطلاً والباطل حقاً – فضلاً عن كون الرياضيات تتسم باليقين الداخلى ، وليست الواقعية فالذهن يقف عندها ويدور فى افكارها ومن ثم فلن يكون له إتصال بالواقع . [2]

*وبهذا يكون ديكارت قد إنتهى إلى مرحلة الشك الميتافيزيقى (المنهجى) إلى الشك فى كل شىء ولم يقف ديكارت بشكله عند هذا الحد بل جعل شكله بداية إيجابية للوصول من خلالها إلى موضع افضل من وسط الغابة على حد تعبيرة وهذا ما نلمحه فى الصفحات التالية :–

---

(1) راجع التأملات ص ٧٠ وما بعدها . . .

(2) راجع الفلسفة الحديثة ابو ريان ص ٧٥.

اليقين الأول

إثبات النفس

" الكوجيتو " إثبات وجود الذات المفكرة

إبتدأ ديكارت با ثبات وجود ذاتا مفكرة تشك فيما حولها واستطاع من خلال عبارته المشهورة

((أنا أفكر فأنا موجود)) او أنا أ فكر إذن فأ نا موجود))

أن يثبت وجود الذات ولكن كيف،نقول: بدأ ديكارت فى تقسيم النفس إلى شقين الجسم والنفس ، وقد ابتدأ بإثبا ت النفس تاركا الجسم الآن لأنه فى نظره من العالم الخارجى .

* ويقرر ديكارت أنة إذا صح الشك فى كل الحقائق فإن حقيقة واحدة لا يمكن أن يتطرق

إليها الشك وهذة الحقيقة هى أنة يشك فالشك عملية فكرية تقتضى ذاتا مفكرة وهذا الموصوف هو النفس الإنسانية التى تمارس عملية الشك أوالتفكير .ويتضح من خلال كوجيتو ديكارت أن وجود الذات ليس شيئا آخر غير الفكر والفكر بدورة هو العقل أوالروح وهذة المعرفة عندة تسمى بالمعرفة الاولى . [1]

---

[1] راجع دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ١٠٤

" اليقين الثانى "

إثبات وجود الله

يرى ديكارت ان وجود الإله فكرة فطرية مغروسة فى النفس الإنسـانية فلكـل فكـرة نفسـية مدلولا خارجيا . حقيقيا فلابد من القول إنـة اللـه. اللامتنـاهى " [1] فكـل فـى نفسـة تخيـلا لموجود لامتناهى له أسمى الكمالات وهذا الموجود هو سـبب وجودنـا وعلـه وجـود جميـع الأشياء ولما كان كل منا موجودا متناهيا فكل فى نفسة تخيـلا لموجـود الامتنـاهى لـه أسـمى الكمالات وهذا الموجود هو سبب وجودنا وعله وجـود جميـع الأشـياء لمـا كـان كـل منـا موجودا متناهياً ناقصاً [2] فلا يمكن أن نتخيـل أو نؤلـف مـن تلقـاء أنفسـنا أى فكـرة عـن موجود كامل لامتناهى وما دامت هذه الفكـرة موجـوده لدينـا فـلا بـد وانهـا صـادرة عـن موجود لامتناه كامل له وجوده الفعلى المستقل عن فكرتنـا عنـه وإذن فاللـه موجـود .

* فالحقيقة الأولى تتمثل فى أن الإنسان شئ ناقص ومعتمـد علـى غـيره .

والحقيقة الثانية مضمونها أن كل من يعرف شيئاً أكمل فـى ذاتـه لا يمكـن أن يكـون خـالق وجوده ومادامت هذه المعرفة لا يمكن أن تكون صادرة مـن ذاتـه فيجـب أن تكـون صـادرة من موجود له الكمال اللانهـائى

(١)

(٢)

ومن هنا فلو خلق كل إنسان نفسه لمنحها من الكمال ما يروقه ومن المستبعد أن يخلق إنسان إنسانا أخر فإن تكميل النفس أيسر من خلق الغير وأحق بالعناية فالانسان يعتمد على غيره وهو الله الذى له كل كمال فمعرفة الذات تتضمن معرفة وجود الله وفى هذا يقول ديكارت .

.(وإنى أتصور هذه المشابهه المتضمنة لفكرة الله بعين الملكة التى أتصور بها نفسى أى أنى حين أجعل نفسى موضوع تفكيرى لا أتبين فقط أنى شئ ناقص غير تام ومعتمد على غيرى ودائم النزوع والاشتياق إلى شئ أحسن وأعظم منى بل أعرف أيضا فى الوقت نفسه أن الذى اعتمد عليه يملك فى ذاته كل هذه الأشياء العظيمة التى أشتاق إليها والتى أجد فى نفس أفكارا عنها وأنه يملكها لاعلى نحو معين أو بالقوة فحسب بل يتمتع بها فى الواقع وبالفعل وإلى غير نهاية ومن ثم أعرف أنه هو الله [1]

---

[1] يقول ديكارت (... فقد وضح لى كل الوضوح أن يقين كل علم وحقيقته إنما يعتمدان على معرفتنا للإله الحق بحيث يصح لى أن أقول إنى قبل أن أعرف الله ما كان بوسعى أن أعرف شيئا أخر معرفة كاملة)

راجع التأملات ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

الدليل الانطلوجي

بعد أن وصل ديكارت إلى الإله أو إلى فكرة الألوهية وصل من خلالها إلى وجود الإله لأن الوجود هو إحدى صفات الكمال التي لا تتصور ذات الإله بدونها .

فمن يتسن له فهم الوجود وغيره من صفات الكمال لابد أن يستنبط فكرة الإله أو الكائن الكامل الموصوف ضروره بهذه الصفات .

وهذه الإله له جميع صفات الكمال والشرف وهي أمور ليست زائدة ولا تسبق إحداهما الأخرى لا في الوجود ولا في الماهية لأنها ليست مختلفة في ذاته .

وإله ديكارت أيضا ليس خالقا للعالم المادي فحسب بل هو أيضا الموجد لكل حقائق العالم العقلي وهذا ما يتفق تماما مع نظرية الخلق المستمر الديكارتيه التي تذهب إلى أن وجودنا يصبح ثابتا بقدر ما يكون هناك موجود . يرفعنا في كل لحظة من العدم ويقيمنا في كل لحظة في الوجود أي بقدر ما كان وجودنا مستمرا [١] .

---

[١] ديكارت نجيب بلدي – ص ١٣٥ – القسم الثالث
راجع أيضا اتجاهات الفلسفة الحديثة – ص ٩٥ .

اليقين الثالث

إثبات وجود العالم المادي

رتب ديكارت مقدماته وحقائقه اليقينه وصولا إلى الله عز وجل فبعدما انتهى من إثبات وجود ذاته وإثبات وجود ذاته وإثبات وجود الاله والذى وصفه بأحسن وصف وبأجل تقديس رتب على وجود الله يقينا ثالثا وهو إثبات العالم الخارجي ولكن كيف ذلك .

علمنا سالفا أن ديكارت قلل من دور الحواس في الإدراك ورفض الاعتماد وعليها كمصدر للمعرفة .

* فكرة الامتداد الذهبي

ويعطينا مثالا على مشاهدة ومعرفة الأشياء الخارجية إنه مثال الشمعة :- حيث يرى .

إن ما تعرفة من الشمعة ليست هي الصفات الظاهرية التي تدركها بالحواس كاللون والرائحة مثلا .... الخ حيث إن هذه الصفات قد تلاشت من الشمعة نتيجة الحرارة والذى يظل من الشمعة وما تدركة فيها ادراكا واضحا ومتميزا هو إمتدادها ولكنه ليس الامتداد أى ما يدركه الذهن من ماهية الشمعة ويراه رؤية جليه ومتميزة أو بلمحة من لمحات الذهن . [1]

---

[1] راجع اتجاهات الفلسفة الحديثة ص ٨٣ .

فالامتداد صفة للعالم الخارجي هو وحدة الصفة الأولى وهو جوهر المادة أما بالنسبة للصفات الاخرى كاللون والرائحة فما هى الا صفات ثانوية . يعرفها الانسان عن المادة .

ومن هذا المنطلق فإن معرفة الامتداد الخارجى (الذهنى) للعالم أو المادة لا يكون بالحواس وانما سبيله ، الأفكار الواضحة المتميزة أو ما يعرف عنده بالنور الفطرى والذى بواسطته . تستطيع أن نميز الموجودات الخارجية ومن بينها أجسادنا فالشمعه قبل تسخينها كانت نحوى صفات حديدة منها الصلابة والقوة وامكانية صدور الصوت منها عند طرقها باليد .... الخ لكنها بعد تسخينها زالت عنها تلك الصفات الثانوية والتى خدعنا الحس من خلالها ولم يبق منها الا شئ ممتدلين كالعجين يترك شيئا لا يمكن إدراكة عن طريق الحس بل عن طريق الفكر . وهو ما يسميه ديكارت بالامتداد وهو صفة رياضة . بحته وخاصية أساسية للجوهر المادى .[١]

* وهو فى هذا الاطار يرفض فكرة الجزأ الذى لا يتجزأ أى الذى لا يتألف من ذرات وذلك لأنه يرى أن كل ماله إمتداد أو يخص آخر كل جسم لابد وأن يقبل القسمة إلى مالا نهاية .

وهو بهذا يخالف الذريين فما ذهبوا إليه :- حيث يرون أن الامتداد ينقسم إلى وحدات لا يمكن أن تنقسم بدورها إلى ما هو أصغر منها وهى الذرات وهم فى ذلك إنما يتبعون منهج الفيزيقيا .[٢]

---

[١] راجع التأملات الثانية .

[٢] راجع الفلسفة الحديثة ص ٨٣ .

أما ديكارت فإنه يرى أن الامتداد يمكن أن ينقسم إلى عدد لا يحصى من الأجزاء وهو في هذا انما يتبع منهج الرياضة لاثبات وجود العالم الخارجي ولكن ما مقياس صدق ما نراه من مواد أومن هذا العالم الخارجي . يرى ديكارت أن ذلك راجع إلى النور الفطري . والذي هو من الله ومن هنا فحقائق العالم الخارجي حقائق ثابتة لأن حكمته تعالى أسمى من أن توقع الانسان (النفس) في الخطأ . حتى يعتقد بحقائق ليست إلا أوهاما وخيالات ومعنى هذا أن كل الأفكار الموحى بها للنفوس البشرية هي حق ويقين . فالله تعالى لا يخدعنا فالثقة في الله هي الاساس لإثبات العالم الخارجي . [1]

ثالثاً (ثنائية الوجود)

العلاقة بين النفس والجسم

مضى بنا الكلام على نحو خاص عند ديكارت حيث اعتبر أن النفس من عالم الروحانيات والجسم من العالم الخارجي والأول صفته الجوهرية هي الفكر والثاني صفته المميزه له هي الامتداد . ولكن هل هناك بينها من علاقة اتصال أو تنافر ...... الخ

ولجه ديكارت أمرا في غاية الصعوبة ولكنه انتهى إلى أن الجسم يؤثر في النفس عن طريق الحواس التي تنقلها اليها صور العالم الخارجي كما أن النفس تؤثر في الجسم عن طريق الغدة الصنوبرية الموجودة في مؤخرة أو مقدمة المخ والتي تتلقى وحي الايراده وتنقله الى الجوارح والأعصاب . وهي الوسيط بين الروح والجسم .

---

[1] راجع اعلام الفلسفة الحديثة

* (ولم تكن وظيفتها معروفه فى عصر ديكارت ولعله اسماها بذلك من خلال تشريحاته)

* فالروح بواسطة هذه الغدة هى بمثابة القـــائد للجـــواد الـــذى يوجـــه حركتـــه الموجـــوده فيـــه ولكنه لا ينشئها من العدم فالروح عاجزة عن خلق حركـــة جديـــدة فـــى الجســـم لذلـــك فالجســـم عاجز عن خلق أفكار جديدة فى الروح (أى العقل) غـــير التـــى فيهـــا . [1]

إشكال أول

مشكلة الاتحاد بين النفس والبدن

* أدى قول ديكارت بفكرة الجوهر والتى تصب أحيانـــا علـــى اللـــه وأخـــرى علـــى الإنســـان إلى التمهيد بفكرة وحدة الوجود . ولكن الكثـــيرين مـــن الفلاســـفة يـــرون أن مفهـــوم الجوهـــر عند ديكارت كما يقول لبـــار

(الإنسان جوهر مخلوق ولكن القول الدقيق هو أن التعريـــف الديكـــارتى للجوهـــر يحمـــل فـــى طياته معنى الله فقـــط)

وهذه المسأله لم يحلها ديكارت حلا حاسما وانما زادهـــا غموضـــا ونلاحـــظ ذلـــك مـــن خـــلال خطابه إلى الأميره اليصابات سنه ١٦٤٣م (إنه لابد من التميـــيز بيـــن أفكـــار ثـــلاث رئيســـة تملكها النفس بطبعها فالنفس لديها فكرة عن ذاتها أو عن الجوهـــر المفكـــر ولديهـــا فكـــرة عـــن الاجسام أو عن الامتـــداد) .

---

[1] راجع قصة الفلسفة الحديثة ٨٣ وما بعدها .

ولديها أخيرا فكره عن الاتحاد بين الجوهر بين وتتمـــايز ميـادين الوجـود والمعرفـة بحسـب اندراج كل منها تحت فكرة من هذه الأفكـــار الثــلاث :-

* فميدان الله يندرج تحت فكرة الجوهر المفكر وميـــدان العلـوم الرياضيـة والطبيعـة يرتبـط بفكرة الامتداد ويبقى أن يكون الميدان الانســانى متدرجـا تحـت فكـرة الاتحــاد . فـى حيـن نراه ينهى الاميره اليصابات عن عملية التمييز بينهما لانهـا تـؤدى إلـى التنــاقض فـلا تفكـر فيها فى أن واحد ولا تفضل بينما . فلا تميز عند مراعــاة الاتحــاد ولا اتحــاد عنـد التمـيز . بل انه يرى أن النفس موجودة تماما حتى ولو لم يكن الجســد موجـود التبتـه .

وقد مهد هذا القول للفلسفات التى اتت من بعد ديكارت طريقـا رحبـا للمحاولـة مـن خلالـه . إيجاد حلا مرضيا لهذا الامر كما عند سبنيوزا – وليبنــتز – ومــا لــبرانش ..... الـخ .

وبهذا يكون ديكارت فشل فى هذه المسألة ولم يحددها تحديدا جامعـــا مانعـــا – لمـــا يقـــول [١]

إشكال ثان

لقد علمنا أن ديكارت قد اثبت وجـود اللــه عـن طريـق فكـرة اللانهـائى .... الـخ على حين أنه أثبت صدق الأفكار وصحتها عن طريــق الصــدق الالهــى فـأدى مسـلكه إلـى الدور – والذى فحواه أن كلا من وجود الله وسلامة الأفكـــار يتـوقف كلاهمـا علـى الأخـرى وهنا يلجأ ديكارت إلى التمييز بين نوعيين مــن الافكــار

---

[١] راجع ديكارت – نجيب بلدى ص١٣٨ .

* **أولهما :-** أفكار بدنية اثبت على أساسها وجـــود اللـــه

* **ثانيهما :-** أفكار غامضة اثبت ســلامتها علــى أســاس وجــود اللـــه يقــول د / عثمــان أمين في هذا (...... وإذن فديكارت يرد على من اتهموه بـــالوقوع فــي الــدور بــأن المعرفــة الحدسية البديهية ليست بحاجة إلى أن تكون مضمونـــة مـــن الصـــدق الإلهـــي وانمـــا المعرفـــة الاستنباطية وحدها بحاجة إلى ذلـــك الضمـــان . [1]

رابعاً :- الطاقة والطبيعة

يقرر ديكارت أن الطبيعة المادية والتي خصص لها الجزء الاكبر من الفيزيقا واطلق عليهـــا فـــي رسائله إسم فلسفة تتكون من ثلاثة أقسام رئيسية

أولاً	ثانياً	ثالثاً
كتل متماسكة	ذرات يرأها الأحتكاك	مادة لطيفة
العنصر ثالث ترابي نشأت الاجسام السائلة وغير السائلة	العنصر الثاني نشأ الهواء	الأثير عنصر أول نشأت النار والنجوم

---

[1] ديكارت – د/ عثمان أمين ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

الخلاء مستحيل

يرى ديكارت أن المادة لا تترك فرصة للخلاء (المكان غير الممتلىء) ومن التناقض القول بمكان خال لأن المكان نفسه مادة والمادة تشغل حيزاً من الفراغ وهذه المادة صفتها كما علمنا من طلال رمز الشمعة) صفتها الإمتداد // وتتحكم في توجيه المادة قوانين الحركة وهي ثابتة (أي قوانين ثابتة) وخلاصة هذه القوانين الحركية الخاصة بالمادة ·

* أن كمية الحركة في الكون محدودة لا تزيد ولا تنقص وان كل جسم يحتفظ بوصفه من الحركة والسكون ولا يتجه إلى ضد وضعه إلا بواسطة مؤثر آخر وأن العالم ما هو إلا كل متماسك قابل للإنقسام إلى ذرات لا متناهية في الدقة والصغر ·

وقد مضى بنا الكلام على الفرق بين الإنقسام الذرى عند الذريين وعند ديكارت فيما يخص المادة

*بين أرسطو وديكارت في الظواهر الطبيعية

بينما كان أرسطو يرجع التغيير في الظواهر الطبيعية لإلتقاء المادة بالصورة وهي فكرة غامضة مع إسنادها إلى قوانين غيبية نرى ديكارت ينادى بالتجربة المباشرة لتفسير الظواهر الطبيعية وقد مارس بالفعل عملية التشريح لبعض الحيوانات ليظفر بمكان المخيلة والذاكرة ولقد سخر كثيرا من علماء عصره الذين لا يستخدمون التجربة في ابحاثهم . ولقد أنتهت أبحاثه فيما يخص الطبيعية إلى تفسير سلوك الكائن الحي بالالية المطلقة . ومثاله في رؤيه الحمل للذئب فانه يعدو سريعا ليبتعد

عنه . وليخطى بالنجاة من خطر الذئب . وذلك لتخيله أنه مصدر الخطر الحقيقى فهذا مؤثر خاص آلىّ عند الحمل وغيره[١] .

خامساً :– الأخــلاق

رتب ديكارت على موضوع العلاقة الثنائية بين النفس والجسم موضوع الاخلاق والتى تنقسم عنده إلى تقسيمات متنوعة

التقسيم الاول	التقسيم الثانى	التقسيم الثالث
من حيث وضوح الفكرة وغموضها	من حيث الفكره وباعثهما	من حيث الدلالة
أفكار كاملة / أخرى ناقصة	حرة: كونها بانفسنا ونحن احرار ارادية / مستمدة: من العالم الخارجى عن طريق الحواس / فطرية وهى صادقة وهى المبدأ الحقيقى للافكار	إرادية فاعلة / إدراكية منفعله

(١) راجع أعلام الفلسفة الحديثة ص ٥٧ وما بعدها .

وتتخلص الأخلاق عنده (فى السيطرة على العواطف وفيما ينتج عن ذلك من رغبة بما نعلم أنه خير وحق هذه الرغبة فى أن نحيا حياة فاضلة ينشأ عنها إطمئنان الضمير وهو أوفى جزاء للأخلاق [١]

ومن هذا الإطار نرى أن ديكارت يفسر عملية الاخلاق فى اطار الآلية البحتة. وذلك لأن الحواس تنقل صور العالم الخارجى على حين تتساوى الحركة الدائمة فى داخل الإنسان وذلك عن طريق القلب الذى يدفع الدم الى الاوردة والشراين بفضل ما فيه من الحرارة والطبيعة .... ويبرد الدم بعد عن مصدرة ذلك حتى يصل الى المخ حيث تتكون الروح الحيوانية وهى المهندس المشرف على سلوك الإنسان ثم يعود الدم الى القلب حيث تتكون ما يعرف بالعواطف . وفى هذا الإطار تعمل الغدة الصنوبرية على تلقى صور الأشياء ثم ترسل وحى الإرادة إلى الجوارح والاعضاء فالإرادة مسبوقة دائما بالادراك .

* ويرى أيضا أنه يمكن للعقل أن يسيطر على عواطفه كما يستطيع الإنسان أن يروض أعنف الكلاب فإذا ما تم هذا انقلبت العواطف إلى صورة خيرة ويقوى هذا الأمر ويثبت لدى النفس عند تمثيلة واقعا جميلا ومن هنا فلا يكفى أن تعلم الخير بعقلك بل يجب أن ترغب فيه بعواطفك , أيضا .

---

[١] قصة الفلسفة الحديثة ص ٨٣٣٨٢

هامش

* الروح الحيوانية ليست سوى جزيئـــات لطيفـــة رقيقـــة مـــن الـــدم تتحـــرك بســـرعة خـــلال الأعصاب وقد أشار إليها جالينوس وتبعه فى ذلـــك الإســـلاميون وفلاســـفة القـــرون الوســـطى مما يؤيد دعوى القائلين بأن فلسفة ديكارت لم تكن خالصة مـــن شـــوائب العصـــر المدرســـى.

راجع فى ذلك

١- الفلسفة الحديثة أبـــو ريـــان - ص٨٨

٢- أعلام الفلسفة الحديثة - ص٥٧ ومـــا بعدهـــا

٣_ قصة الفلسفة الحديثـــة ص٨٣

٤_ المقال عن المنهج _ ديكارت ترجمة الخضيرى ص٥٧ " ٥٨ القسم الرابع

فلسفة ديكارت فى الميزان

إن المستعرض لآراء ديكارت حول الفلسفة الحديثة يرى أن له آراء تجعله وتضعه كأب للفلسفة الحديثة وأخرى قد قلد وتابع فيها غيره وإليك طرفاً من ذلك .

فترجع أهمية المذهب الديكارتى فى أنه –

أولا:-واجه مشكلة المعرفة من ناحيتها المعقدة وأشار الى ادراك النفس للواقع او للحقيقة فى حالة تكون النفس فيها منفصلة عن العالم الخارجى و عن النفوس الأخرى وعن أعضاء الحس .

ثانيا:-رفض إتجاهات كثيرا من الحدسيين وتجنب تأثير النزعات الصوفية.

ثالثا:-رفض الموضعية التى تعرض حقائق الواقع دون ربط بينها عن طريق الفكرة كما فعل بيكون .

رابعا:-كانت فكرته عن الحدس (القوة المباشرة) ومنهجة الجديد بمثابة اشعال شمعة لغيره ممن اتى بعده

خامسا : -ركز فى نظرياته على الرياضة وجعلها الأساس الاول الذى يجب أن يحتذى به فى المعرفة وإن قلل بعض الفلاسفة من هذه الوجهة لتغافلها عن العلوم الأخرى والمعارف الأخرى.

سادسا:-ساهم فى العلـــم مســـاهمة خصبـــة ووضـــع فلســـفة تؤيـــدة وتحميـــة و ترفـــع الفردية من مستوى العاطفة و الارادة الغامضـــة الـــى مســـتوى الحـــق و القـــانون فوضـــع دستور الفكر الحديـــث

•والسؤال الذى يطرح نفسه وهو هل أتـــى أبـــو الفلســـفة الحديثـــة بجديـــد فـــى فكـــرة والحقيقة يمكننا أن نقف عليها من خلال مـــا يلـــى:-

أولاً :- نلاحظ سبق المنهج الاســـلامى لقواعـــد ديكـــارت المنهجيـــة . ونجـــد ذلـــك فـــى الكثير من آيات الذكر الحكيم منها على ســـبيل المثـــال لا الحصـــر .

قوله تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عـــالم الغيـــب والشـــهادة هـــو الرحمـــن الرحيـــم . هو الله الذى لا إله إلا هـــو الملـــك القـــدوس الســـلام المؤمـــن المـــهيمن العزيـــز الجبـــار المتكبر سبحان الله يشـــركون ٠) ٠

هو الله الخالق البارئ المصـــور لـــه الأســـماء الحســـنى يســـبح لـــه مـــا فـــى الســـماوات والارض وهو العزيز الحكيـــم٠) . [1]

ثانياً :- كان ديكارت مسبوقا فـــى شـــكه المنـــهجى بالامـــام الغزالـــى غـــير أن الامـــام احتمى بالتجربة الصوفيه وديكارت لجأ إلـــى العقـــل .

أما الشـــك لـــذات الشـــك فقـــد تكلـــم فيـــة السوفســـطائيون ومونتـــانى المفكـــر الفرنســـى وغيرهمـــا[2]

---

[1] **الايات من سورة الحشر من ٣٣ إلى ٣٤ .**

[2] **يطلب من الأبناء الأعزاء اعداد بحث حول الشك بين الغزالى وديكارت**

ثالثا : إنه لا يتحتم وجود مدلول خارجي لكل فكـرة ذهنيـة كمـا تصـور النـاس قديمـا وجود الغول والعنقاد .....الخ مع أنها ليست لها وجـود فـى الخـارج ممـا اوقعـهم فـى الخطأ. كذلك نرى ديكـارت يسـتدل علـى وجـود الله تعـالى بفكـرة الامتنـاهى وهـى تفترض ان تكون لكل فكرة ذهنية مدلـول خـارجي وهـى فـى رأيـة تقتضـى وجـود لامتناهى فى كمالاتة السامية وهو الله تعالى .ورغم مـا اجـاب بـه ديكـارت عـن فكـرة الكمال وكونها بسيطة الإ أن إجابته زادت الامـر غموضـا وخفيـة

رابعا:- ما إستدل به أيضا علـى وجـود الإلـه مـن خـلال بيـان النقـص الإنسـانى وحاجته الى من يسد طاقته ويكمل نقصه هو فـى صحيحـه منـهج إلـهى رسـمة القـران الكريـم فـى أكـثر مـن موضـع منـها علـى سـبيل المثـال لا الحصـر قوله تعالى (الذى خلقنى فهو يـهدين والـذى هـو يطعمنـى ويسـقين وإذا مرضـت فـهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيينـى ...) فقـد عرضـت الآيـة لطائفـة مـن النقـائص التـى تلحق بابن أدم وهكذا ينفرد الله عز وجل بالكمال وحـدة فـهو الموحـد .

خامسا:- إن ما عول علية ديكارت فـى عمليـة النقـص البشـرى هـو النقـص النفسـى دون المادى إذا الأول يتعلق بالنفس والثانى بالجسم والجسـم قـد جعلـة ديكـارت ضمـن العالم الخـارجى .

سادسا:- إن ما استدل به ديكـارت علـى وجـود الله مـن خـلال مـا يسـمى بـالدليل الأنطلوجي والـذى يرتكـز علـى فكـرة ان مجـرد قصـور صفـات الكمـال يسـتلزم بالضرورة إسقاط الالوهية او إثبـات وجـود الله .

نقول هذا الدليل على الرغم ما قيل فيه فإن استخلاص فكرة الوجود الالهي لا تكون إلامن خلال الوجود الذهني لا الوجود العيني كما يقولون[١]

يقول كانت (كانط) عن هذا الدليل

(إن ذلك الدليل الانطلوجي الذي امتدحه الناس كثيرا والذي يزعم أن يثبت بواسطه تصورات وجود كائن متعال ليس الا مضيعة للوقت والجهد ولن يصبح الأنسان لوفر معرفة بمجرد معان كما ان التاجر لن يصبح اكثر مالا إذا خطر لة ان يزيد فى ايرادة فأضاف إلى دفتر الحساب بضعة أصفار)

سابعا :- إن فى الأديان مجرد تنبيهات لاستحضار الامر الفطري الخاص بوجود الاله وهذا الاستحضار قد كشويه غيابات الجاهلية كالبيئة وغيرها ... وهذا يجعلنا نفسر وجود الملحدين والمعطلين ... والمنكرين لوجود الإله.

فعبدو الكواكب والأبقار فهذه الفكرة الفطرية عند ديكارت ليست مع مستوى واحد عند جميع البشر .[٢]

ثامنا :- فكرة الغدة الصنوبرية والتى عدها ديكارت كشفا علميا ليفسر من خلالها العلاقة بين الجسم والنفس إلا أن كشفة هذا منوط بالغموض فليست تلك الغدة محل اتفاق بين العلماء كما أنه لم يحدد طبيعتها تحديدا دقيقا .

---

[١] راجع ديكارت -عثمان امين ص١٧٤ او ما بعدها

[٢] راجع أعلام الفلسفة الحديثة ٦٣ وما بعدها .

تاسعا :- فكرة استقلال النفس عن البدن فكرة قديمة سبق اليها ديكارت من ابن سينا – والقديس اوغسطين والإمام الغزالى وغيرهم ويمكننا ان نعود للوراء حيث برهان الرجل الطائر لابن سينا [١]

يجب إن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة وخلق كاملا بصره عن مشاهدة الخارجات وخلق يهوى فى هواء أوخلاء هويا لا يصدمه منه قوام الهواء صدما يحوجه إلى أى يحس وفرق بين أعضائه فلم تتلاقى ولم تماس ثم يتأمل أنه هل يثبت وجود ذاته فلا يشك فى اثباته لذاته موجودا ولا يثبت مع ذلك طرفا من أعضائه ولا باطنا من احشائه ولا قلبا ولا دمائما ولا شيئا من الأشياء من خارج . بل كان يثبت لها طولا ولا عرضا ولا عمقا ....[٢]

عاشراً :- كذلك سبق ديكار ت فى إرشاده وتقريره صفه الامتداد الذهنى – للمادة نقول إنه سبق بابن طفيل يقول ابن طفيل (فنظر هل يجد وصفا ولحد يعم جميع الأجسام حيها وجمادها فلم يجد شيئا يعم الاجسام كلها إلا معنى.. الامتداد الموجود فى جميعها فى الأقطار الثلاثة التى يعبر عنها بالطول والعرض والعمق فعلم أن هذا المعنى هو للجسم من حيث هو جسم)[٣]

حادى عشر :- سبق ديكارت فى أخلاقة حيث الروح الحيوانية والتى قرر سيادتها على الجوار فى الأعضاء فقد سبقه إليها سقراط حيث ذكر إن الفضيلة هى المعرفة

---

(١) راجع رسالة فى النفس وبقائها د / الاهوانى – ٩٠ ط الولى – احياء الكتب ١٩٥٣ م.

(٢) راجع الشفاء لابن سينا .

(٣) راجع المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣٤٨ د/ محمد غلاب ط الدار المصرية للتأليف والترجمة

راجع : الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقة د / مدكور ص ٣٤ .

راجع قصة حى بن يقظان – ابن طفيل

كما أنه تأثر بأرسطو فى ثنائية الوجود المكون من عنصرين هما المادة والصورة أو المادة والعقل أو القوة والفعل وحتى فكرة الامتداد السالف ذكرها قررها ارسطو من قبل كذلك كلامه عن عدم وجود خلاء .

ثانى عشر :- يلاحظ عدم التماسك فى كتابه مقالة عن المنهج

ثالث عشر :- قامت فلسفة ديكارت فى بعض جوانبها على اساس من الاحلام التى وعدته باقامه العلوم على اساس علمى بديع .

رابع عشر :- إن منطقة (الكوجيتو) منطق لا يرتفع عن النقد بل يتهاوى امامة .

خامس عشر :- إن حديثة عن الاخلاق متناقض لانه لا يوافق مجتمعه وعليه فقد كان مغايرا للمجتمع الذى يعيش فيه .

سادس عشر :- انتقد بسكال سنه ١٦٦٢م ديكارت يشده على الينه الشامنة ورأى انه لم يترك لله أى دور فى العالم والعقل عنده يرتبط بالخير لانه وحدة العارف له الذى يأمر به .

سابع عشر :- لم يوفق ديكارت إلى مثل إتزان أرسطو وتواضعة فقد على فى طلبه المعقولية واراد أن يكون علمنا كله لاميا أولاً يكون أصلا . فأحال العلم الطبيعى علما رياضيا بحتا . [1]

---

[1] تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٨٥ وما بعدها .

ثامن عشر :- استبعاد المنطق القديم عنــد ديكــارت والــذى يقــر ان الموجــودات لــها طبائع وما هيات وخواص على عكــس تقريــره للأجســام الخارجيــة ووضعــها بــالالات فهى نظرة مركبات صناعية خاليه من كــل طبيعــة أو ماهيــة. [1]

تاسع عشر :-

لا يمكن للمرء أن يعدم الصلة بين الشرق والغــرب فــى العــالم البحــث والتفكــير فــهذه الصلة صارت عبر العصور الموغله فــى القــدم وقــد تجــددت فــى العصــور الوســطى فماذا يمنع أن تمتد إلى التــاريخ الحديــث .[2]

عشرون :- قضى ديكارت بنظريتـــه عــن المــادة وامتدادهـــا علــى الصفــات الخفيــة أو الكامنــه للأشــياء ووضــع التخطيــط للتميــيز بيــن الصفــات الأوليــة والصفــــات الثانوية للأشياء وقد اثم لول هذا الدور . وبهذا يكون قد قضـــى علــى مــا أدعــاه وقــرره أرســطو وفلاســفة العصــور الوســطى غــير أن ديكــارت قــد أبقــى علــى الامتــداد الهندسى فاللون والطعم والرائحـــة صفــات لا تخــص الموضــوع وانمــا تخــص الــذات وليس لها وجود فى ذاتها وانما وجودها فى أذهاننــــا فقــط فــهى مرتبطــة ارتباطــا وثيقــا باحوال النفــس .[3]

* ومن كل ما سبق فانه لا يمكن فهم الفلسفة الديكارتيه والتى يتناهـــا مــن أثــر مــن بعــد ديكارت إلا بمراعاه وفــهم آراء ديكــارت .

---

(1) نفسه ص ٨٥ .

(2) راجع فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقة ص ٣٤

(3) راجع تمهيد للفلسفة د/ زقزوق ص ٣٧ وما بعدها - ط دار المعارف .

إطلالة موجزة

على

الشك الغزالي والشك الديكارتي

الفصل الأول

الإمـــــام الغزالـــــي

عصره - حياته - آثاره

عصـــــره :

يعـد القـرن الخـامس الهجـري عصـراً شـائكاً فقد امتلأت الحياة فيه بشـتى الـثقافات المتـنوعة حيـث اشـتعلت حـركة الـترجمة فيه عن الفلسـفة اليونانـية كمـا ظهـرت فـيه المذاهب الإسلامية المختلفة كما فـتح فـيه بـاب الإجـتهاد ولكنه على الجانب المقابل كان عصراً مشوباً بـالقلق والإضـطراب إذ بـرزت فـيه تعالـيم وأفكـار وفلاسفة اليونان واشـتد فـيه الجـدل وتعـالى فـيه صوت المغالطة والسفسطة وظهرت طوائـف عديـدة . فلاسـفة ودهريـين وصوفية .... بحر عميق من الآراء غـرق فـيه الأكـثرون ومـا نجـا منه إلا الأقلون كما رأى الإمام الغزالـي . ومـن هـنا فقـد بـرز علم الكلام وظهرت الفلسفة الإسلامية وتوالـت قضـايا وراء قضـايا بحـث في الطبيعة وما وراء الطبيعة ومن هـنا هـيأ هـذا العصـر لبروز هذا العلامة في سماء العلم ألا وهو حجة الإسلام الإمام الغزالي .

مولـــده – نشأتـــه

ولـــد أبـــو حـــامد الغزالي في منتصف القرن الخامس الهجري سنة ٤٥٠ هـــ فـــي طـــوس وهـــي مقاطعـــة فـــي خراسان شمال شرقي إيران.أما أســرته فقــد كـــان والـــده كما ذكر السبكي في طبقات الشافعية كان يعمل فـــي غـــزل الصـــوف ويطـــوف علـــى المـــتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمـــتهم ويجـــد فـــي الإحســـان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم وأنه كان إذا ســـمع كلامهـــم بكـــى وتضـــرع وسأل الله أن يرزقه إبناً فيجعله فقيهاً) [١]واســـتجاب المولـــى عـــز وجـــل لدعاء هذا الرجل فكان إبناه فقيهين واعظيـــن ولكـــن المنـــية عاجلـــته قـــبل أن يـــرى ثمرة دعائه وقد دلت القرائـــن العديـــدة علـــى أن الإمـــام الغزالـــي كان صغيراً لم يبلغ بعد سن الرشـــد وقتـــئذ وكمـــا هـــو دأب الصـــالحين الوصية لغيرهم حين موتهم ومـــن هـــنا فقـــد عهد الأب الصالح بالإبنين الغزالي وأخيه أحمد إلى أحد رجـــال الصـــوفية لـــيقوم برعايـــتهما علـــى أكمل وجه وكان صوفياً فقيراً ونفـــد مـــا كـــان معـــه مـــن مـــال موصى به من لدن الأب للإبنين فعهد الـــرجل إلـــيهما عهـــداً يعيـــنهما علـــى طلب العلم والحصول على القوت

---

[١] طبقات الشافعية السبكي صـ١٠٢ جـ ٤ .

الذي يسهل لهما السعي على العلم وكان التحاقهما بمدرسة من مدارس العهد التي كانت تعين الوافدين عليها بما يلزمهم من النفقة .

رحلاته العلمية

تلقى الغزالي أولى نفحات العلم في طوس حيث قرأ في صباه على أحمد بن محمد الطوسي الفقه وكان أستاذ الأول يوسف النساك وكان صوفياً وصار فيما بعد إمام الحرمين ثم انتقل رحمه الله إلى جرجان حيث تلقى طرفاً من العلم على يد الإمام أبي نصر الإسماعيلي وهو حينئذ لم يبلغ العشرين من عمره ثم عاد إلى طوس مرة أخرى ومكث بها ثلاث سنين بعد عودته من جرجان وكان ذلك إثر حادثة مشهورة أغتصبت فيها كتب الغزالي والتي تعلم منها كما يقول المؤرخون (أن يستظهر كل ما يقع تحت يده حتى لا تصبح له حاجة إليه إذا ما تناولته أيدي العفاء) .[1] ثم قدم نيسابور حيث جالس إمام الحرمين ضياء الدين الجويني في المدرسة النظامية فدرس علوم الفقه والمنطق والأصول وظل ملازماً له حتى وافته المنية في سنة ٤٧٨هـ وهذه الفترة من حياة الغزالي رحمه الله إمتازت

---

[1] راجع الأخلاق عند الغزالي / ذكي مبارك صـ٥٠ وما بعدها .
راجع أيضا وفيات الأعيان بن خلكان جـ٣ صـ ٣٥٤ .

بالغزارة الثقافية العلمية إذ برع في أثنائها في المنطق والمحاورة وعرف مناهج الفلاسفة وطرق الرد عليهم وألف عدداً لا بأس به من الكتب العلمية وقتئذ وكان خروجه من نيسابور خروجاص موفقاً إذ لحق بالوزير السلجوقي الذي عرف بتشجيع العلم والعلماء وكان إذ ذاك في الثامنة والعشرين من عمره وقد ملأت شهرة الغزالي وقتئذ أرض ملكه حيث سمع الثناء على عقله وعلمه وأدبه فأحضره مجلسه وكعادة الخلفاء والوزراء الحريصين على العلم فقد كان منتدى العلم حافلاً بظهور الغزالي ورفعته على أقرانه من علماء عصره المقربين من نظام الملك وكان ذلك لأن الإمام رحمه الله قد أخذ على عاتقه حمل العلم والتفقه فيه ما امكنه إلى ذلك سبيلاً فهو يقول (ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحمُ لجة هذا البحر العميق وأخوض غمراته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأقتحم كل ورطة وأتفحص عقيدة كل فرقة وأستشكف أسرار ومذهب كل فريق لأميز بين محق ومبطل ....) .[١] وقد خاض الإمام هذا البحر بكل ما

---

[١] راجع المنقذ من الضلال تحقيق . عبد الحليم محمود صـ ٣٤

ينبغي أن يكون عليه طالب العلم ولعل ذلك كان من كيان شخصية الرجل فهو يقول عن نفسه (وكان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري ....) [١] ومن هنا بدأت رحلة جديدة في حياة الإمام ألا وهي مرحلة الشك للوصول إلى الحقيقة الصائبة وقد كان الشك عند الإمام الغزالي رحمه الله يدب دبيباً في نفسه ومن هنا فقد طرح التقليد الأعمى والعقائد الموروثة المبنية على الضلال والخطأ وبدأ الإمام رحمه الله ينتقل في شكه من الحسيات إلى العقليات ... إلخ وفي هذا يقول (.... فلعل وراء إدراك حاكم العقل حاكما آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه .....) [٢] ثم انتقل الغزالي في شكه إلى الحدس والتخمين ثم كانت عودته للضروريات في ثوب منظم بنور قذفه الله في صدره كما قال (وعادت النفس إلى الصحة والإعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل و ترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف،ومن ظن أن

راجع مقدمة كتاب الإتحاف للسيد المرتضي جـ١ صـ٢

[١] المرجع السابق

[٢] راجع المنقذ من الضلال صـ٢٤٢ .

الكشف موقوف على الأمور المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ولما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الشرح ومعناه في قوله تعالى ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ....)) (١) هو نور يقذفه الله تعالى في القلب فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود .

وفاته

ترك الغزالي بغداد وتوجه إلى البيت الحرام مؤدياً شعيرة الله سنة ٤٨٩هـ ثم كانت رحلته إلى بيت المقدس فجاور به سنة ٤٨٨هـ حيث أناب أخاه في المدرسة النظامية ثم دخل دمشق مدة ثم عاد إليها معتكفاً في المنارة الغربية من الجامع ثم ذهب إلى الإسكندرية وأقام بها مدة ويقال أنه كان ينوي الرحلة إلى السلطان يوسف بن تاشفين لما بلغه من عدله ولكنه سرعان ما عاد إلى بغداد وعقد بها المجالس وتكلم فيها كلام أهل التصوف متحدثاً عن كتابه الإحياء ثم عاد إلى خرسان ودرس بالمدرسة النظامية في نيسابور ثم رجع إلى طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ومركزاً للصوفية ووزع أوقاته على ختم القرآن الكريم ومجالسة أرباب القلوب إلى أن توفى

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٢٥

حمــه الله بطــوس يــوم الإثنيــن الرابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥
هـ ومشهده يزار بمقبرة الطايران .
حــم الله الإمـــام الغزالـــي رحمـــة واســعة وجــزاه الله عنا وعن طلاب
علم خير الجزاء .

مؤلفـــات الغزالـــي

تــب حجــة الاســـلام مــو لفـــات عديدة أوصلها البعض إلى
بعضهم إلى المائة وفي هذا الإطار نذكر أهمها فيما يلي :-

في الفلسفة :

١- المعارف العقلية والحكمة الإلهية .

٢- مقاصد الفلاسفة . ٣- تهافت الفلاسفة .

٤-المنقذ من الضلال . ٥- فاتحة العلوم .

٦-حقائق العلوم لأهل الفهوم . ٧- مكاشفات القلوب .

٨-رسائل في مواضيع مختلفة في الفلسفة والجدل .

في الأخلاق والتصوف

١-جمع الحقائق بتجريد العلائق . ٢ - إحياء علوم الدين .

٣- بداية الهداية . ٤- ميزان العمل .

٥- كيمياء السعادة . ... سبر المسبوك من نصيحة الملوك .

٧- سر العالمين وكشف ما في الدارين .

٨- أيها الولد ٩- معراج السالكين

١٠- مشكاة الأنوار ... مدخل السلوك الى منازل الملوك

١١- كتاب الزهد الفاتح ١٢- كتاب منهاج العابدين .

في الدين و الإلهيات .

١- كتاب جواهر القرآن ٢- كتاب فضائل القرآن

٣- كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة

٤- كتب الأجوبة الغزالية في المسائل الأخرويه

في الفقه :

١- كتب البسيط في الفروع على نهاية المطلب لامام الحرميين .

٢- كتاب الوسيط لأقطار البسيط

٣- كتاب الوجيز ٤- كتاب المستصفى في علم الأصول .

٥- كتب المنخول في الاصول

... [illegible] ... محمد غلاب ... ط نهضة مصر ...

... [illegible] ... محمد ... [illegible]

... [illegible]

عصره :- آراء متناقضة ومتباينة ... فريق يدعى أنه على حق وأن غيره على باطل ومن هنا كانت مهمة تجديد الفكر واجبا يسعى إليه الغزالى ليحطم ما لدى الزنادقة وغيرهم وغلب على عصره المشكلات الدينية وقد كانت هناك ثلاثة إتجاهات من نوع دينى هى اتجاهات المتكلمين – الباطنيه الصوفية . وقد كان الغالب عليهم إتجاه التقليد فرفض الغزالى كل ذلك ودعا إلى مذهب جديد .	**عصره :-** آراء تناقلها الخلف عن السلف من ساروا على نهج ارسطو والمدرسين ناهيك عن موجه الشك الارتيابى والاستقرار وقد كان الغالب على عصره الاكتشافات الهامة فى مجال العلوم الطبيعية وشروحها مما شكك فى الآراء والتصورات المسيحية بوجه عام .
• الإجابة عن مسائل دينية متافيزيقية دفعه إليها العصر الذى كان يعيش فيها .	• إبتداء علمى نظرى خالص كان هدفه البحث عن علم كلى شامل يستطيع فى النهاية أن يصل إلى معارف دينيه وقضايا عنصور به عن طريق الاستنباط والحدس .
الاشتراك فى الطريقة الفلسفية الحقيقية التى بوسطتها التوصل إلى الحقيقة .	الاشتراك فى الطريقة الفلسفية الحقيقية التى بوسطتها التوصل إلى الحقيقة .
• دعا إلى الاستقلال لعقلى يقول الغزالى (فجانب الالتفات إلى المذهب واطلب	• كذا كان الامر عند ديكارت دعا إلى الاستقلال العقلى يقول ديكارت

الحق الحـق بطريـق النظـر نتكـور (فانني تعلمت ألا عتقـ عتقـادا جازمـا
صاحب مذهب ولا تكر في صوره عمى في سي م حكم التقليـد او العـادة وكذلـك
تقلد قائدا يرشدك الى طريق وحولك الـ حنصـ سند فسيبدا مـر كثـير الأوهـام
مثل قائدك ينادور عليـك بانـه اهلكـك التي ستطيع ان حمـ فيها النـور الفطـرى
وامثلك عن سوء السبيل ومن هنا فقـ وسعص من قدرتـ على التعقـل)
جـانب السفسـطة التمـى ـادى بـها '
الارتيابيون).

وبراه يقول من قلدا عمـى فـلا خـير فـى
متابعـه انعميـان (رحمـه الله) وإلا
فالسو فسـطائى كيـف يـناظر ، مناظرتـه
اعتراف بطريق النظـر .)

دعـا الغزالـى للشـك المنـهجي وليـس ـعـ ـخـرـ للشـك المنـهجي المرتـب
للشك الا رتيابى الـذى يتكـر كـر حقيقـه بعيدا عن دائرة الشك الارتيـابى وفـ شـبه
، ينكر امكانيه الخروج مـر ـاسـر د الشـك سذ حه ى المعارف ـنحر العميـو الـدى
ومن هنـا نلاحـظ قـول الامـام الغزالـى ، حـد عـ حجه الاسـلام الاسـلام حيـث
اذالشكوك هى الموصلة الى الحق فمـن ـد يقول عنه (ان اكـثر البـاحثين قـد لاقـو
يشك لم ينظر ومن نـ ـد ينظر ـد يبصـر حتفهم فيـه) وبوجـه خـاص تشـير الـى
ومن لم يبصر يبقـى فـى العمـى والضـلال عصر ـرحر ـفعـه للشـك المنـهجي فـى
(مـيزان العمـر) ص ٤٠٩ : ـ ـر اذة ، حـه الشـك الارـ ـبى والـى نزعمـه
الحقيقة هى الـذى دفعـه للشـك فـى ـراء الشكاك عـ ـد مو ـنى ، كانو ـكـرور ابـه
عصره رغبه الوصول للحـق ، ـ ـه مكانيه الوصول إلى الحقيقـه .
تلك المعـارف المتنوعـة ـانحر العمـو

الذى غرق فيه الاكثرون وما نجـــا منـــة الا الاقلون .

• تشابة عبارات الاســتقلال العقلــى عنــد الغزالى وديكارت يقول) فاعلم يا أخى أنــك حتى كنت ذاهبا الى تعرف الحق بالرجال مــن يعيتر تك فقد ضل سعيك .... فمن عول على التقليد هلك هلاكا مطلقا .

• من هذه الاطار نلاحظ قول ديكارت (إن الانسان الذى لا يتفلسف انسان لا يستخدم عينيه عند المشى بــل يغمــض عينيــه ويسير بعين شحص أخر)

ويقول ايضا وكانت رغبتــى شــديدة دائمــا فى أن أتعلم كيف أميزا الحق مـــن البـــاطل كى اكون على بصيرة فــى أعمـــالى ولكنــى أسير على هدى فى حيـــاتى .

الشك بين الغزالي وديكارت

• استخدم الاسلوب الامثل فــى الوصـــول الى الحقائق مـــن حيــث انتقالــه مـــن الحسيات –الى العقليـــات ..

• إن العقل عند الغزالى قاصر علــى ادراك المسائل الإلهية التى لا نعرفـــها الإ مـــن خير السماء الموحى به لنى معصوم أنتى يه الطريق إلى المنهج الذوقى

• إن الحواس وســـائل للمعرفــه اليقينيــة يـــالله عـــزو جـــل . ولا بـــد مـــــن . اسخدامها استخداماً مناســـبا .

• يكاد يكون ديكارت قـــد اســـخدام الـــى حدكير منهج الغزالى فـــى الشـــك مـــن اجل تاسيس المعرفة الحقـــه ...

• نحى ديكارت حقائق الوحى عن مجـــال العقل لانها فى رأية لا تـــدرك إلا بمـــدد السماء خارق للعادة فـــارتد بـــهذا الـــى النزعة اللاعقلية فى مجال الدين ..

• انتهى به الطريق إلى المنهج الرياضى .

• يؤمن ديكـــارت بـــإن الإلـــه لا يمحنـــا آلات خادعة مضللـــة حقيقـــه أنـــها قـــد

- سبق الغزالى ديكارت فى رسم طريق قويم للمعرفه وفى تحديد مكانة العقل والكشف عن جوانب القصور فيه .

- خرج الغزالى من شكه بنور الله ونور الله هذا لا يعرفه العلم . فهو ليس بدليل مجرد ومن قال بذلك فقد ضيق رحمة الله الواسعة وفى هذا ينقل قول النبى صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الشرح فى قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ......) ( ) قال نور يقذفه الله فى القلب فيشرح به الصدر فعيقل وما علاقته ، قال التجافى عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود.

- كان الغزالى سببا فى خمود الفلسفة فى المشرق بسبب حملته التى شنها على الفلاسفة وكفرهم فى مسائل معلومه كالقول بقدم العالم وعلم الله بالجزيئات لا الكليات ، والحشر الروحانى لا الجسمانى

- لم يفكر الغزالى فى وضع العلم تعطينا معرفه ليست يقينه لكنها وسيله الى المعرفه ولا يمكن تجاهلها على الرغم من قصورها .

- استعمل ديكارت العقل والمنطق والدليل المرتب فى الخروج من شكوكه .. حيث بدأ شكوكه .. إثبات النفس ثم ثنى ذلك باثبات وجود الله ثم اثبات العالم الخارجى

- كان ديكارت سببا لنهوضها فى الغرب

- كانت وجهة ديكارت الوصول بالعقل الإنسان لدرجة عليا قوامها تطهيره من ادراناته كما فعل بيكون واراد

على أساس جديد ولكنه انتظر هداية الله والله يهدى من يشاء كانت عقيدة الامام الغزالى ثابتة لم تزحزح حول إيمانه بالله وبالنبوة واليوم الآخر ...

فهو يقول عنها (... فهذه الثلاثة كانت رسخت فى نفسى لا بدليل معين محرر بل بأسباب وقرائن وتجاريب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها) المنقذ (٢/٧٤) فلم يك شك الغزالى شك زندقة لانه لم ينف العقيدة صراحة

*كشف د/ زقزوق فى نتائج بحثه
أن أحد الباحثين التونسيين وهو مكحاك قد عثر بين محتويات مكتبة ديكارت الخاصة بباريس على ترجمة لكتاب "المنقذ" للغزالى .وجد أن ديكارت قد وقف عند عبارة للغزالى الشهيرة الشك أول مراتب اليقين ووضع تحتها خطا أحمر ثم كتب على الهامش ما نصه (يضاف ذلك إلى منهجنا)

وضع منهج جديد يخالف فيه آراء المدرسين وغيرهم إلا وهو الاسلوب الرياضى لأنه فى نظره يعصم الفكر عن الخطأ والضلال وقد مر بنا قواعد التى وضعها ...

كانت دعوة ديكارت إلى الوصول للحقيقة عن طريق نور العقل الفطرى ودعا إلى تضيق مجال الشك وحصره بحيث لا يمتد الي الحياة اليومية ومن هنا فقد حاول ديكارت الوصول الي الحقيقة اليقينه عن طريق قوة العقل الفطرية والتى يساء استخدامها وتوجه توجيها يبلغ بصاحبها مرتبة العجز فإن الغزالى أيضاً حاول الوصول إلى حقيقة الفطرة الأصلية وما يعتريها من أوهام واغشية تحجبها عن الوصول الى الله عز وجل.

راجع

- المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت . د/ زقزوق ص٦ ط الانجلو المصرية الثانية ١٩٨١ م
- فلاسفة أيقظوا العالم . د/ مصطفى النشار ص١٧٧ ط دار الثقافة _ ١٩٨٨ م

جون لوك

١٦٣٢م- ١٧٠٤م

مولده :-

ولــد لوك فى البيئة الإنجليزية وبالتحديد فى بلدة رينجتون فى التاسع والعشــرين مــن شــهر أغسطس وكان يحكم البلاد الملك شارل الأول ملك إنجلــترا ٠ وامــا أســرته فترى والده يعمل بالمحاماة وينتسب إلى جماعة المتطهريــن (وكانت أمه على درجة كبيرة من التقوى والصلاح وتولى الأب المهمة كاملة فى التربية خاصة بعد وفاة زوجته، فمنعه من الاختلاط بغيره إلا بعد أن شب، وأثر ت التربية الأبوية على لوك لأنه تعلم منها تعاليم المتطهرين والتى تقوم على الرحمة والشفقة ٠٠٠ الخ

تعليمه :٠ درس فــى صــباه الفلســفة والعلوم الطبيعة وكان ذلك لصــداقته لكل من إسحاق نيوتن وبويل، وكذلك كان لاعتلال صحته سبب فى دراســته للطــب، وكــان يميل للتجريب فى الطب ويرفض الأسلوب التقليدي مســتفيدا مــن الطبيــب توماس سيد نهام، والذى كان يعتمد في علاجه على الملاحظــة ويرفض الأسلوب القديم ٠ نقول درس كل هذه العلوم فى جامعة أكســفورد، وقــبلها كان قد حصل على منحة دراسية سمحت له بالدراسة فى لندن فيما بين سنتى ١٩٤٦ م ، ١٦٥٣ م وهما معهدان يقومان على دراسة تعالــيم المتطهريــن بــل إن عميد كلية المسيح عرف عنه أنه كان من أكبر

المنادين بتلك التعاليم التى تقوم على الحرية ٠٠٠وسائر حقوق الإنسان ٠ ولما كـــان الـــرجل يهدف للحرية الكاملة فقد دفعه أمله وتطلعه إليها فهجر جامعة اكسفورد لما شابها من نظام جامد لايفى وماله بأفكاره المتحررة،فاتصل برجال حـــزب الأحـــرار فـــى بلاده وصار أحد أعضاء هذا الحزب ليواجه تداعيات الموقف الجرئ،فيما يرى أعداؤه أن حاملى هذا الاتجاه يحكم عليهم إما بالنفىو إما بالقتل ٠ولكنه خرج من هذا الامر بمساعدة اللورد شافتسبرى(وكان لوك قد أجـــرى له عملـــية جراحـــية فأنقذحياة الرجل ومن هنا قدر له جميله وصنيعه فكافاه كما علمنا وعهد إليه بشئون أسرته وعينه فى مناصب سياسة هامة منها أنـــه اختـــير سكرتيرا لمستعمرة كارولينا الأمريكية ثم كان اختياره كعضو فى الجمعـــية الملكية سنة ذ(*)١٦٦٨ م فلما توفىسنة ١٦٨٣م خرج لوك إلى هولـــندا مختفيا منفيا من سلطة أعداء الحرية(حيث الملك جميس الثاني والذى عـــرف عنه تزمته وإيمانه بنظرية التفويض الإلهي او (الحكم المقدس) حتى أثناء إقامته بهولندا(كان متسترا تحت اسم مستعار هو الدكتور فنتر لاندن)(*) ولكـــن ســـرعان مـــا تبدلت الأحوال وبدأ نجم لوك يسطع بتغير السلطة حيث إعتلت أريكة الملك أسرة جديدة فأرسل لوك سفيرا لدولته إلى بلاط براندنبرج ثـــم إلى فيينا ثم أصابه المرض فعاد أدراجه إلى موطنه حيث ولى منصبا من أهم مناصبها (١)

(*) راجع الفلسفة الحديثة محمد على ابوريان ص١٢٩

(*) راجع أعلام الفلسفة الحديثة د/ وفائي زاهر ص ٧٥

(١) راجع قصة الفلسفة الحديثة ص١٣٠

*فــي سنة ١٦٧٥ م سافر لوك إلى فرنسا فقضى بها أربع سنوات تعرف فى خلالها على مالبرانش وأنطون أرنوو،قد أمضى الشطر الأخير من حياته في مقره الريفي لأسرة سير فرنسيس ما شام تحت رعاية زوجة الأخير وابنته ٠

*وممــا سبق يتبين للناظر أنه أسهم فى مجال الحرية الإنسانية، وفى مجال العــناية بالأفكــار حيــث وضع مشكلة المعرفة،كما أنه أعلى من شأن المنهج التجريبــي الاســتقرائي وعلــى الرغم من كل هذا إلاأنه لم يشر إلى المنهج الرياضي كما أشار ديكارت ولم يشر بيكون كما علمنا سابقا ٠

وفاته

يقول لوك عن نفسه (إن جسدي وهو الكوخ الصغير الذي اسكنه ليتهافت حتى لقد أخذت الريح تنفذ إليه خلال الشقوق إما ساكنة وأعنى النفس فما زالت شابة لــم تغيرها السنون ،تتوق إلى الانتقال إلى مسكن جديد ٠ وقد وفاته منيته في الثامن والعشرين من أكتوبر عام ١٧٠٤ م (*)

مؤلفاته :-

١-دراسة فى العقل البشرى ٠

٢-ثلاث رسائل فى التسامح ٠

٣ -مقالتان في الحكومة المدنية ٠

٤ -بعض أفكار في الــتربية ٠

٥ -معقولـــــــية المسيحية ٠

(*) راجع دراسات في الفلسفة الحديثة د/محمود زقزوق ص ١٩٧

دعا لوك فى كتابه فى الفلسفة السياسية إلى البعد عن نظرية الحق الإلهى المقدس التى استغلها الملوك فى حكمهم الإستبدادى، مدعين أنهم مفوضون من الله فى هذا الحكم فلهم الحق في وضع القوانيين التى يرون أنها مناسبة للشعب وعلى الافراد أن يمتنعوا عن معارضة هذه القوانيين إذ أنها مستمدة من السلطة الإلهية ، فليس هناك من قيود على حرية الأفراد إلا ما وضعها المرء على نفسه ففى تكوين المجتمعات السياسية ستتحقق حرية الأفراد فى حدود السلطة التشريعة التى اقامها الناس باختيارهم ، فالقانون الطبيعى يقضى بالمساواة بين الأفراد والجماعات فليست هناك سيادة طبيعية لفرد على فرد أخر وحتى سلطة الأب على ابنه وهى سلطة مؤقتة وأقرب إلى الواجب منها إلى السلطة كما أن من حقوقه الملكية الخاصة ترجع إلى العمل فالذى يعمل فى جزء من ارض تصير حيازتهاله وهذا الحق الذى طبق على المهاجرين الاوائل الى الامريكتين هذا الحق مقرون بامرين أولهما عدم الاتلاف أو التبديد للممتلكات عدم كفالة حق الآخرين فى حيازتهم لملكياتهم وكفالة حق العمل للجميع وهذا الحق المرتبط بالعمل والذى يزيد معه رأس المال يؤدى إلى الاعتداء على حقوق الأفراد من قبل بعض الأفراد ، ومن هنا فلابد من قانون يحمى حقوق الافراد وهو العقد الاجتماعى بين الشعب والحكومة أو الملك ،كما نادى لوك بفصل السلطة القضائية عن السلطتيين التشريعية والتنفيذية وكان لهذه الفلسفة تأثيرها على الإعلان الأمريكى والذى أصدر عام ١٧٧٦ م والدستور الأمريكى الذى صدر عام ١٧٨٧ م ،الذى يقوم على أساس التعاقد الشعبىكما كانت ميوله الواضحة فى الدعوة إلى الحرية وذلك بفصل الكنيسة كسلطة رادعة عن

فلكـــل مـــنهما وجهته فالكنيسة هدفها الحياة الآخرة ورعاية السماء وأما الدولة فإنهـــا موكله بتنظيم شئون عالم الأرض ،ومن هنا فقد رأى أنه ليس هناك من داعـــى لقيام دوله مسيحية فيكفى التسامح كخلق يعم الأفراد ...الخ ومن هنا فكـــل فوق الأرض يعيش،ولافرق بين معتقد وغيره،وأن نترك الكنيسة وشأنها فيما يتعلق بمسائل العقيدة بحسب القوانين العامة .[*]

[*] راجع الفلسفة الحديثة د/فوريك ص ١٣٩

تعقيب

تعـد فلسـفة لـوك الحسية امتدادا للمذهب الحسي عند بيكون وهوبز كما توافقت نظريته السياسية مع أفكاره المعرفية.

فرفض الحق الإلهي المقدس للملوك قابله رفض للأفكار الفطرية فالحق الإلهي للجمـيع كما أن أفراد الأسرة المالكة لايولدون وفى دمهم حق إلهى أو فطرى لحكم الناس حكما مطلقا . كذلك المعارف تنال بالحس والتجربة .

•كمـا يؤخذ عليه تردده في علاقة الفرد بالعالم الخارجي . فتارة يعد الأشياء المادية نفسها هى التى تصدر عنها المعرفة بانطباع آثارها على صفحة الذهن وطـورا يـزعم أن العقـل لايعـرف إلا أفكار نفسه التي قد لا تشبه الحقيقة الخارجية .(*)

•ولقـد أنكـر لوك الأفكار الفطرية كما علمنا ولكنه سرعان ما وقع فيها عند كلامـه عـن العقل وأن فيه نماذج وأفكارا فطرية أو صورا لحقائق الله تعالى والنفس والعالم الخارجي

• كمـا يعـد قو له بنسـبية الأخلاق خاطئا فادحا وذلك لثابتها وإن تغيرت المجـتمعات. فـالعدل عـدل فـى جميع الأوطان والأزمان. وإن رجع ذلك لرحلاته التي قام بها فلا يعد ذلك قولاملزما ؟

وذلك لأن الأخلاق كعلم تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه وما ينبغي أن يكون لا يستمد مما هو كائن(بالنسبة لما رآه) وإلا كان ذلك قلبا للاوضـاع . (*)

(*) راجع قصة الفلسفة الحديثة د/زكي نجيب محمود – احمد امين ص١٤٥

(*) دراسات في الفلسفة الحديثة ص٢١٥

*إن رأى لـــوك فـــى المعرفة يؤدى به الى الرأي القائل بان الألفاظ تدل على الأفكار بطريقة تشبه إلى حد بعيد دلالة الأفكار على الأشياء (*)

ديفيد هيـــوم (١٧١١ - ١٧٧٦)

حياته ومصنفاته [1]

شغف بالفلسفة منذ صباة حتى ضحى فى سبيلها بدراسة القانون التـــى أرادته أسرته عليها ثم ضحى بالتجارة كان يطمح الى أن يقيم مذهبا يضــارع العلوم الطبيعية دقة وأحكاما بفضل تطبيق "" منهج الاســتدلال التجريبــى "" فسافر الى فرنسا وهو فى الثالثة والعشرين ومكث بها ثلاث ســنوات يفكــر ويحرر وعاد الى انجلترا وبعد سنتين (١٧٣٩) نشر مجلدين من (كتاب فى الطبيعة الانسانية) الأول فى المعرفة والثانى فى الانفعالات وفى السنة التالية نشر المجلد الثالث والاخير فى الاخلاق فأشبه باركلى فى التفكير العقلى وكتابه هذا يطرق الموضوعات التى طرقها لوك ولكنه جاء معقد الاسلوب عســير الفهم فلقى اعراضا عاما تأثر له هيوم تأثرا عميقا فتحول الى تحرير المقالات القصيرة الواضحة ونشرها فى ثلاث مجلدات بعنوان (محــاولات أخلاقيــة وسياسية عام ١٧٤١ ، ١٧٤٢ ، ١٧٤٨) فأصابت نجاحا وكان قد عاد الــى كتاب الطبيعة الانسانية فخففه ويسره فأخرج كتاب " محاولات فلسفية فى الفهم الانسانى عام ١٧٤٨" وضحت فيه أراؤه عن ذى قبل ثم عدل عنوانه هكذا "" فحص عن الفهم الانسانى"" وأستأنف الكتابه فى الاخلاق السياسية فنشر عـــام ١٥٧١ كتابا بعنوان " فحص عن مبادئ الاخلاق" هو موجز القسم الثالث من كتاب الطبيعة الانسانسة ونشر عام ١٧٥٢ كتابا أخر بعنوان مقالات سياســية ثم توفر على تدوين (تاريخ بريطانيا العظمى) فأظهره فى ثلاث مجلــدات أعوام ١٧٥٤ ، ١٧٥٦، ١٧٥٩ " نالت أعجابا كبيرا وكان فى تلــك الاثنــاء يعالج مسألة الدين فصنف حوالى ١٧٤٩ "" محاورات فى الدين الطبيعى " لم

[1] تاريخ فلسفة الحديثة يوسف كرم ١٧٣ طدار المعارف ١٩٨٦ م .

يشأ أن تنشر فى حياته فنشرت بعد وفاته بثلاث سنين ولكنة نشر عام ١٧٥٧ كتابا أسماه التاريخ الطبيعى للدين ٠

وبعد ذلك شغل منصب كاتب السفارة البريطانية بباريس عـام ١٧٦٣ حتى ١٧٦٥ فكان موضع حفاوة الاوساط الفلسفية والادبيه وعاد الى وطنـه عام ١٧٦٦ وبصحبته روسو الذى كان يطلب ملجأ فى انجلترا وأنزله ضـيفا فى بيت له ثم عين وزيرا لاسكتلندا عام ١٧٦٨ ولكنه أعتزل الـوزارة فـى السنة التالية واقام بمدينة أدنبرة مسقط رأسه وتوفى بها ([٢])

بين هيوم وجون لوك

*حين تتجه الدراسة الى المقارنة بين " هيوم " ولوك : يستبين أكثر من جانب للشبة بين الفيلسوفين [٣]

فتكون معارفنا عن طريق الاثار الحسية والافكار عند هيوم هى نفس ماعبر عنه لوك

بالتجربتين الظاهرة والباطنة٠

ويتضمن القولان انكار المعانى الغريزية أو المعارف الفطرية اذ مـادام الحس هو الطريق الاول والاساسى للمعرفة والافكار اذ التجربة ترتبط بالحس أرتباطا ضروريا فان معنى ذلك أن الذهن يظل صحيفة بيضاء حتى تتعلـق الحواس بصور العالم الخارجى ٠

فكرة السببية

يتفق الرجلان فى موقفهما من فكرة السببيةفعلاقة السبب بالمتسبب عند كليهما ليست علامة التلازم العقلى الذى يحتم وقوع ظاهرة ماعند تحقق سببها وانما

---

[٢] تاريخ فلسفة الحديثة يوسف كرم ١٧٣ طدار المعارف ١٩٨٦ م ٠

[٣] اعلام الفلسفة الحديثة د رفقى زاهر ٠

هى علاقة التلازم العادى الذى يعنى ارتباط ظاهرة بأخرى ووقوع ذلك على سبيل التكرار هو الذى ينشىء فى أنفسنا اعتقاد التلازم الحتمى بينهما فنعتبر أحدهما سببا والاخر مسببا ثم نتوقع حدوث الظاهرة عند تحقق سببها الخاص وماذلك الا من وحى المادة أو صنع المخيلة

*فالسببية اذن فكرة ذاتية وليس لها وجود خارجي ومن الممكن تخلف المسبب عن سببه أو المعلول عن علته وقد جاء العلم الحديث يؤكد صواب الرأى الذى ذهب اليه : لوك" وهيوم " وذلك حين رفض القطع باستمرار العلاقة بين شىء ماعلى أنه سبب وأخر على أنه مسبب اذ المسألة لاتعدو مجرد التلازم العادى الذى يقبل التخلف او الاحتكاك

<u>السببية فى الفكر الاسلامى الفلسفى</u>

يقول د/ رفقى زاهر عن هذا الموضوع (٠٠٠٠ما رايناه عند هيوم يذكرنا بالسببية السنية التى شاعت بين أهل السنة وروج لها الامام الغزالى فى كتابه تهافت الفلاسفة وذلك فى مقابلة السببيه الفلسفية التى تبناها فيما بعد فيلسوف قرطبة " أبن رشد " وذلك دليل على سبق تراثنا الاسلامى الى ماتنبه اليه فلاسفة أوربا بعدة قرون

يقول الغزالى "" الاقتران بين مايعتقد فى العادة سببا ومايعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولاذاك هذا ولاأثبات احدهما متضمنا لاثبات الاخر ولانفيه .

متضمنا لنفى الآخر فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الاخر ولامن ضرورة عدم أحدهما عدم الاخر ٠ مثل الرى والشرب والشبع والأكل والاحتراق والقاء النار والنور وطلوع الشمس والموت وجز الرقبة والشفاء وشرب الدواء واسهال البطن واستعمال المسهل

وعلم جراء إلى كل المشاهدات من المقترنات فى الطب والنجوم والصناعات والحروف فان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه وتعالى

بخلقها على التساوق لالكونة ضروريا فى نفسه غير قابل للفوت ، بل فى المقدور خلق الشبع دون الاكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة ، وهلم جرا فى جميع المقترنات ٠٠٠٠)

* وقد كان متوقعا من هيوم أن يفسح مكانا رحيبا للمعجزات كما صنع الغزالى اذ فكرة المعجزة قائمة على جواز تخلف السببية وخرق الناموس

ولذا قرر "ط هيوم ":" أنكار المعجزة مشيا مع راية فى السببية ولكنة مالبث أن استنكر القول بموقوعها بحجة أن العقل أنما يميل الى أتساق النظام وهى حجة ضعيفة لاتصلح مطلقا لتبرير هذا الفصل المتعسف بين دوائر الامكان العقلى ودائرة الوقوع الفعلى فما دامت المعجزة ممكنة الوقوع فماذا يمنع العقل اذن من قبول خرق النظام أحيانا لاسيما وقد أسقط من حسابه فكرة الضرورة

ويلوح لى أن فكرة المعجزة كانت حائرة بين رأى هيوم فى السببية وهو رأى يتسع بقبول الخوارق وشكه المطلق الذى يحمله على رفض الدين كله فضلا عن المعجزات

ومن هنا قرر امكانها مسايرة لرأية فى السببيه وأنكر وقوعها تمشيا مع رأية فى الدين وذلك تلفيق وتأرجح يمثل موضعا من مواضع الضعف فى مذهب الفيلسوف ٠

وننتقل الان الى نظريته فى الشك :-

فنراه يبدأ طريقة بالشك فى المادة أو فى المحسوسات معتبرا القول بأن لها وجود خارجيا تجاوز لحدود العلم الذى يلزمنا بالوقوف عندما نستنبطه

من صور الاشياء على طريق الحواس والحواس لاتقدم الينا الا ادراكا جزئيا موقوتا بلحظة معينة فالقول بأم لكل صورة ذهنية مقابلا خارجيا يجاوز وجود لحظة ادراكة غلو فى التصور ومجاذفة فى التقدير ٠

وربما كان من الاسس الفلسفية لهذه الفكرة ماذهب اليه " هيرقليطس" من القول بالتغير الدائم فى الكائنات الى حد أن قال " انك لاتنزل البحر مرتين "[٤]

---

[٤] **هرقلطيس حوالي ٤٧٥ ق.م)**

مولده :- ولد في مدينة أفسس من أسرة أرستقراطية . ولكنه انحرف عن زخرفها إلي الحياة العزلة وكراهية السياسة الديمقراطية فيبلدته . غلب عليةه غضبة ، فكان لا يحتمل لجهل الناس ٠فالفرد الواحد يساوي عنده عشرة آلاف أن كان ممتازا .

فهو يشبه شوبنهاور في تشاومة علي الرغم من أنه لم يغلب في فلسفته الشر علي الخير ،بل قال أنها وجهان لحقيقية واحدة كما يكون الجمال والقبح والحياة والموت وغلب عليه الغموض .

فلسفته :-

قرر أن المبدأ الأول يتمثل في النار فالعالم كله أبدا وهو الأن وسيكون نارا حية أبدية وهي مستمرة في التميز المتصل إلي كل أنواع المخلوقات والأشياء فهي تتحكم في التحولات التي ينتقل بها مقوم إلي اخر من مقومات الكون فبينها وبين غيرها تبادلا كتبادل السلع .

كماان العالم لم يخلقه خالق ،أو عدد من الألهة ،أو أحد من البشر ولكنه كان دائما كما هو اليوم دائما نارا وسيستمر دائما نارا بمعاييراتقادها ومعايير خمودها ٠

التغيير ورؤيته:

-يرى هرقليطس أننا لا نري الا تغيرا (للنار)(كمظهر خارجي) فهذا اللهب الأيدي هو البذرة التي خرج مهنا كل الأشياء واليها تعود كل الأشياء أيضا . فليس لشيء ماصفة علي حال ، وهي أن تنوعت فقد صدرت عن اصل واحد ولها مرجع واحد، وهي تستطيع أن تستبدل نفسها باى شيء، كما تيستطيع استبدال النار نفسها بأي شيء - فهناك منوعات أخرى مثل النار والماء والأرض - والصراع بينها يؤدى الى تواجدها . فهي نغمات متضاريه تنسجم لتألف وحدة واحدة فالكون كله يسمي لوحدة الوجود .

*والتحولات تحدث بالطريق إلي أعلي والطريف إلي أسفل ٠ففي هذين الاتجاهين تحدث التغيرات فبالطريق إلي أسفل تنقل النار فتصبح ماء وجزء من الماء يفسرأ رضا ٠وأما بالطريق الى اعلى فتتصاعد الأبخرة من الأرض والماء فتصير سحبا ثم تشتعل فتعود الى النار بواسطة ظاهرة البرستير .

*كذلك يلاحظ قوله إن الأشياء تعود إلي النار يطرح بذلك فكرة تجدد العالم علي فترات كبيرة ويفسرها البعض بأنه (بنوع اقرب الى التدمير من البناء) ولهذا قال بفكرة الإختراق الكلي٠

*وأما تجدد العالم فقد قال بها الكلدانيون حيث اعتمدا أن هناك وقتا تشتعل فيه الكواكب السيارة بما فيها القمر والشمس ويحدث هذا في رأيهم كل سنة وثلاثين ألف عام ٠

كما أن لشك " بركلى " فى وجود المادة ظلا واضحا على فكرة " هيوم " وقد أمتدت هذه الفكرة عبر قرن ونصف من الزمان لتظهر بشكل جديد فى الوضعية المنطقية التى تقترن باسم الفيلسوف الانجليزى المعمر (برترلندراسل")

وجود الله:-

يهدم أشهر البراهين المثبته له ولكنه يتخبط فى حملته على هذه البراهين فهو فى نقده لبرهان الغائية يحتم أن تكون المقايسة كاملة بين الله والصانع الانسانى فما دام الصانع الانسانى يصنع بيديه ويجوز فيه التعدد فليكن ذلك جائزا فى حق الله أيضا حتى تكون المقايسة من كل وجه وهو مايتنافى مع الكمال الالهى الذى يقرره المتدينون ٠

ونتجه بهذا السؤال الى هيوم نفسه من ذا الذى زعم أن المقايسة لاتجوز الا اذا كانت كاملة من كل وجه ؟ كيف غاب عنك أن المتدينون لم يقصدوا بهذه المقايسة اكثر من تقريب فكرة الغائية ؟ فاذا كان الكرسى أو

أيضا:- جعل من التغيير أساسا لكل شيء وذلك من نظريتة تجاة الطبيعة فاعتبرها ثابتة ، وقرر أن كل شيء في تغيير ولا شيء ثابت، والنار هي ممثلة هذا التعبير الدائم ومن ثم فهي رمز الوجود ويعطينا مثالا فيقول (لا يمكنك إن تنزل النهر مرتين فىالنهر نفسه لان مياها جديدة تغمرك باستمرار) فالاشياء الباردة تصير حارة والحارة باردة ....الخ

*ويبدوا أن الغموض في فلسفة هذا الرجل من وراء اتحادهذه المتغيرات ولكنه أحيانا يضفهاالى اللوغوس ولكن هذا القول يبدوا بعيدا عندما نراه يقول أن القوة الملكية في يد طفل وأن الصاعقة تفني كل شيء

*واخيرا ماهذه النار التي ذكرها هذا الفليسوف ولها صفة الخلود هل هي النار المحسوسة أم شيئا أخر عقلي :-

يري بعض (الباحثين انها النار االحسية المعروفة وانه تاثربنار الفرس فقد غزت بلاد اليونان، بينما يري البعض الأخر أنها نار عاقلة الهية ، لطيفة للغاية تتمثل في العقل اللوجس أو العقل المسيطر علي العالم ، ولكن هذا بعيد فالأمر راجع لخلط المؤرخين ٠إلي جانب غموض هذا الرجل فضلا عن منادته بأن العالم لم يخلقة إله ولا بشر لكنه كان وهو سوف يكون نارا ابدية ٠

المكتب مثلا تظهر غايته بتصور موافقة هيئته لوجوه أستعماله فـان ذلـك يقتضى صنعا بستشرف هذه الغاية فيصنعه على هذا النحو دون سائر الانحاء ، فما بالنا بالكون الكبير بكل مانعلمه من حكمة وغاياتـه ، ألـيس أجـدر بالحاجة الى الصانع ؟ بل وبالا دلاله عليه مع ملاحظة أن بين الصانعين من الفوارق الهائلة والحدود الفاصلة ماينبغى أن يتصور بين النهـائى النـاقص واللانهائى الذى هو القمة القصوى لكل شرف وكمال [°]٠

أما مااحتج به هيوم على برهان الحركة من جواز أن يكون مبدأ التحريك هو الثقل أو الكهرباء مثلا فمردود عليه بأن ذلك ربما كان مقبولا بالنسبة الى الحركة العشوائية التى لاترتبط بقصد أو تهدف الى غاية ط أما والحركة تتجه الى غايات سبق رسمها بحساب دقيق فلا بد عن القول بمحرك أقتضت حكمته بوقوع الحركة فى وثتها الخاص وتوجهها الى هدفها الخاص ٠

أما فكرة الموجود الضرورى أو واجب الوجود الضرورى كما هو التعبير فى الفلسفة الاسلامية وهى الفكرة التى يعتمد عليها البرهان الثالث فليست خيـالا صرفا أو فرضا زائدا كما زعم " هيوم " بل هى ضرورة منطقية لتفادى كثير من المشكلات التى يقف العقل أمام صلابتها بتوتر القلق ومرارة العجـز أو يرتد عنها براحة اليأس وهو أن التسليم ٠

ومن ذلك أن العقل لايستطيع أن يتصور أستقلال المادة بنفسها توجيها وتدبيرا زأنه يحتم أن ينتهى التسلسل فى جانب الماضى الى بداية معينة يكون منها الانطلاق ٠

[°] اعلام الفلسفة الحديثة رفقى زاهـر ٠

أما قضية وجود الشر فى العالم فلا تتنافى مطلقا مع حكمة التدبير أو تتعارض مع كمال النظام ذلك لان تصورنا للشر وحكمنا عليه أمر نسبى يتفــق مـــع مداركنا القاصرة كمن رأى دورة المياة فى بيت على أكمل مايمكن من النظافة والاتساق فاستنكر وجودها ولو أنه فكر قليلا لعلم أن كمال النظام لايتحقق الا بوجودها ٠

*كذلك لو أدركنا حكمة الصانع لعلمنا ضرورة وجود الشر الى جانب الخير لاعلى أنه هو الاصل بل على ذابل نحيل فى شجرة الكون الحافلة بالاشذى والعبير ٠

ويمضى " هيوم " فى شكه ورفضة الى أقصى مدى فيشك فى وجود العقل نفسه اذ لايجد غير سلسلة من المشاعر والخواطر والذكريات وعجيب أن ينتهى أمر العقل فى فلسفة " هيوم " الى انكار وجوده أو الشك فيه وذلك بعد أن أستقل فرض وجوده فى أكثر من موضع

لقد رفض وقوع المعجزات بحجة أنم العقل يميل الى أتساق النظام وربط بين ركام الصور الحسية التى تنقلها الحواس عن العالم الخارجى برباط الذاكرة أو العقل فما باله الان بتنكر للعقل ويحمل عليه ؟ أليس ذلك من التناقض الذى يعنى عدم التماسك فى اجزاء فلسفته ؟

الأخلاق والفلسفة الاجتماعية

الأخلاق :ـــ([6])

[6] تاريخ الفكر الفلسفى الفلسفة الحديثة د محمد على ابوز ريان ص١٥٩ ط دار الكتب الجامعية ٠

لايمكن أن تقوم الاخلاق على مبادىء مطلقة عــن طريــق الحــدس والبرهان كما هو الحال بالنسبة للرياضيات ومن ثم فالاخلاق علم تجريبــى نسبى يرتبط أرتباطا وثيقا بعلم النفس ويستند الى الغريزة ويقوم على اســاس المشاركة أو التعاطف بين البشر لتحقيق منفعتهم أى مصالحهم المشتركة ٠

ولكى يوضح هيوم الأساس التجريبى الذى يقوم عليه الاخلاق يتنــاول الانفعالات والعواطف بالتحليل فيرى أن منها ماهو مباشر ومنها ماهو غيــر مباشر أما اللذة والالم فهما من اثار التفكير التى تصــاحب مباشــرة جميــع أدراكاتنا وتليها العواطف والانفعالات وتنشأ الانفعالات المباشرة من أثار اللذة والالم مباشرة ومن أمثلتها الميل والنفور والحزن والفرح والرجاء والخــوف ٠٠٠٠٠٠٠الخ

أما الانفعالات الغير مباشرة فهى أكثر تعقيدا وتنطوى علــى صــفات أخرى مختلفة وهى الكبرياء والتواضع والحب والكراهية والشــفقة والغيــرة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠الخ

أما الفعل الارادى الانسانى فهو لايستند الى ارادته ذات حرية مطلقة لاحدود لها بل يصدر عن حتمية السلوك الانسانى التى تستمد مقوماتها من شخصــية الفرد دون أى الزام خارجى فالعقل أنما يخضع للعواطف والانفعالات التــى تؤلف فى مجموعتها الطبي عية الخاصة لكل شخصية فردية ومن هنا كــان كل فرد مسئول عن سلوكه الاخلاقى ولكن كيــف يمكــن أن تقــوم أخــلاق أجتماعية ؟ أو بمعنى أخر كيف يمكن أن يتفق الناس علــى قواعــد بعينهــا للسلوك الاخلاقى اذا كان كل فرد يخضع فى تصرفاته لما تمليه عليه انفعالاته فحسب ؟ الواقع أن العقل يحاول تبصيرنا بمواقع الخطأ فــى الســلوك لكــى نتلافاها وهو االذى يساعدنا فى أختيار الهدف الاسمى للسلوك وســائر القــيم الاخلاقية الفا ضلة ومع هذا فاننا لن نصل الى مفاهيم أخلاقية مشتركة وتظل

القيم الاخلاقية فى نطاق الفردية البحته بل توشك الاخلاق أن تنحرف الى مهاوى الشك المطلق ٠

ولكى ينقذ هيوم الأخلاق الانسانية من هذه اللازمة نراه يلجأ الى الغريزة الطبيعية فيرى أن الاخلاق أنما تصدر عنها وأنه لما كان الناس جميعا يتساوون فى حصولهم على هذه الغريزة وعنها تصدر احكامهم الاخلاقية كذلك سلوكهم وسائر تصرفاتهم فلهذا نراهم يتفقون على سائر المفاهيم الاخلاقيه ويميزون بين الحق والشر من الافعال ولكن هذا الاتفاق المشترك بين الناس حول هذه المفاهيم انما يخضع لعوامل وظروف زمانية ومكانية معينة

ومن هنا يبدو الطابع النسبى للاخلاق الانسانية فى دائرة المجتمع الواحد نجد الافراد يتفقون على مفاهيم بعينها تحقيقا لخيرهم ولمصلحتهم المشتركة ويرجع هيوم هذا الاتفاق المشترك بين الناس على مصالحهم الى الغريزة اولا ثم الى مايسمبه بالتعاطف أو المشاركة الوجدانية SYMPATHY فقد ترى شخصا يتألم فتتكون لديك فكرة عن ألمه ثم لاتلبث هذه الفكرة أن تزداد حيوية كلما أمعنت فى ملاحظته حتى تتحول الفكرة لديك الى أثر فعلى حاضر تشعر معه بنفس الالم الذى يشعر به هذا الشخص المتألم فيكون هذا الالم محركا لسلوكك أنت ٠

وايا كانت مشاعرنا وأنفعالاتنا فان موضوعاتها ترتبط أرتباطا وثيقا بمدى ماتحققة من منفعة UTITY والفضائل كلها لاتعتبر خيرا الا اذا حققت منفعة أو مصلحة عامة لنا وأذا كنا نقول مثلا أن الغيرة أرفع واسمى من الانانية فلا يعنى هذا أننا نرفع من قيمة الغيرة لطبيعتها أولصفات تلحق بها فى ذاتها بل لانها تحقق فى ذاتها بل لانها تحقق مصلحة مشتركة للبشر أى لمنفعتها وكذلك فان العدالة ليست لها قيمة فى ذاتها بل لما تحققه من منفعة

وليست العدالة فى حقيقة أمرها سوى ثمرة مصطنعة للتحايـل الانسـانى أو وسيلة لاستقرار الامور فى المجتمع تحقق بفضلها فوائد جمة بالنسبة للنظـام الاجتماعى وللافراد على السواء ولهذا فنحن نطالب بها دائمـــا ٠

وخلاصة القول أن هيوم ظل أمينا على أتجاهة التجريبى فى تحليلـه للمعانى الاخلاقيه ولقد مهدت فكرته عن المشاركة الوجدانية السبيل أمـام أدم سميث كما استعار كل من شافقسرى وهتسسون أشارته الى الحاسة الخلقيـة NORAL SENES وأخذ عنه بنيام واصحاب مذهب المنفعة فـى القـرن التاسع عشر قوله بالمنفعة فى مجال الاخـلاق واذا كانـت هـذه المـذاهب الاخلاقية الثلاثة قد وجدت طريقها الى فلسفة هيوم الاخلاقية على مابينها من أختلاف اساسى فان هذا يكفى لاعطائنا صورة واضحة عـن مـدى التفكـك الواضح فى مذهب هيوم الاخلاقى ٠

وننتقل الان الى الاخلاق

ونذكر أن هيوم سلب الانسان حرية الحركة بل وحرية الارادة وقرر ألية السلوك التى تهبط بالانسان الى مستوى حيوان أعجم تتحكم فيه اللذه والالم وليس لسلوكه مرجع سواهما ولكنه قرر بعد ذلك أننا لانحكم على العمل الاخلاقى وفق مصالحنا بدليل أننا كثيرا مانمتدح موقفنا ببعض أعدائنا أو نثنى على وقع منذ مئات السنيين٠

سؤال وجواب وقفة مع هيوم :ـ

ان كنا فى تقديرنا لاعمال أعدائنا وأسلافنا نطمع فى تحصيل لذة ما أو نفادى ألم ما فنحن اذن نحكم وفق مصالحنا الخاصة وأن كان الحق هو الذى يحملنا على هذا الحكم المحايد حتى ولو كان مؤلما فقد أنهار القول برد السلوك

الانسانى كله الى طلب اللذه أو تفادى الالم ومعنى ذلك أن دعوى الاليه باطلة أو دليل الحيدة فى الحكم منقوض على أن الغريزة التى أعتبرها " هيوم "" مرجع للحكم على أى عمل بأنه خير أو شر أن كانت فطرية فانها تستتبع انطواء النفس على بعض الافكار الفطرية وهيوم" يرفض القول بفطرية شئ من المعارف وان كانت مكتسبة فقد أختلف ميزان الحكم من بيئة الى أخرى ومن شخص الى أخر وهذا

يعنى أنه لايوجد مقياس فلسفى عام تقاس به أخلاقية العمل فماذا فى فكرة هيـــوم"

من جديد ؟ أليست هذه الغريزة هى الضمير أو هى النفس اللوامة التى أشار اليها القران فى قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) (٧)

السياســــــة:ـــ

أما عن الحالة السياسية فقد رأى هيوم أنها جـــاءت نتيجـــة لتطـــور تدريجى مشابة لنمو اللغة وتطورها ومن ثم فقد هاجم فكرة الاتفاق الاجتماعى المدبر ومع هذا فانه يرى ان الصورة الخيالية لعقد أجتماعى مزعوم قد تكون لها فائدتها فى تقدير دور الغريزة وحاجات الانسان وكيف وانها مصدر جميع النظم الساسية والاجتماعية من حيث أنها هى التى تحفز الناس على الاتفـــاق فيما بينهم لمصلحتهم المشتركة فينشئون دولة ويفرضون فيها العدالة ونظـــام الملكية الخاصة ويعترفون بـــالالزام الخلقـــى والمعنـــوى فيفـــون بـــالوعود ويحترمون العقود وقد ساعد التفكير العقلى على نمو هذه النظم وتطورها خلال مراحل تاريخ الانسانية ٠[٨]

---

[٧] اعلام الفلسفة الحديثة د رفقى زاهر ٠

[٨] تاريخ الفلسفة الحديثة د/ محمد ابوريان ٠

نظام الملكية الخاص[1] :ــ (٩)

يعتقد هيوم أن الاعتراف بنظام الملكية الخاصة وبما يدعمها من عدالة وأمانه أنما يرجع الى أن الناس قد جبلوا على الانانية بل أن الالتزام الطبيعى أو الشعورى نحو العدالة قد ينشأ نتيجه لاهتمام مشترك بين الناس للمحافظة على ملكياتهم الخاصة وعلى قواعد السلوك العام فى المجتمع من حيث أن الالزام الخلقى أيضا من المشاركة فى المصلحة العامة وينمو الشعور بأهمية العدالة والمشاركة ويقوى بالتعليم الخاص والعام أما الالتزام المعنوى بالولاء للنظام السياسى والاجتماعى فانه يبقى قائما على المنفعة أى على تحقيق الخير المشترك للجميع وليس على اساس فكرة الواجب أو التعاقد الاجتماعى •

ويتناول هيوم مفهوم الملكية بالتحليل فيرفض أولا ماذكرة لوك من أن الملكية أنما ترجع الى العمل ويرى أن حق الملكية قد مر بخطوات متتاليــة فهى الحيازة occupation
ثم الاشتهار بوضع اليد على العين موضوع الملكيـــة preseription ثــم الاقرار من طرف الجميع بحق الحائز فى استغلال هذه الملكية accession وأخيرا اثبات هذا الحق عن طريق تعاقب المــلاك علـــى العــين بالوراثــة المشروعة succession أى بأنتقال الملكية الوراثى الذى يقرة الجميع •

الديـــــــن :ــ

لقد جاء ماكتبه هيوم عن الدين مؤيدا لما كشفت عنه الأبحاث العملية فى هذا المجال فالدين عنده ليس مصدرا للتفكير الفلسفى فى المشكلات الدينية
لقد حاول الناس منذ البداية التعرف على أرواح غير منظورة وبذلوا جهدا كبيرا لاستعطافها لكى يضمنوا تحقيق مطالبهم وبالتدريج أصبح لبعض

---

[1] نفســه •

هذه الارواح مكانه كبرى فى نفوسهم ومن هنا ظهر دين تعدد الاله polytheism وبمضى الزمن أصبحت جميع الالهة فى مركز ثانوى وأنفرد من بينها اله واحد بالقوة والعظمة والحكمة كالالة زوس عند قدماء اليونان وكذلك الحال عند قدماء العبرانيين وبهذا ظهرت أديان الوحدة monotheism[١]

---

[١] المرجع السابق ص ١٦٢ ،

الفصل الأول

تشارلز داروين ونظرية التطور

١٨٠٩ - ١٨٨٢م

تشارلس داروين

١٨٠٩ – ١٨٨٢م

المبحث الأول

حياته - آثاره

ينسب التيار التطورى إلى تشارلز دارون وإن سبق فى هذا الميدان بغيره فلم يكن هو أول من ذهب إلى القول بتطور الإنسان من حالة حيوانية دنيا متواضعة فإن فكرة التطور كانت قبله مجرد نظرية بحتة فأصبحت على يديه وبعد ظهور كتاب أصل الأنواع مبدأ علميا معترفا به رغم كل الشكوك والإنتقادات والمآخذ التى وجهت إلى هذه النظرية إلا أنه صاحب الحظ الأكبر فى نشأة هذه النظرية •

أولا : حياته - مصنفاته

- هو تشارلز روبرت دارون . العالم البريطانى الطبيعى الشهير . ولد فى ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفى فى نيسان ١٨٨٢م .عن ثلاثة وسبعين عاما كانت أمه ابنة صانع خزف اسمه (وذجود) أدخله والده فى كلية يسرع بجامعة كيمبردج لينخرط فى سلك اللاهوت وبعد أن أكمل دراسته بالكلية . قام سنه ١٨٣١م برحلته الشهيرة حول العالم التى استغرقت خمس سنوات وكانت هذه الرحلة ضمن البعثة البريطانية التى أوفدت على ظهر السفينة بيغل وقد اطلع فيها على الكثير من أسرار عالم الحيوان والنبات ولم يكن قد عرف عنه القول بالتطور بل سبقه لامارك الفرنسى بهذا القول وبلاحظ

تنكر داروين لأقوال لامارك قبل رحلته لكفه عدل عن آرائه بعد رحلته وصار قطباً من أقطابها الداعين لها . واستغرقت أبحاثه بعد عودته حوالي ربع قرن يحاول أن يدعمها .

وقد أقر أن الإنسان والمجموعة الشبيهة به كالشمبانزي منحدران من أصل واحد . تزوج داروين عام ١٨٣٩م . وكان من سكان لندن ثم انتقل منها إلى داون سنه ١٨٤٢م . وبقى بها إلى أن وافته المنية .

نال داروين وسام الاستحقاق البروس سنه ١٨٧١م وفى سنه ١٨٧٨م صار عضوا فى الأكاديمية الفرنسية وقد عمل داروين سكرتيراً للجمعية الجيولوجية من سنه ١٨٣٨م إلى سنة ١٨٤١م .

*** أثار داروين العلمية :-**

١- مذكرات رحلة حول العالم ١٨٤٢ م

٢- مشاهدات جيولوجية فى أمريكا الجنوبية ١٨٤٦م .

٣- صل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعى ١٨٥٩م .

٤- تلقيح زهر الأركيديا بواسطة الحشرات ١٨١٢م .

٥- الحركة للنباتات المتسلقة وعاداتها ١٨٦٥م .

٦- تغير الحيوان والنبات فى حالة الدجل ١٩٦٨م .

٧- أصل الإنسان ١٨٧١ هـ .

٨- التعبير عن العواطف فى الإنسان وفى الحيوان ١٥٧٢م .

٩- النباتات أكلـــه الحشـــرات ١٨٧٥م .

١٠- تسميد البســــاتين ١٨٨٠م .

المبحث الثانى

ثانيـاً "الجـذور التاريخيـة لمذهـب دارون"

* حفلت البيئة اليونانية بفلاسفة طبيعيين تكلموا عن التطور منهم أنكسمندر ٦١٠ ق .م

وقد افترض أن الحياة قد تولدت فى البيئـــة الرطبـــة وكـــانت جميـــع الأحيـــاء فـــى البداية أشبه بالأسماك ذات الغلاف السميك وكذلك تطور الإنســـان عـــن نـــوع مـــن الأسماك أو احتضنته الأسماك حتى أمكنه الحياة علـــى ســـطح الأرض الجافـــة .

وبذلك يكون أنكسمندر أول فلاسفة التطـــور فـــى تـــاريخ الفلســـفة وســـدق بـــلاس ودارون بمئات القرون من الزمـــــان.[١]

وأعقبه أنكسا غوراس ٥٠٠/٤٢٨ ق . م فقد ذهب إلـــى أن أصـــل الحيـــاة كـــانت جراثيم تسبح فى الجو فساقتها مياة الأمطار إلـــى حيـــث تكـــاثرت وتنوعـــت علـــى

---

* راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٣٥٤
* الموسوعة الفلسفية جـ١ ص ٤٧٣ . وما بعدها .

*نظرية التطور بين العلم والدين على أحمد الشحات ص ٢٠-٢٣ ط الخانجى .

[١] الفلسفة اليونانية . أميره مطر ص ٥٠ وما بعدها .

*راجع حكمه الغرب برتواندرسل ص ٣٥ وما بعدها عالم المعرفة ١٩٨٣م .

الوجه الذى نراه و علل رقى الحيــوان علــى النبــات بأنــه طليــق غــير مرتبــط بالأرض ورقى الانسان على الحيوان بأن لـــه يـدان .[٢]

• ومن فلاسفة فرنسا ديدرو – دينــس ١٧١٣–١٧٨٤م الـذى ذهـب إلـى القـول بأن المادة هى أوجدت نفسها بدون حاجة إلى خـــالق وأن الأحيـاء تتطـور ابتـداء من خلية تحدثها المادة الحية بحيث تحدث الأعضـــاء الحاجـات وتحـدث الحاجـات وتحدث الحاجات الاعضــــاء .[١]

• وأما جان لامارك* فهو الزعيم الإلحادى لهذه النظريـــة حيـث زعـم أن الحيـاة الأولى تولدت من المادة تولد ذاتيا ودونما تدبـــير مـــن مدبـــر أو إرادة مـــن مريـــد وقد قرر عدة مبادئ فى التطـــور أهمـــها: -

١- تغير ظـــروف البيئـــة المحيطـــة بـــالحيوان يـــؤدى إلـــى تغـــير الأجـــهزة العضوية فيـــه .

٢- الحاجات الناجمة عن هذا التغير يؤدى إلى خلـــق أعضـــاء ملائمـــة .

٣- الأعضاء والتراكيب فى الحيوان تقوى وتتحســـن بفضـــل تقويـــة اســـتعمالها وتضمر بسبب قلة اســـتعمالها أو ضعفـــه .

٤- بتوالى هذه الأجيال تصبح هذه التغـــيرات وراثيـــة .

*لا مارك عالم فرنسى اسمه جان بايتست لامـــارك ولـــد ســـنه ١٩٤٨م درس عـــام النبات ثم تتلمذ على عالم النباتات الشهير برنارده جوســـيه كمـــا درس علـــم الفلـــك

---

[٣] راجع الفلسفة اليونانية صـ١٠٦ وما بعدها .

[١] تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٩٠ وما بعدها .

وبدأ فلسفته بالقول بنظريـــة التطـــور والارتقـــاء وأعلـــن ذلـــك بنظريـــة التطـــور والارتقاء فى عام ١٨٠٠م وتوفى سنه ١٨٢٩ م وقـــد أودع بحثـــه الخـــاص بـــهذه النظرية فى كتابة فلسفة علـــم الحيـــوان ١٨٠٩م .

المبحث الثالث

* مفهوم التطور

أن الكائنات الحية فى تطور دائم على أساس من الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصلح فتنشأ الأنواع بعضها من بعض ولا سيما النوع الإنسانى الذى انحدر عن أنواع حيوانية . [١]

- أن الحياة الأولى للانسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الأرض بحر جرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال إلى حال تحت تأثير قواعد طبيعية حتى وصلت إلى هذه التنوعات التى نراها وعلى رأسها الإنسان . [٢]

- التغيرات النوعية التى تستحدث أو تنشأ فى الكائنات وترتقى بها سواء فى تركيبها أو سلوكها [٣]

---

[١] المعجم الفلسفى - الصادر عن مجمع اللغة العربية ص ٨٣ .

[٢] الاسلام ونظرية دارون محمد أحمد باشميل ص ٣١ دار الفتح الثالثة ٨٤م .

[٣] المعجم الفلسفى / عبد المنعم الحفنى - ص ٦٣

المبحث الرابع

رابعا (مبادئ دارون)

استند دارون في دعواه بالقول بالتطور إلى عدة مبادئ منها :-

المطلب الأول

١- **الحفريات** ويختص "بعلم الجيولوجيا" وتعرف الجيولوجيا بما تتضمنه الصخور الرسوبية من بقايا متحجرة لنباتات أو حيوانات عاشت في الماضي أثناء تكون الصخور التي تحتويها *

وقد سجل علماء الحفريات تطورا للجنس البشري يتضمن مجموعة من الأشكال التي اقتربت وابتعدت أحيانا عن الإنسان الحالي ولكن أقرب هذه الحفريات متشابهة للإنسان فيما يزعمون ما يسمى بإنسان كرو ما يثون والذي عاش من ٣٢٠٠٠ سنة إلى ١٥٠٠ سنة واكتشفت حفريات هذا النوع في كهوف بوسط فرنسا . ومعها بقايا حفارية على هيئة أسلحة وعاج منحوت.وأما عن الأنواع المتوسطة بين الرجل والقرد الإفريقي وإنسان كرومايثون فهي على النحو التالي:-

أولا : إنسان جنوب افريقيا .

ثانيا : إنسان جاوه (بأندونيسيا) .

ثالثا : إنسان بكين (في الصين) .

---

* **راجع المعجم الفلسفي ص ٣٢ وما بعدها .**

رابعا : إنسان هايدلبرج (ألمانيـــا)

خامسا: إنسان نياندرثال اكتشفت حفرياته بالقرب مـــن دو ســيلدورف بألمانيــا .

سادسا: الإنسان العاقل بدأ ظهوره منذ حوالـــى ١٢٠٠٠ ســنة والتغــيرات حســب زعم علماء التطور التى أدت إلى تكوينه عقلية أكـــثر منـــها جســمانية.(٢)

- كل هذه الأمور كانت من وراء إدعاء أربـــاب التطـــور أن الأنـــواع لـــم تخلـــق خلقا مستقلا منذ البدء بل نشأت كالضروب من أنـــــواع أخـــر .

المطلب الثانى

ثانيا : الإنتخاب الطبيعى – والتغيير من نوع إلى نوع جديد – (البقـــاء للاصلـــح)وهو تعبير صدر عن هربرت سبنسر وليس عن داروين .

- إن عملية التلائم الطبيعى مع البيئـــة قـــد قررهـــا دارون حيـــث رأى أن تمـــاثل الكائنات الحية فى بقية الجســـم وانفراقـــها أنواعـــا بحيـــث يتمـــيز كـــل منـــها بسمات تلائم بينه وبين البيئة اعتبر ذلك دليلا على أنـــها تطـــورت مـــن أصـــل واحد أو عدة أصول وأنها فى تكاثرها تلـــد أصنافـــا تتمـــيز ببعـــض المغـــايرة ، وأن هذه المغايرة تمكنها من التلائم مع البيئة والبقـــاء والتنـــازع علـــى القـــوت والصراع فى سبيل البقاء وأن البقاء للأصلـــح أى للـــذى يكـــون أكـــثر تـــأهيلا للتلائم مع البيئة " ومن هنـــا فغايـــة هـــذا الأمـــر تحســـين الأنـــواع الموجـــودة بالفعل ومعاونتها على التكيف بالبيئة والصـــراع علـــى البقـــاء .(٢)

---

(٢) الاسلام والاتجاهات العلمية د يحيى هاشم فرغل ص٣١ ط دار المعارف .

(٢) راجع المعجم الفلسفى عبد المنعم الحفنى ص (٣٢)

ومن هنا فإن الكائنات فى صراع دائم علـــى البقــاء والحيـــاة ولا بقـــاء إلا للأقـــوى أو للأصلح – لما فى طبيعة الكائنات العضويــــات مـــن قابليـــة للإزديـــاد والتكـــاثر وكل كائن فى الوجود إن انتج فى حياته عددا وافرا مـــن البيـــض أو البـــذور فلابـــد أن ينتابه الهلاك فـــى بعـــض أدوار حياتـــه أو فـــى غضـــون بعـــض الفصـــول أو السنين إتفاقا وإلا فإن عدة أفراد يتكاثر بنسبة هندســـية لا يتصورهـــا الوهـــم حتـــى لقد تصغر أى بقية من البقاع دون أن تعضد نتائجـــه وســـنن الحيـــاة تقضـــى بـــأن يربو (يزيد) عدد الأفراد الناتجة على العاجز منـــها علـــى البقـــاء ....[٢]

وقد كتب مالتوس مقـــالا فـــى عـــام ١٧٦٦–١٨٣٤م[١]– عـــن التعـــدد وتكـــاثر السكان وبين فيه أن زيادة عدد السكان تجعلـــهم يتنافســـون فيمـــا بينـــهم ولا يبقـــى منهم إلا أرباب القوة ومـــن أســـتطاعوا التكيـــف مـــع الوســـائل والحـــالات التـــى يقضيها التنافس فإذا كان التحول العضوى قد يحـــدث فـــى ظـــل الطبيعـــة الصرفـــة حدوثه فى ظل الإيلاف إذن فالتكـــاثر غـــير المحـــدود يقضـــي تنـــافس الضـــروب

---

[٢] أصل الانواع صـ١٩٤.

[١] تاريخ الفلسفة الحديثة ٣٥٢.

المختلفة وأن ذلك التنافس لابـد أن ينتـهى بانتخـاب الأكـثر تكيفـا مـع مختلـف الحيـاة [٢]

- ولعلنا نلاحظ التكتلات الإقتصاديـة فـى العـالم مـن حولنـا ونظرتـها إلـى الشعوب الأخرى نظـرة ازدراء واحتقـار..

وقد تأثر داروين بما كتبه مـالتوس حـول البقـاء للأصلـح وهـذا القـانون يتبعـه قوانين فرعية هـى

أ- الملائمة بين الحى والبيئـة الخارجيـة

ب- استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها .. بحيـث تنمـو الأعضـاء وتضمـر أو تظهر أعضاء جديدة تبعا للحاجـة

ج- قانون الوراثة . انتقال الإختلافات المكتسبة بقوتـها إلـى الذريـة [٣]

وعصارة الأمر – أن داروين يـرى أن الكائنـات القويـة هـى التـى تسـتطيع أن تقهر عوامل الفناء والهلاك وأما الكائنات الهزيلة فلا سـبيل لـها الأمـر فسـرعان ما تضمر وتهلك وأن هذه الكائنات القويـة تتلائـم مـع بيئتـها الخاصـة وتـورث صفاتها القوية لغيرها . ومع مرور الزمن تتكون صفـات جديـدة للكـائن أو ينشـأ سلالة قوية وهو ما يعرف بالنشوء وما يـزال الكـائن يرتقـى فـى هـذه السلسـلة القوية إلى كائن أعلى ويستمر هذا الإرتقاء وما يعـرف عـن هـذه النظريـة باسـم النشوء والارتقاء ومن ثم تظهر سلالات قوية هى القـادرة علـى البقـاء ومواجهـة

---

[٢] مقدمة اصل الانواع اسماعيل مظهر ص٧٥ .

[٣] تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٣٥٣ .

صراع الحياة ويتكيف أفرادها مع البيئة أو الطبيعة التـــى نقلتــهم مــن حـــال إلـــى حال ..َ وهكذا فلا وجود للخالق فى تدبير الكـــون بـــل الطبيعـــة خالقـــه كـــل شـــئ وهذا ما يلتقى مع الشيوعية وأصحاب الإتجــــاه الآلـــى وفـــى هـــذا يقـــول الأســـتاذ يوسف كـــرم

" النظرية الداروينية آلية بحتة تستبعد كل غائية ولا تدع للكـــائن الحـــر قســـطا مـــا من التلقائية بل تعتمد علــــى محـــض الإتفـــاق أو الصدفـــة فـــى حيـــاة النبـــات أو الحيـــوان". [١]

المطلب الثالث

علم الأجنــة

<u>ثالثا</u> : اعتمد دارون فى تثبيت أركان نظريته على التشـــابه الموجـــودة فـــى الأجنـــة ورأى أنها بذلك تتحدر بعضها عـــن بعـــض ..

---

(١) المرجع السابق ص٣٥٠ .

- لاحظ دارون ما يفعله مربو الماشية حيث يحصلون على أصناف جديدة بالمزاوجة بين الأفراد الذين يلاحظون فيها تغيرات ضئيلة ملائمة فقد رأى الأفراد الذين يكتسبون وظيفة أو عضوا ملائما لظروف حياتهم أقدر على الصراع من العاطلين من تلك الوظيفة أو ذلك العضو - فيحسن الألون نوعهم وينقرض الآخرون فهناك إذن إنتخاب طبيعي يشبه الانتخاب الصناعي إلا أنه خلا من القصد والنظام.

راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص٣٥٢ .

المطلب الرابع علم وظائف الأعضاء

رابعا: كما اعتمد علــى وظــائف الأعضــاء الفســيولوجية . والتــى تتشــابه مــن شخص لآخر ومن كائن إلى كائن أخر فعلـــل ذلــك كلــه بــالتطور .. فمعلــوم أن جميع الفقريات يوجد بـــها منطقــة رأس وجــذع وذيــل وأطــراف وأن الأعضـــاء الداخلية تتشابه فى جميــع الفقريــات (الجــهاز الــهضمى – التنفســي – الــدوري ...)

ويؤكدُ التطوريون أن هذا التشابه ليس إلا بيــان لحقيقــة التطــور.[1]

---

[1] راجع الاسلام والاتجاهات العلمية الحديثة ص ٣٩ وما بعدها .

الفصل الثاني

النقض العلمي لنظرية التطور

١٦٢

المبحث الأول

أهم الردود العلمية لنظرية التطور

التحول الفجائى

١-يقول العلامة دوفرى (إن التجارب العلمية الحسية أثبتت بطلان هذه النظرية فأعلن مشاهدات فيما سماه بالظهور الفجائى لأنواع نباتية جديدة طفرة بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من أسلافها الأولية) فإذا كانت النظرية تفترض حدوث تغيرات بطيئة فى الكائنات الحية فكيف تفسر لنا هذه الإنتقالات الفجائية.وما العلاقة العجيبة بين دودة القز التى تدب على الأرض وبين انتقالها الفجائى إلى فراشة تطير بأجنحتها محلقة فى الفضاء وفى هذا يقول أيضا جوستاف جوليه فى كتابه (على أطلال المذهب المادى) إن الحشرة بظهورها من أقدم عهود الحياة الأرضية وثبات أنواعها فى جميع الأحوال بعد بروزها تناقض ما هو مسلم من التحولات البطيئة كما تقول نظرية دارون) وهنا يعلو صوت العلم ليثبت بطلان هذه النظرية .. فإن نظرية التطور تقول إن أحط الحشرات كالدودة مثلا تتطور إلى حيوانات أعلى منها تدريجيا حتى تصل إلى حيوانات أكبر فأكبر ريشية ومجنحة ، فحيوانات أعلى ذات فقرات الخ... ولكن واقع دودة القز والحرير ينسف هذه النظرية من أساسها تماما.

- فالتحول الذى يحدث لدودة القز والحرير لا يتم لتترقى هذه الدودة وتتطور إلى أنواع أرقى منها وأعلى كما يرى التطوريون وإنما هو عامل

ضرورى ثابت لإنتاج القز والحرير إذا بـــدون هــذا التحـــول يســتحيل علـــى الإنسان الحصول على شئ من هذه المـــادة المتينـــة .

- يقول الأستاذ مزحف (إنه يتبين لنا من الواقع أن بيـــن الإنســـان والقـــرد فرقـــا بعيدا فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان سلالته القـــرد أو غـــيره مـــن البـــهائم ولا يحسن أن نتفوه بذلـــك)

المبحث الثانى

ثانيا: وسائل الدفاع عن النفـــس :-

إن كل حيوان له وسائله الخاصة به من حيـــث دفاعـــه عـــن نفســـه ضـــد أعدائـــه وهذا واقع مشـــاهد ومرئـــى . فـــإذا أرادت نظريـــة التطـــور أن تطـــور الحيـــوان الزاحف إلى طير أو تطور الطير إلى حيـــوان زاحـــف بصـــورة تدريجيـــة بطيئـــة فإنها بذلك تكون قد حرمتها من وسائلها الدفاعية وفـــى هـــذا هلاكـــه .

- يقول أرمون بربيه مدير الآثار الحيوانات فى باريس (أخـــذ البـــط يعـــوم لأنـــه وجد لنفسه أرجلا مكففة تصلح للعوم فـــهذه الحيوانـــات قـــد أعـــدت مـــن قبـــل للعوم فتكونت لها أرجل مغشاه على مـــر الســـنين)
- ألا يدل هذا على خلق محكم من لدن حكيـــم خبـــير ؟..

المبحث الثالث

ثالثا: إنتقال الصفات الوراثيـــــة

نسف قانون علم الوراثة تلك الصورة مـــن أساســها وأثبــت أن الله مبــدع للكــون وخالق له وإليك طرفا من قــول علمائـــهم :

يقول (كريس موريســـون):

(إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئا عــن وحــدات الوراثــة .. كــل خلية ذكرية كــانت أو أنثويــة تحتــوى علــى صبغيــات أو كروموزمــات تحمــل المورثات التى تعتبر العامل الرئيسي فيما سوف يكــون عليــه كــل كــائن حــي أو إنسان ، وتبلغ هذه الصبغيات من الدقــة أنــها وهــى المســؤولة عــن المخلوقــات البشرية جميعا التى على سطح الأرض من حيـــث خصائصـــها الفرديــة وأحوالـــها النفسية وألوانها وأجناسها لو جمعـــت كلــها ووضعــت فــى مكــان واحــد لكــان حجمها أقل من حجم الكشتبان وهذه الصبغيات الدقيقة هــى التــى تحفــظ التصميــم وسجل السلف والخواص لكــل كــائن حــى وهــى تتحكــم تفصيــلا فــى الجــذر والجزع والورق والزهر .. لكل نبات تماما كمــا تفــرز الشــكل والقشــر والشــعر والأجنحة .. لكل حيوان وكذلــك الإنســان)

فالمورثات الموجودة فى الخلية الأولى للمـــرء هـــى التـــى حـــددت شـــكله الحـــالى وليس ذلك من تأثير البيئة ولا دخل لعامل التطـــور فيـــه .

- ثم إن التحولات الجذرية فى الحيوانات عن طريق الوراثـــة ليســت دليــلا

لهم ، كما يرى الأفغانى فمن واهياته ما كان يرويه دارون من أن جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا ..

- صارت الكلاب تولد بلا أذناب كأنه يقول: حيث إنـــه لـــم تعـد للذنـب حاجـة كفت الطبيعة عن هبته .. وهل صمت إذن هـــذا المســكين عـــن ســماع خـبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان ألوفا مـــن السـنين لا يولـد مولـود حتى يختتن وإلى الآن لم يولد واحد منـــهم مختونـا إلا لإعجـاز . وقـد بينـت مصادر علماء البيلوجيـا فـــى الوقـت الحـالى فـــى مجـال الوراثـة أن كـل الكائنات العضوية تخضع لنفس الشفرة الوراثية مما يقـــوى فـــى نظـر هـؤلاء العلماء احتمال وجود أصل واحد مشترك لكل هذه الأشـــكال مـــن الحيـاة ..

المبحث الرابع

رابعا: وجود الأنواع المتباينـــة

- يلاحظ المشاهد لعالم الحيوانـــات وعـــالم الطيـــور ... أنواعـــا متباينـة علـــى الرغم من اتحاد جنسها . ففى الطيـــور الأحمـــر والأسـمر مـــن حيـث اللـــون ومن الحجم النسور والصقـــور .... والـــخ

وكل مهيأ لما خلق له ومنها مـــا يعيش فـــي الصحـــراء وأخـــرى فـــى الأمـــاكن الجليدية ....الـــخ

فلو كانت تلك النظرية صحيحة لا تحـــدث هـــذه الأجنـــاس ولســـارت علـــى نســـق واحد من الترقى حتى يصل إلـــى ذروة الكمـــال .

وعن هذا يقول الافغانى رحمه الله (إن سئل داروين عن الأشجار القائمة فى غابات الهند والنباتات المتولدة من أزمان بعيدة لا يجد التاريخ الا ظنا وأصولها تقرب فى بقعة واحدة وفروعها تذهب فى هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب فى اختلاف كل منها عن الأخر فى بيئته أو أشكال اوراقه وطوله وفقره وضخامته) ..

ورقته وزهره وثمره وطعمه ولا نحته وعمره فأى فاعل خارجى أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ، ... أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه .

المبحث الخامس

خامسا :- إنعدام الحياة

عملية تحول الخلية الحية سواء أكانت لإنسان أو حيوان كما يرى التطوريون قول متهافت لأنه يترتب عليها العبث فى الكون وعدم كفايته للحياة وعدم وجود القسط فيه – فلو تحولت خلية نباتية مثلا إلى حيوانية لسبب ذلك إنعدام الأوكسجين وبالتالى إنعدام الحياة وقس على ذلك سائر الأمور الأخرى .

المبحث السادس

سادسا :- ثبات الخلق

وعن هنا يحدثنا الاستاذ المرحوم محمد فريد وجدى حيث يقول :

*- أننا لم تشاهد أى أرتقاء من أى نوع كان فى الأحياء الأرضية منذ ألوف السنين فلم يثبت فى أى عصر من العصور أن عصفورا تحول إلى ديك أو أن

قردا تطور إلي إنسان فلو حدث شئ مثل هذا لتواتر خبره وشاع عبر العصور ..

*- عدم وجود الصورة المتوسطة بين الأنواع اللازمة لدعم مذهب التطور - كأن يوجد مثلا زاحف فى طريق تطوره الى طير .

*- عمر الأرض لا يكفى لإثبات هذه النظرية لطول الزمان اللازم لحصول عليه الترقى التى قدرها بعضهم . ببلايين السنين . أيضا - جاء العلم الجديد للكشف أن للإنسان صفات ثابتة لا يلحقها أى تغير لأنها صفات تحملها خلايا الوراثية كأنها بصمات أصابع شخص واحد لا تتغير طوال عمره وأن المكتسبات الجديده تضاف الى تلك الصفات الثابتة ولا تمحوها أو تبدلها ..

المبحث السابع

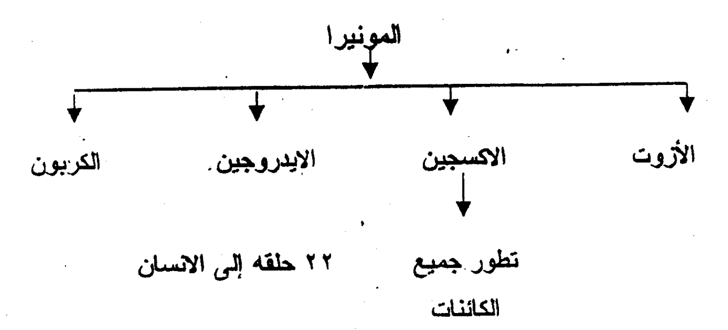
سابعا :- اكتشافات ومشاهدات

اعتمد أرباب التطور فيما ذهبوا إليه على القرد المسمى أوستر الوبيشكوس (قرد الجنوب) والذى عثر عليه جمجمة له عام ١٩٢٤م فى جنوب إفريقيا واعتبروه الجد الأول للإنسان والذى يعود الى ١١٥ مليون سنه واليوم يكشف العلماء فى تشرين الأول سنة ١٩٧٤ فكا متحجرا كاملا وسليما لإنسان عثروا عليه فى وادى أواش في الحبشة وقدروا عمر فكه إلى ٣-٤ ملايين سنة وبذلك يكون الثانى (صورة فك الإنسان) أقدم عمرا مما ذهبوا إليه ، وينتج من هذه المغالطة أن الإنسان خلق كهيئته ولم يتطور عن شئ وأن القرد حين خلق خلق كهيئته . فاين التطور من كل الخلقتين ألا ساء ما يحكمون !

المبحث الثامن

الحلقات المفقــودة

إن فقدان الصور الوسطى التـــى تربــط بيــن الأنــواع وعــدم ظــهور جزئيــات التحول الحقيقى فى شعب النظام العضوى فى الحفريـــات التـــى عــثر عليــها مــن الآن دليل على أن المذهب غير صحيح أو على الأقل غير كـــامل فـــى كثــير مــن وجوهه العلمية والإســتنتاجية



- ونزيد الأمر وضوحا كمـــا يــرى أرنســت هكــل الــذى ذهــب إلــى أن الوجــود الضرورى الوحيد هو المادة وأن الحياة ترجـــع إلـــى أصــل واحــد هــو المونــيرا التى تركبت اتفاقا من الأزوت والأيدروجين والأكســـجين والكربــون ثــم تطــورت على التوالى حتى تكونت جميع الكائنـــات الحيـــة

وقد عد هكل اثنتين وعشرين حلقة بيـــن المونـــيرا والإنســـان ووضعـــها مستعينا بذلك ببقايا الأحياء فى طبقـــات الأرض

واستطاع أن يسد بعض الفراغ فى سلسلته بتصور بعض الكائنات الحية كى يبرهن على صحة القول بالتطور .

وهكذا يتناقض الماديون مع أنفسهم فيما ذهبوا إليه فهم لا يؤمنون إلا بالمحس والمرئى فكيف يثبتون تصورهم على حلقات لا يعرفونها - وأنى لهم ببداية الخلق ....!!

فهم يزورون العلم من أجل مصلحتهم

يقول اسماعيل مظهر (إن الباحث إذا تعمق فى الدرس وجد أن الجيولوجيين والحفريين وعلماء التاريخ الطبيعى والحياة قد اتفقت مباحثهم على الإيمان بوجود حلقات تربط بين كثير من الأنواع الحية وحلقات تربط بين أنواع حية وأخرى منقرضة منذ أزمان موغلة فى القدم)

وقد رد الأسقف اسطفا مذهب داروين مطالبا إياهم بالحلقة التى يعترف الداروينيون بأنها مفقودة والتى لم ير لها أثر أو عين بين الأحياء ولا بين الأموات ، لا فى الأحافيش ولا فى المتحجرات .

ولقد اعترف داروين بهذا النقض الموجه إلى هذا الموضع من النظرية يقول : (الحقيقة إن علم الجيولوجيا لا يحبونا بتلك السلسلة المنظومة من الصور العضوية.والراجح أن هذا الإعتراض أنكى ما يقوم فى وجه التطور.)

المبحث التاسع

تاسعا :- التشابه التشريحي

إن التشابه التشريحي لا ينهض دليلا لهؤلاء بل يثبت ذلك وحدة الخالق لأنه خلقها على غير مثال سبق . بخطة واحدة وبنظام واحد يقول د/مدين عيسى (إن تشابه الحيوانات في الإطار الأساسي لتكوينها يدل على وجود أسلوب واحد للخلق مبدعه خالق واحد)

يقول الأستاذ يوسف كرم (.. فظاهرات النوع ثابت من حيث الجوهر متغير من حيث العرض ولكن دارون اتخذ التغير العرضي معياراً وفسر الأنواع أنفسها كما تفسر الأصناف .

وقد نسلم بالتطور ثم نرانا مضطرين إلى اعتبار الإنسان نوعا قائما بذاته بسبب ما يختص به من علم ولغة ..... وهي مظاهر للعقل لا نظير لها ولا أصل في سائر الحيوان .

وقد نسلم بالتطور ثم نرانا مضطرين إلى الإقرار بموجد للمادة موجه لها لقصور المادة عن تنظيم نفسها ولكن من العلماء والفلاسفه من يفكرون كالعامه بالمخيله دون العقل فيسقون المحالات [1]

كما أن التشابه في الأجنة لم يخرج الانسان عن إنسانيته والحيوان عن حيوانيته ..

---

[1] تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم (٣٥٥) .

المبحث العاشر

عاشراً :- التعميم المفــــروض

من الخطأ الفادح ما ذكره دراون من نحو تعميــــم تطــور الكائنــات علـــى الرغــم من حدود معرفته فإن مشاهدته لم تعـــد إلا دائــرة محـــدودة مـــن الأرض فكيـــف يعمم حكمه مع اعترفه بالنقص بقوله (أما القـــول بـــأن مجموعاتنـــا الجولوجيـــة ناقصة فحقيقة لا ينكرها أحد مـــن البـــاحثين)

يقول الحقيقة إن علـــم الجيولوجيـــا لا يحبونـــا بتلـــك السلســـلة المنظومـــة مـــن الصور العضويه والراجح أن يكون هذا الاعتراض أنكـــي مـــا يقـــوم علـــى وجـــه التطور ويقـــول إدورد .... الاستكشـــاف الجيولوجـــي لـــم يتنـــاول إلا باحـــة صغيرة من كرة الأرض العظمى ومـــا استكشـــف منـــها لـــم يصـــرف نحـــوه مـــن العناية ما يســـتحق .)

وقد زور باسم العالم كثيراً من القضايـــا التطوريـــة والتـــى لبســـت ثيـــاب الحقيقة فمن أمثله ذلك (ما ورد فى مجله ساينس نيـــورز فـــى عددهـــا الصـــادر فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٠م حيـــث تقـــول (إن مـــن أعظـــم الأخطـــاء المكتشـــفة بالطرق العلمية هى قضية إنسان ببيلتداون الـــذى اكتشـــف فـــى سويســـكس فـــى انجلترا والذى يعتقد العلماء أنه يعود إلى نحو مليـــون ســـنة إلـــى الـــوراء وبعـــد أخذ ورد ثبت إن هذا الإنسان لم يكن إنسانا بدانيـــا قـــط بـــل هـــو مجموعـــة مـــن جمجة إنسان اليوم وفك قرد وقدمـــود بيكرومومـــات البوتاســـيوم وبملـــح الحديـــد

لأعطائه شكلا متحجرا أقدم من حقيقته ولم تصبغ فقط الجمجمة لكى تظهر وكأنها قد ذابت من الاستعمال .

وكتبت مجلة نيوزويك تايمز تقول : -

فى البدء كان العلماء يظنون أن إنسان نياندرثل كان ذا هيكل قردى دميم كدب وذا مظهر حيوانى ولكن الأبحاث الأخيرة أظهرت أن أجسام رجال ونساء هذا النوع كانت إنسانيه تامة وكانت مستوية وذات عضلات نامية وكان دماغهم بحجم دماغ الآنسان)

وهكذا كما تقول مجلة العلوم الأمريكية فى عددها الصادر فى كانون الثانى يناير سنة ١٩٦٥)

تقول (إن جميع علماء التطور لا يتوارون عن اللجوء إلى أى حيلة لينسجو أدلة وهمية لإثبات ما ليس لديهم عليه دليل) ولقد احتال هؤلاء واختالوا واستكبروا واستكبارا فى تحاليهم على خلق الله . وعلى إثبات الصانع عز وجل كخالق ومدبر ..

ومن ذلك إدخال الحيل السينمائية وتزويرها باسم العلم على أنها حقائق .

فقد نشرت مجلة نيويورك تايمز سنة ١٩٥٩ تقول إن إنسان بكين الذى مضى عليه ٥٠٠ ألف سنه قد أعطى خلقة جديدة ليلعب دورا رئيسيا فى فيلم صينى وقد أعيد تركيب هذا الإنسان الذى هو إنسان ما قبل التاريخ لهذه الغاية وعرض الانسان الجديد على العالم على اعتبار أنه أشبه الناس بالانسان القديم)

وهكذا يفترى هؤلاء باسم العلم ما ليس منه ألا ســـاء مـــا يحكمـــون .

يقول أرثر كيث (إن النشوء والارتقاء غير ثابتـــه علميـــا ولا ســـبيل إلـــى إثباتـــها بالبرهان ونحن لا نؤمـــن بـــها إلا لأن الخيـــار الوحيـــد بعـــد ذلـــك هـــو الإيمـــان بالخلق الخاص المباشر وهذا ما لا يمكن حتـــى التفكـــير فيـــه .[1]

ويقول البيولوجي أوستز كلارك (لا توجد علامة واحـــدة تعمـــل علـــى الاعتقـــاد أن كل مرحلة لها وجودها المتميز النـــاتج عـــن عمليـــة خلـــق خاصـــة ومتمـــيزة ....)

*وقد اعتمدت تلك النظرية على مبـــدأ المصادفـــة وهـــو أسـلوب مرفـــوض فـــى الاتجاهات العلمية فالاعتقاد لا سبيل له فى هذا الإطـــار العلمـــى فعندمـــا نقـــول إن الطيور لكى يخف وزنها كونت فى عظامـــها أكياســـا هوائيـــة فـــهذا قـــول يدعـــو إلى الضحك إذ أن الطائر ليست لديه القـــدرة علـــى تغيـــير تركيبـــه ولا يمكـــن ان يقوم بإحداث هذا التغيير الواعى سوى القـــدرة الإلهيـــة ..

قلل العلماء من دلالة علم الحفريات على مذهـــب النشـــوء والإرتقـــاء نظـــرا لمـــا عاصر الأرض من زلازل وبراكين وأعاصير غيرت مـــن شـــكل التربـــة الأرضيـــة ومن هنا يقف مذهب النكبات حجر عثرة فى وجـــه أربـــاب التطـــور خاصـــة بعـــد الحوادث الأخيرة مثل التفجيرات الذرية والإشعاعات النوويـــة .. ألـــخ وكـــذا فـــى تاريخ الأرض يحتمل حدوث مثل هذه التغـــيرات وحتـــى مـــا اســـتند إليـــه علمـــاء

[1] باحداث هذا التعمير الواعى سوى القدره الالهية .

* الاسلام يتحدى ص ٣٩ .

* راجع الاسلام والاتجاهات العلمية الحديثة ص ٥٨ .

الحفريات من دلالة الإشعاعات على علم الحفريات فإنها لـــم تنـــهض لـــهم بدليـــل لأنـهم اشترطوا الثبات فى التغير الإشعاعى على مـــر العصـــور وهـــذا أمـــر غـــير مقبول كما اشترطوا أن تكون المعدنيات التى حللت بقايـــة ثابتـــة الـــتركيب طـــوال الأجيال وهذا أيضا محـــال [1]

---

[1] راجع نقض هذه النظرية

١- الاسلام والاتجاهات العلمية ص ٤٠ إلى ٦٦ .

٣- النزعة الالحادية فى النظرية العلمية الداروينية .

ومواقف الاسلام منها د/فرج الله عبدالبارى . ط المنشاوى ١٩٩١ -١٤١٣هـ .

٤- الاسلام يتحدى وحيد الدين خان ط المختار الاسلامى .

٥- الاسلام ونظرية دارون ١١٧ - ١٦٥ .

٦- حقائق الاسلام واباطيل خصومه العقاد - ص٧١ .

٧- تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم - دار المعارف

٨- راجع الانسان بين العلم والبيئة / د/ محمود الشربينى عالم الفكر - المجلد السابع ص ٩١٣-٩١٥ .

٩- نشأة الانسان وتكوينه فى الميزان الاسلامى والتصور الداروينى د/مصطفى أحمد أبو سمك وهو ٣٩٤ إلى ٣٣٧ بحث فى حوليه كلية اصول الدين بالمنوفية العدد العاشر ١٩٩٠م

١٠-راجع رسالة مخطوطة لأستاذنا الدكتور عبد المعبود سالم وعنوانها نظرية التطور وموقف الإسلام منها أصول الدين القاهرة .

الفصل الثالث

آثار نظرية التطور

• آثار نظرية التطور •

لقد تعلق بهذه النظرية مذاهب فلسفية متعددة وشكلت إطارا هدأما للأخلاق فى كثير من المجتمعات ولئن كانت النظرية لم تسلم من الإنتقادات العديدة إلا أنها لم تعدم من أنصار يؤيدون وجهتها ويباركون رجالها ومن هنا فإن آثارها البالغة الخطورة كامنة فى سلوك من اتبعوها وساروا ورائها وفى هذه السطور سوف نستعرض طرفا من آثارها .

المبحث الاول

اولا :- البرجماتية والتطور [1]

يرى أرباب البرجماتيـــة أن الاخـــلاق يجـــب أن تتطـــور وتتحلـــل ويحـــل محلـــها أخلاق جديدة أكثر صلاحية ومواءمة للعصر الحـــالى - وفـــى هـــذا يقـــول جـــون ديوى

(فى وسع الاخلاق أن تكون علما يتطور وينمـــو إذا قـــدر لـــها أن تكـــون علمـــا على الاطلاق ليس فقط لأن الحقيقة كلها لم تعيـــن وتقـــرر بعـــد علـــى يـــد عقـــل الإنسان ولكن الحيـــاة ســـبيل متحـــرك تبلـــى فيـــه الحقيقـــة الأخلاقيـــة القديمـــة وتتوقف على التطبيـــق

هذا وقد أنكر هؤلاء العنايـــة الإلهيـــة وراوا أن الإنســـان صـــانع لقـــراره ففكـــرة العناية خرافة وقد رفضت الدين . فهو خـــاضع للتجربـــة شـــأن الأخـــلاق كلاهمـــا

[1] البراجماتية مأخوذه من اللفظ اليونانى progma أو العمل فهى الفلسفة العملية وتجعل من العمل مبدأ مطلقا بها ويلحضها جميس ١٨٩٨م أن تصورنا لموضوع ماهو تصورنا لما قد ينتج عنه من نتائج عملية لا أكثر وتدرس تلك الفلسفة الواقع لا المجرد .
راجع المعجم الفلسفى ص ٤٣ .

متطور نشأ وتطور عبر الزمان بواسطة الانسـان لا غـيره فالانسـان لـه مطلـق الحرية فى العبادة أوعدمها وله كذلـك تطوير أخلاقـة لمصلحتـه الخاصـة أرأيتـم سوفسطانية مثل هـذا.؟؟

المبحث الثانى

التطور والعدوان السياسى

تبنى نيتشة ١٨٤٤-١٩٠٠ آراء دارون وزعم أن الانسان قنطرة بين القرد والسوبرمان ولم يكتف بهذا بل ملآ الدنيا عدوانا وخرابا فلا يعلم الا فليسفة القوة التى تقضى ببقاء الأقوى وتنازعه للحياة فقد ذهب إلى القول بأن إرادة القوة هى الاسم الحقيقى لإرادة الحياة وكل إرادة قوة فهى تذهب الى حدها الأقصى لأن الحياة لا تزدهر إلا باخضاع ما حولها [1]. وهكذا فلا مكان للرحمة ولا للشفقة إنه التطور المشؤم وأثر عنه قوله (إملأ حياتك بالخطر ....)

ولو دقق الآمر نيتشة جيدا كما يقول الاستاذ يوسـف كـرم لادرك (جمـال الحلـم والوداعة وانها عبارة عن المضى مع طبيعة الانسـان العاقلـة الـى النهايـة بـل لادرك انها يتطلبان من القوة اكثر مما يبذل فـى الغضـب والقسـوة ....[2]وهكـذا جندت الصهيونية أصابع الملحدين لينشروا الفسـاد والخـراب فـى الأرض .

(٣) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم صـ٤١٠ .

(٣) نفسه صـ٤١٣ .

المبحث الثالث

الصهيونية والتطور .

عملت الصهيونية على انتشار الأفكار التطورية الخاصة بتلك النظرية الهدامة لتعلو سيادتها على العالم وهدم الاخلاق ومحو الأديان والدنو بكرامة الإنسان وجعل المجتمع مجتمعا أشبه بالغابة ينتصر فيه القوى ويخبو فيه الضعيف فلا بقاء فيه للضعفاء وإنما للأصلح وقد كانت أصابع اليهود من وراء ترويج أفكار هذا الرجل وفي هذا نقرا البروتوكول الثاني حيث يقرر مايلي :-

(لاتتصوروا أن تصريحتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح داروز وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي"غير اليهودي" سيكون واضحا لنا على التأكيد) [1]

---

*راجع ايضا راجع العدوان وأثر الإسلام في تهذيبه مبحث ضمن رسالة دكتوراه مخطوطة بكليه أصول الدين بالمنوفية للمؤلف د/ثروت حسين ٢٠٠٠م .

[1] راجع البروتوكول الثاني ص١٦١ وما بعدها .

الإنسان بين المادية والاسلام محمد قطب ص٦٣

ومن هنا الصهيونية تجند أربابها ومن تعاون معهم سواء أكانوا من جنسهم أومن غيرهم وفى هذا يطالعنا قولهم (إن داروين ليس يهوديا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها في تحطيم الدين المسيحي-)[٣]

والمعروف عن هؤلاء أنهم ماديون لا بعد الحدود ونظرية داروين تهتم وتصب فى الجانب الجسدى وتنأى عن الروح فلا مكان لها أمام غرائز الجسد ولذته ومن هذا المنطلق فستعمل النظرية على هدم الاخلاق ومحو الاديان ناهيك عن كون هذه النظرية .قد الغت هيمنة ومسيطرة الإله على الخلق فلا مكان ولاوجود له فى هذا التفسير المحكم تبعا للنشوء وارتقاء الاعضاء وحلول القوى مكان الضمائر فيسها عملية آلية بحتة في نظرهم لاتستدعي وجود الة وفى هذا نطالعنا البروتوكول الرابع (يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحين وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية وانهماك فى التجارة والصناعة) [١]

وجاء أيضا قولهم فى البروتوكول الرابع عشر

(لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ولهذا السبب يجب علينا ان نحطم كل عقائد الإيمان) [٢]

---

(٣) نفسه ص١٦١.

[١] راجع البروتوكول الرابع ،١٧٣.

[٢] رجع البروتوكول الرابع عشر ٢٢٣،٢٢٤.

فهم يريدون القضاء على الأديان بشتى السبل والحيل لتبقى لهم الرياسة والامر والنهى ويحققوا حلمهم المزعوم فى اقامة دولتهم من النيل الى الفرات

المبحث الرابع

الداروينية والماركسية

تبنت المذاهب المادية الجدلية نظرية التطور وقد كانت الماركسية (الشيوعية) سلاحامن أسلحة الصهيونية فقد ذكر ستالين قول أنجلز (ينبغى أن نذكر بالدرجة الأولى داروين الذى وجه ضربة قاسية للفهم الميتافيزيقى للطبيعة بإثباته أن العالم بأسره ليس كما هو موجود اليوم) [١] وعن العلاقة بين الشيوعية والصهيونية يحدثنا البروتوكول الثالث عند اليهود (نحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونختصها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدا الأخوة والمصلحة العامة الإنسانية وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية) ترى الفلسفة الجدلية الانحلال الدائم والتطور والمستمر فلا شئ يثبت على حالة فهناك صراع بين الأضداد لبقاء الأصلح وفى هذا يقول أنجلز - (

---

[١] النظرية العامة للحزب الماركسى اللينينى وتسمى بالمادية لأن تصورها وتعليلها لحوادث الطبيعة والمجتمع وهو ما يسمى بفلسفتها ماديان وتوصف بالجدلية لأن أسلوبها فى النظر الى الأحداث أو ما يسمى منهجها فى البحث والمعرفة جدلى.

(١)راجع شبهات وردود - عبدالله ناصح علوان ص٩٩.

(٢) البروتوكول الثالث ص١٦٨.

لايوجد بالنسبة للفلسفة الديالكتية شىء قائم إلى الأبد فعلى كل شئ وفى كل شىء ترى الفلسفة طابع الانحلال ولا يمكن بالنسبة لها بقاء شىء أو استقراره سوى عملية الظهور والزوال الدائمة والصعود الذى لانهاية له من الأسفل الى الأعلى .

وإذا كانت انجدنية ترفض وجود الله (الاله) فهو عين ما دعت اليه نظرية التطورمن حيث إن الأشياء فى تناقص ذاتى وعلو مستمر من الأدنى الى الأعلى [١] حركة آلية بحتة فكل ما فى الكون خاضع لقانون المادية الجدلية والتى تكشف القوانين العامة كما يرى ستالين (يتطور تبعا لقوانين حركة المادة وهو ليس بحاجة لأى عقل كلى) [٣] وترتب على القول بنظرية التطور فى الفكر الماركسى . إنقساما حادا بين أفراده فهناك فئات متطورة صلح لها البقاء وهى طبقة العمال (البروليتاريا) وهناك طبقة منحلة . رجعية لامكان لها فى عالم الأقوياء المتطور . وليس هناك أصل إلا بالخلاص من هؤلاء العالة على المجتمع القوى المتطور، فيجب التخلص منهم لبقاء الأصلح ومن هنا فالحروب هى خير سبيل للقضاء عليهم وهنا يتضح الأثر الداروينيى ويؤكد مكانته لدى الماركسيين . فالمجتمعات بدأت شيوعية ثم تطورت.

فصارت إقطاعية ومنها تطور المجتمع فصار رأسماليا.ثم وقع التطور مرة أخرى فكانت البروليتاريا ...) [١]

---

[٣] الخطر الشيوعى د/ محمد شامه ص ٣٨ ط مكتبه وهبه الاولى ١٩٧٩ .

(٤) الماركسية والاسلام د/ مصطفى محمود ص٣٦ ط دار المعارف .

[١] راجع بيان الحزب الشيوعى ماركس انجلز ص ٥٩ . ٦٠ ط دار التقدم موسكو ١٩٦٨م

ومن هنا فلا مكان للسلام والأمان أو العواطف.. ألخ إنعدام تام للأخلاق ولامكان إلا للقوى ولاريب أن نظام الطبقات نظام غير متكامل اكد سقوطة عبر العصور المختلفة . وهكذا نرى الحسد والحقد يغلى بة قلوب الماركسين تجاه غيرهم من الشعوب التي يرونها دنيئة لاتصل إلى رتبتهم . ومن هذا الإطار فالحياة فى التطور فلا قيم ولا مرجعية أخلاقية تنهى أربابها عن الفحشاء أو تأمرهم بالمعروف لأنة لا إله لديهم فكل شئ آلى تحكمه المادة الطبيعية ومن هنا فالحزب الشيوعى هو الذى يحدد الأخلاق للمجتمع وليس هناك قيم أخلاقية يرجع إليها الجميع ومن هنا فإن أهواء رجال الحزب متغيرة ومتطورة حسب أمزجتهم وطبقا لمبدأ التطور الداروينى . فهم يرون إن الدين مخدر للشعوب والأخلاق عائقة عن التقدم فلا بد من إزاحتها . وإبعادها عن ميدان المادة المتطورة ويرى لينين أن الأخلاق لاتقوم إلا إذا كانت منسجمة مع الحرب التى تنشئها . إن الأخلاق الشيوعية صورة طبق الأصل من الصراع لتقوية ديكتاتورية العمال .[1]

أرأيتم سفسطة ومغالطة كهذه استعمال الأخلاق فى الحرب والدمار ولقضاء المصالح دون أن يكون لها أى معيار ثابت يرجع إليه إنه حكم الهوى الاعمى . والتعصب البغيض . والتبعية المميتة للصهيونية العالمية .

ولنستمع إلى قول آخر استالين يقول (إننا ننكر بكل شدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان .... ونؤكد ان

---

[1] راجع الاسلام والشيوعية ص ١٣٩ .

كل هذا مكر وخـــداع وهــو ســتار علـــى عقـــول الفلاحيـــن والعمـــال لمصـــالح الاستعمار والإقطـــاع .[٢].

وقد مضى بنا الكلام على الإباحية وصورا منـــها لـــدى هـــؤلاء الشـــيوعيين .مـــن نحو الزواج الجماعى والإباحيـــة المطلقـــة ؛ فليـــس هنـــاك ملكيـــة خاصـــة فكـــل شيء على المشاع وقطعت الشـــيوعية كيـــان الأســـرة الكاملـــة وجعلتـــها إباحيـــة مطلقـــة .[٣]

---

(٢) راجع الاسلام يتحدى ص ٣٠ .

(٣) راجع ما سبق بيانه حول هذا الموضوع .

الفصل الرابع

الإسلام والتطور

المبحث الاول

نشأة الإنسان فى ميزان الإسلام

قررت النصوص القرآنية المتعلقة بخلق الإنسان حقائق عديدة منها : -

أولاً :- إنه كائن مساوٍ لغيره من الكائنات فى الخلق وإن علا عليهم فهو علو كرامة وتشريف.. فقال الله تعالى :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر....)

وقال (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم)

وقال (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى)

ثانيا :- إنه مستقل فى نشأته بشأن الكائنات الأخرى قال تعالى (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين)

فلم يتطور عن شىء آخر كما أنه خلق فى أعلى مراحل النضج البشرى كما أشارت سورة التين..

قال تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون.) [1]

---

[1] الاسلام والاتجاهات العلمية الحديثة د/ يحى هاشم فرغل ص٦٣ وما بعدها .

ثالثا :- إنه مختص باستقلالية وله منهجه الخاص بـه وكل ميسر لما خلق له . فقد سخر الله له النبات والجماد والأنعام وكل ما فى السماوات وما فى الأرض مسخر للانسان .

رابعا :- أشارت الآيات الخاصة بخلق آدم عليه السلام إلى خلقه من طين ، كما جاء فى قوله تعالى (إنى خالق بشرا من طين) وقد أشارت الآيات الاخرى إلى مراحل تكوين الطين فهى أمور مندرجة فى جنس الطين وعقد هذا الأمر قولة عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى رواه الترمذى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الأحمر والأبيض والأسود بين ذلك السهل والحزن والطيب والخبيث .

خامسا:- إن خلق آدم عليه السلام تم بمعجزة خارقة للعادة بالأمر التكوينى وهذا الأمر لايتصوره الماديون فضلا عن إيمانهم به وقس على ذلك خلق عيسى عليه الصلاة والسلام والذى يقول الله فيه (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

وقد ثبت فى الصحيح إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم ولا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى) فماذا يقول هؤلاء عن خلق آدم وعيسى عليهما السلام .

سادسا :- فيما يتعلق بأطوار الانسان وانتقاله من النطفة إلى العلقة الى المضغة .... ألخ هذه هى مراحل الخلق ولا علاقة لها بالتطور الداروينى أو على حد تفسير المفسرين لها - أطوارا - صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا - وضعفاء ثم أقوياء وقيل أطوار - أنواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل إن أطوارا اختلافهم فى الأخلاق والأفعال.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المراحل الفرعية بقوله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) - يقول موريس بوكاى (إن مقولات القرآن عن التناسل البشرى تعبر فى ألفاظ بسيطة عن حقائق أولية أكتشفت البشرية مئات السنين لمعرفتها)

-حاولت النظرية الداروينية فما زعمته بنظريتها التقليل من شأن الإنسان والحط من درجته وإسناد الأهمية الكبرى للمادة المصغرة لبعض قبل الله الذى لايؤمنون بوجوده .

-فهم يرون أن الحياة مادة وأن الوعى إنعكاس للموجود)

-كشفت الأيات القرآنية المتحدثة عن الدواب والأنعام ... ألخ عن استقلاليتها الخلقية فمن ذلك قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنة ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير) .فهناك الزواحف والطيور الجارحة وهناك أيضا الإنسان وكل شىء يدب فهو من ماء التناسل

أيما كانت شكله وخصائصه وهذا اعجاز مما بعده إعجاز (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون .)

-أعطت الازدواجية الآدمية شكلاً جديدا للإنسان فهو مكون من روح وجسد يسعى بهما لإكمال شخصيته . وهو لايعترف بالروح فقصر الأمر على الجسد فلا مكان للعواطف والأحاسيس والمشاعر ... الخ . فداروين لم تقف مشكلة النفس فى مذهبه حجر عثرة .) وذلك كله عائد لدعوته إلى المادية المتطرفة والبيئة المسرفة .)

- إن قيام نظرية التطور على قوانين حتمية لايعنى إلغاء الإرادة الالهية كما يزعم أرباب التطور فالخطأ الذى وقع فيه هؤلاء أنهم تجاهلوا وجود خالق مبدع جبار هو الذى خلق هذا الكون وأبدعه ....)

بسم الله الرحمن الرحيم

٤١

الفصل الثاني

الوجودية

الوجودية: نشأتها وتطورها

تعريف الوجودية:

أولاً: المفهوم اللغوي:

الوجودية كلمة منسوبة إلي الوجود (١)

ولكن لا يفهم منها بالبداهة أن المراد بها هو مطلق الوجود ، لأن الحجر موجود والشجرة موجودة والحيوان موجود ، وقد تكون كلها موجودة بالنسبة إلي غيرها ، لأن غيرها هو الذي يحس وجودها ويعرف لها صفة الموجودات.

والإنسان علي كونه مخلوقاً عاقلاً قد يكون موجوداً أيضاً بالنسبة إلي غيره لا بالنسبة إلي نفسه ، ويكون حكمه في وجوده كحكم الحجر والشجرة والحيوان أو قريباً منها في مجمل التقدير. (٢)

والوجود هو الكينونة ، والتحقق والثبوت تقول فلان موجود بمعني أنه متحقق وكائن وثابت.

إلا أن دعاة الفلسفة الوجودية يفرقون بين الكينونة والتحقق وبين الوجود ويقولون إن الوجود ليس حالة فعل أو تحقق فقط ، وإنما هو الصيرورة من الإمكان إلي الواقع، والجمادات والحيوانات كائنة ولكنها ليست موجودة ، إذ الوجود هو امتياز الإنسان ، فهو الذي يصنع نفسه بنفسه ، ومن هنا يفرقون بين كلمة " عاش " وكلمة " وجد " (٣)

فالعائش هو الذي لا موقف له وإنما يترك مصيره للآخرين ويسلس قياده لهم ، وإنما الموجود هو الذي يقرر مصيره بنفسه في حركة ديناميكية دائمة تجعله يتجاوز وصفه الراهن إلي أوضاع أخرى – بحيث لا يتجمد ولا يصير مجرد كائن أو عائش فقط وإنما موجود.

وكلمة وجودية تعني باللغة اللاتينية يبرز أو ينبثق ومن المرجع إذن أن هذا الفعل كان يعطي إيحاء إيجابية مما هو عليه الآن ، فمعني أن يوجد الشيء هو أن يبرز أو ينبثق من خلفية معينة بوصفه شيئاً موجوداً هناك وجوداً حقيقياً.

---

(١) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ج٢ ص١٠١٣ (٢) عباس محمود العقاد أفيون الشعوب المذاهب الهدامة البراقة ص٩٥ مكتبة الأنجلو المصرية.

(٣) ومحمد غلاب الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة ص١٧

والواقع أن أكثر معاني كلمة الوجود شيوعاً لا يبعد كثيراً عن قولنا " ملقي به حولنا " فالقول بأن شيئاً ما موجود يعني أننا سوف نلتقي به مصادفة في مكان ما من العالم. (١)

وهكذا أخذ الوجوديون من لفظ الفعل " وجد " المعني الذي يخدم مذهبهم الوجودي ، فادعوا أن " وجد معناه أنشأ نفسه بحرية أو حقق نفسه بنفسه أو علي الأقل كان لديه إمكان تحقيق نفسه" (٢)

وكذلك يذهب " سارتر " إلي أن الوجودية تقوم علي الحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يصنع نفسه ويتخذ موقفه كما يبدو له تحقيقاً لوجوده الكامل. (٣)

ثانياً:- المفهوم الاصطلاحي:

الوجودية بالمعني الاصطلاحي تيار فلسفي يزعم أنه يعلي من قيمة الإنسان ويؤكد علي تفوده ، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة ، ولا يحتاج إلي موجه ، وهو جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة ، وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم ، ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلي الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار (٤)

ويقول الدكتور مصطفي غلوش " ونحن نسحبة تياراً لأنه لم ينجح أن يكون فلسفة. أو مذهباً وإنما هو اتجاه يعبر عن وجهة نظر أصحابه حيث اتخذوا من فكرة الوجود منطلقاً لتأصيل وجوده. (٥)

ويقول مؤلفو المعجم الفلسفي " الوجودية مذهب يقوم علي إبراز الوجود وخصائصه وجعله سابقاً علي الماهية ، فهو ينظر إلي الإنسان علي أنه وجود لا ماهية ، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمنع نفسه بنفسه ويملأ وجوده علي النحو الذي يلائمه ". (٦)

---

(١)الوجودية تأليف جون ماركي ص٨٥ -٨٦ ترجمة إمام عبد الفتاح غمام دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٦م (٢) الوجودية للدكتور محمد غلاب ص٣٩ (٣) المعجم الوسيط ج٢ ص١٠١٤ (٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٥٤٣ ، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الطبعة الثانية طبعة الرياض.

(٥)الوجودية في الميزان ص١٥ (٦) المعجم الفلسفي ص٢١١ طبعة بيروت - عالم الكتب - مجمع اللغة العربية

ويبين الدكتور عبد الرحمن عميرة حقيقة الوجودية بقوله : " الوجودية بالمعني العام إبراز قيمة الوجود الفردي ونعني بهذا أن يهتدي الإنسان إلي وجوده بنفسه وأن يكون مستقلاً بنفسه عن الآخرين وأن يسير غور وجوده. " (١)

والوجودية عن سارتر " هي طاعة النفس ، والوجود في مذهبه هو الذي لا يقبل توجيهاً يأتي إليه من الخارج ويشير إلي ذلك في خاتمة نشيده بقوله " إن من لا يستمع إلينا ولا يقبل حرية إطلاق النفس من قيودها إنما هو جبان " (٢)

والوجودية عند " جبريل ما رسل " تدور حول الجسد ، فالجسد الإنساني في نظره – هو الأصل الذي وجدت الذات نفسها ومن هذا الجسد يبدأ بعد ذلك الانبعاث الخارجي لتحقيق الاتجاهات الوجودية ، فأنا لا أدرك نفس كما يظن باعتباري " فكراً محضاً " بل باعتباري " متجسداً في بدن هو نواة كل موقف الوجودي ، ومعني هذا أنني لا أملك أن أفصل شعوري بذاتي عن إحساس بجسمي وإدراكي للعالم الخارجي ، وحينما أقول عن شئ ما إنه موجود فإنني أعني بذلك أن هذا الشيء قابل للاتصال بجسمي والتأثير عليه سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة." (٣)

فالجسد عند " مار سل " غير مرتبط بصورة سابقة لوجوده.

والوجودية عند " كاموس " هي وجودية الاطمئنان إلي عبث الحياة وعنده أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا شبيه ببطل الأسطورة الإغريقية " سيسفوس " وهو رجل عصي مشيئة الأرباب والتمس منهم بعد الموت أن يعود إلي الدنيا ليؤدب زوجته علي خيانتها فسمحوا له بالعودة إلي أجل محدود وجاوز الأجل المحدود غير مكترث بنذير القضاء فحكموا عليه بأن يتردي إلي الجحيم فسحروا في عمل لا طائل تحته وليس له انتهاء ، وذلك أن يستجمع جهده ليرفع صخرة عظيمة من أسفل الجبل غلي قمته ثم تنحدر الصخرة فيعود إلي رفعها مرة بعد مرة إلي غير نهاية معلومة ولغير قصد معروف ٠٠ وكل إنسان في رأي " كاموس " هو " سيسفوس " فسخر في مثل هذا الجهد الضائع والعبث المقيم " (٤)

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢١٥ د/ عبد الرحمن عميرة – دار الجيل – بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. (٢) المصدر نفسه ٢١٧

(٣)دراسات في الفلسفة المعاصرة جـ١ ص٤٦٤ د/ ذكريا إبراهيم مكتبة مصر دار مصر للطباعة.

(٤)أفيون الشعوب: المذاهب الهدامة ص١٠٢ للعقاد الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.

ثالثاً:- الجذور التاريخية للوجودية:-

قضية الوجود كفكرة فلسفية قديمة نوقشت مع البوادر الأولى للفكر الإنساني منذ أن بدأ يعـــرف الفلسفة حتى أصبحت مشكلة الوجود أو تحليل الوجود هي البداية لكل انطلاق فلسفي في فكـــر كل فيلسوف فما من مفكر يردي أن يدلي بمذهب في الفلسفة إلا وقد اتخذ من الوجـــود منطلقـاً لتأصيل وتأسيس مذهبه وقد انحصرت جميع الفلسفات التي تتعرض إلي الوجود في الاتجاهـات الثلاثة الآتية:-

أولاً: الاتجاه الثنائي:

ويري أن الوجود من طرفين

١- وجود رفيع : هو الله تعالى وله صفات الكمال وهو الذي خلق الوجود.

٢- وجود أقل وهو العالم المادي المحسوس الذي أوجده الوجود الرفيع.

ثانياً:- الاتجاه الروحي:

وهذا الاتجاه لا يري أثنينية الوجود ، وإنما الوجود في نظره وجود واحد فقط وما عدا ذلـك لا وجود له.

فالوجود عند هذا الاتجاه وجود رفيع فقط وقد عبر عن هذا المذهب البرهمي فقال بوحدة الوجود وهو مذهب غير مقبول في نظر الإسلام.

ثالثاً:- الاتجاه المادي:

ويحصر الوجود في الوجود المادي المحسوس المطلق فقط

فالاتجاه الأول يقر بالوجود الإلهي والوجود المادي ويري إمكان الجمع بين نوعين متنـاقضين من الوجود.

والاتجاه الثاني نفي الوجود المادي فهو يميل إلي القول بوحدة الوجود والاتحاد والحلول.

والاتجاه الثالث: أنكر مجود كل شئ عدا ما يحسه بحواسه ويراه ويبصره لذا أنكـر مـا وراء الطبيعة من الإيمان بالخالق وكل القضايا المتعلقة بالألوهية والغيبيات. (١)

من هذا نعلم أن فكرة الوجود قديمة قدم الفكر الإنساني ، ورغم ذلك لم يصف أحد النقاد أحـداً من هؤلاء الفلاسفة بأنهم وجوديون ، رغم أنهم خاضوا في مفهوم الوجـود - بينمـا وصـف أصحاب التيار الوجودي المعاصر بأنهم وجوديون فما هو علة ذلك؟

---

(١) الوجودية في الميزان للدكتور مصطفي غلوش ص١٤

لأن البحث في الوجود عند الفلاسفة الأقدمية كان منطلق تأصيل مذهب أو فلسفة أو فكرة ، فهو بمثابة أرض ثبات لبناء صرح فلسفة مراده ومقصودة فاصلة فالبحث في الوجود عند هؤلاء وسيلة وليس غاية في حد ذاته وإنما كان لغرض الاستعانة به علي الوصول إلي نظرية أو قوام فلسفة أما البحث المعاصر في الوجود فهو غاية في حد ذاته . فالوجود وسيلته وغايته فنسب إلي غايته التي لا شئ بعدها ينسب إليها (١)

عوامل انتشارها :

لقد كان المرعي الخصيب للدعوة الوجودية هو أوساط الشباب حيث كل جديد يبدو براقاً ، وحيث لا توجد عند هؤلاء الشباب حصانة أو خبرة وتجربة تقف أمام هذه الدعوة الجديدة بكل زخارفها وألوانها وساعد علي هذا رجال الدين في كثير من البلاد التي أصابتها ويلات الحرب ، لم ينهضوا ليقدموا للنسا العزاء بصورة تقبلها عقولهم أو تقديم الدين ومبادئه كعلاج لما هم فيه قبل أن يخطف أبصارهم بريق الوجودية.

ونعتقد أن مرد ارتماء الشباب في أحضان الوجودية يرجع إلي عدة عوامل أهمها:

١- **الكنيسة** : أننا لو استعرضنا حياة بعض رجال الوجوديين لوجدنا أن العامل الأساسي لاندفاعهم في هذا الطريق تحكم رجال الكنيسة وفرض آراء بشرية علي أسا أنها أوامر إلهية ، فقد تحكم البابوات في شئون الناس ، وفرضوا آراء لا تتفق مع العقل ، وادعوا أن هذه الآراء هي ما يدعو غليه الدين وتبشر به السماء.

ولقد هاجم كير كجارد رجال الكنيسة ، وتحكمهم (فهو يري أن العدالة الإلهية لا تقتضي أن يضع الله أناساً في مركز خاص مرموق ، كأن يكونوا معاصرين للمسيح أو مولودين في الكنيسة أو مختلفين لمراكز فيها ، فالإيمان تتساوى صعوبته مع سهولته بالنسبة لجميع الناس ولا يمكن الإنسان أن يمد غيره بالإيمان أو يأخذه من غيره) (٢)

وهاجم الكنيسة تلك المؤسسة التي يعتبرها سائرة في الضلال غارقة في الزيف ، زاخرة بالفساد والانحلال ، وذلك لأن كير كجارد كان مسيحياً شديد الإخلاص ، ولكنه كان ثائراً في الوقت نفسه ثورة روحية عارمة تأبي علي الجمود ، وتتمرد علي التقاليد ، فكان من الطبيعي أن تؤدي به آراؤه إلي التصادم مع الكنيسة الرسمية بوصفها مؤسسة جامدة.(٣)

(١) المصدر نفسه ص١٦

(٢) سورين كير كجارد : د/ علي محمد ص٤٦

(٣) نصوص مختارة من التراث الوجودي ص٢٧ فؤاد كامل

ويرد كثير من الباحثين تمرد سارتر إلي مفاهيم المسيحية الغربية التي لم تستطع ان تسعد نفسه أو تعطيه الإحساس العميق بذاته ، ومن الجوانب التي كانت مصدر ثورته وتحدياته أن الحياة لم تكن بذات قيمة في نظر أهل مجتمعه ، وكانت هناك فكرة الخطيئة ، وكانت هناك محاولة تحرير الجسم الإنساني من كل رغبة وشهوة وأن ذلك كله قد دفع الناس إلي انتظار مملكة في غير هذا العالم وعزلة ورهبانية بعيدة عن المجتمع في قلب الصحراء هذا هو التحدي الخطير الذي واجهه سارتر في حياته فكانت من ثم فلسفته متأثرة بكل هذه العوامل.

وقد صورت " سيمون دي بوفوار " سلوك سارتر في الحياة فقالت : " كان يكره الحقوق والواجبات وكل شئ رهين في الحياة ، وهو لا يكاد يفهم أن له مهنة وزملاء ورؤساء وقواعد تراعي وتفوض ، ولن يكون أبدا رب أسرة حتى ولا رجلا متزوجا ، ولم يكن سارتر يري في الزواج شيئا عظيما كان فوضويا أكثر منه ثوريا ، كان يجد المجتمع علي ما كان عليه شيئا محتقرا "

وهكذا نجد سارتر خصما للدين علي النحو الذي عاشته أوربا ، ومنه امتدت خصومته إلي كل قيم العقائد والأخلاق ، وهو في هذا شبيه بفرويد وماركس ، في دعوتهم الصارخة إلي هدم مقررات الدين والحقد الدفين علي الكنيسة. (١)

٢-**الحروب** : ومن العوامل في انتشار الوجودية الحروب المدمرة وما حصدت الحرب العالمية الأخيرة من أرواح وما يزال يتهدد العالم من أخطار الصواريخ والقنابل الذرية ، كل هذه الأخطار حين تواجه النفس الإنسانية التي تجردت عن الإيمان بالله لا تجد طريقا لها إلا الاتجاه في طريق الانحلال حيث يتصور أن الحياة هي الغاية الوحيدة وهي في نفس الوقت غاية مهددة بالزوال في أي لحظة. (٢)

وقد تسربت فكرة الوجودية إلي كثير من النفوس التي عانت بعد الحرب فزاعا روحيا هائلا ونهض الذين قضي عليهم أن يستأنفوا الحياة من تحت أنقاض عالمهم ، وهم يمسحون عن وجوههم غبار الانهيار الذي انهارت معه أعصابهم ليروا كل شئ قد ذهب ، المال ، والجاه والزوجات والأولاد فأصيبت القيم المعنوية التي عجزت عن أن تدخل العزاء إلي النفوس بتصدع كبير وكان لابد لكثير من الناس أن يجد له راحة يضعها بنقسه يستخدمها فلسفته الجديدة ، يستطيب معها احتمال آلامه ، فبرزت الوجودية من مخبئها القديم وراحت تنشر أفكارها في الظرف المناسب. (٣)

---

(١)التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ص٤٥٧ – ٤٥٨ ، بقلم أنور الجندي دار الأنصار بالقاهرة المجلد الخامس.

(٢) المصدر السابق ص٤٥٥ (٣) الوجودية والإسلام ص٦٨ – ٦٩ ، محمد البوهي.

٣-شذوذ رجال المذهب : ومن عوامل انتشار الوجودية أيضاً شذوذ رجال المذهب الوجودي.
يقول الأستاذ / أنور الجندي (ولا ريب أن قادة الدعوى الوجودية كانوا جميعاً من الشواذ وكانت حياتهم الخاصة مليئة بالاضطرابات أما كير كجرد فقد كانت أمة خادمة عاشرها أبوه سراً وكان هو أحدب مما ضاعف علته النفسية وكان ذلك يزيد شعوره بالنقص فاعتزل المجتمع وعاداه وكانت مؤلفاته العشرون هجوماً عنيفاً علي معتقدات مجتمعه الدينية وهدماً للكنيسة وتدميراً للفكرة المسيحية ودعوة إلي الناس بعدم الإيمان إلا بأنفسهم ، ومن هنا أصبحت الوجودية حرباً سافرة علي الأديان كلها." (١)

وكان أبوه شخصاً غريب الأطوار ، عارم الشهوة ، متأجج العاطفة ولكنه في الوقت نفسه مشبوب الشعور الديني مرهف الإحساس بالذنب ، وتركت هذه الشخصية المنطوية علي كثير من الأسرار انطباعاً قوياً علي كير كجرد لم يتخلص منه طيلة حياته فنشأ نشأة حمقاء كما كان يسميها وتخطي مرحلة الطفولة والصبا دون أن يحياها.

وكان أبوه مأساته الأولى لا يعامله بوصفه طفلاً ، وإنما بوصفه شيخاً عجوزاً ، وأدهي من هذا كله أن الأب اعترف له فيما بعد بأنه وقف ذات يوم فوق إحدى روابي جوتلند الغربية وكان حينذاك راعياً للغنم صبياً لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره فقيراً معدماً فلم يقل كما قال موسى عليه السلام في أدب واستيحاء (ربي إني لما أنزلت إلي من خير فقير) (٢)

بل صب لعناته علي الرب ، بوصفه مسئولاً عن تعاسته وبؤسه بيد أن الله استجاب له استجابة لم تكن متوقعة ، فلم يلبث أن أتاه المال والبنون زينة وفتنة وأدرك الرجل ولا ريب كلما أقبلت عليه الدنيا وزاده الله بسطة في الجاه والأولاد أن هذا كله بلاء وأن الله سيأخذه فيما بعد بذنوبه أخذ عزيز مقتدر فكان يترقب العقاب بين لحظة وأخرى.

ونقل إلي الطفل البريء هذه المشاعر كلها الزاخرة بالإثم والخطيئة وانتظار العقاب ، فتربي الطفل تربية دينية صارمة وألهب الأب خيال الطفل الموهوب بما كان يقوم به من نزهات خيالية بين جدران حجرته الصغيرة وظل كير كجرد علي اعتقاد لازمه طيلة حياته بأن ثمة لعنة إلهية مسلطة علي أسرته ، وأن هذه اللعنة ستحيق بها علي نحو أو آخر ، وفعلاً جاءت اللعنة إذ شرع ملك الموت يخترم أخوته وأخواته الواحدة اثر الأخرى ، والواحد تلو الآخر وفي سنوات قلائل كان قد أطاح بالأسرة كلها

---

(١) الحرب: خروج الظهر ودخول الصدر والبطن.

(٢) الإسلام والمذاهب الهدامة ص٤٥٨ للأستاذ / أنور الجندي

فيما عدا أباه طبعاً لكي يشهد جزاء خطيئته وأخاه الأكبر وهو ، ولم يلبث الأب أن لحق بأبنائه الراحلين بعد أن طعن في السن حتى بلغ الثانية والثمانين.

أما الأخ الأكبر فقد طعن في السن هو الآخر وأن مسه طائف من الجنون في أخريات حياته. (١)

ويقول الأستاذ / أنور الجندي (إن دراسة يسيرة لحياة سارتر تكشف عن الحقيقة التي تقف وراء هذه المفاهيم ، ذلك أن مفاهيم سارتر التي أطلق عليها اسم الوجودية لم تكن إلا صدى مشاعر نفسية يقول سارتر : في كتابه " الكلمات " لقد صنعت ذاتي لأني لم أكن ابناً لأحد.

وسارتر يعرف بأنه حين وعي نفسه لم يكن له أب ولا أم ولا أسرة فقد مات أبوه وهو في شهره الثالث ، أما أمه فكانت ممسوخة الشخصية ولم تشعره أبداً بحنان أمومتها ولم تكن الأسرة تتعدى جدين عجوزين يؤذيانه هو وأمه ويشعرانهما بالمهانة.

وكانت نظرة سارتر غلي البشرية نظرة مليئة بعطف مشوه أساسه الاحتقار ، وأراد أن يؤكد ذاته فأنكر الكنيسة وحاول أن يكون له رسالة وهو الطفل المنبوذ في مجتمع الأطفال العاديين فأنشأ الوجودية. (٢)

٣- الفلسفات المادية:

ومن عوامل انتشار الوجودية أيضاً أنها جاءت بعد أن أفسحت لها الطريق مذاهب وأفكار من المادية ، وأفكار الله وأفكار البعث وما حملته الرياح من أفكار تقول بـإعلاء الجنس وإباحة الرغائب وتصل غلي القول بأن الإنسان خاضع لما يقرره العلم بالنسبة للحيوانات والمادة وقد سادت في السنوات الخمسين الأخيرة موجة من التنكر للأديان والأخلاق في العالم كله ووجدت فيها مثل هذه الدعوات مجالاً خصباً للازدهار والانتشار.

وقد كانت الوجودية رد فع لأشياء كثيرة منها الدعوات التي تري أن الإنسان ليس إلا ترساً في آلة كبيرة ليس له وجود أو كيان منفصل.(٣)

ويقول الدكتور سعد الدين صالح وفي ظروف سارتر الملحدة قد خرجت من منابع ثلاثة:

المنبع الأول: مادية ماركس التي فسرت كل شئ في هذا الوجود تفسيراً مادياً بحتاً ، وأنكرت كل ما ليس بمحسوس ولم تضع اعتباراً للأخلاق أو الدين.

---

(١) نصوص مختارة من التراث الوجودي ترجمة فؤاد كامل ص٢٥

(٢)الإسلام والدعوات الهدامة ص٤٥٧ (٣) نفسه ص٤٥٥

(٣) المصدر نفسه ص٤٥٥

المنبع الثاني: نظرية داروين الحيوانية التي تدعي أن الإنسان في حقيقته ليس أكثر من حيوان خضع لسلسلة من التطور وكأنه يريد أن يرتد.

بأخلاق الإنسان إلي صفات الحيوان الذي لا هم له إلا مأكله مشربه ويعيش لحظته غير عابئ بشيء.

المنبع الثالث: نظرية فرويد الجنسية التي فسرت سلوك الإنسان تفسيراً حيوانياً ينبع من إشباعه شهوة الجنس فقط ، في محاولة لنشر الانحلال. (١)

(٥) دور اليهود : ومن عوامل انتشارها أيضاً تلك المخططات التلمدية الممثلة في الصهيونية العالمية ، فهي التي صنعت كل ذلك وهي مسعرة الحرب وفي نفس الوقت صانعة الدعوات والمذاهب ، فلا ريب أن صحة الوجودية كان يمكن أن تمضي ولا تترك هذه الآثار البعيدة في العالم كله لولا وجود قوي خفية تحيطها ، وتدفعها إلي الأمام حتى إن كتاباً يصدر في باريس بالفرنسية تصدر طبعته في نفس الوقت في بيروت.

ولقد ظلت الصفحات التي كتبها كير كجرد نحو مائة سنة مغمورة حتى أخرجتها اليهودية التلمودية في أوائل هذا القرن وإذاعتها وترجمتها. (٢)

ولقد كان سارتر يهودياً فرنسياً وكانت القضايا الرئيسية في الوجودية قد عولجت قبله ، ولم يصنع شيئاً أكثر من عرض هذه المعالجات بأسلوب شعبي من خلال مسرحياته وقصصه الأدبية وللأسف الشديد أن سارتر أخذ شهرة كبيرة ، حيث بسببت الوجودية إليه وخصوصاً الجناح الملحد منها إلا أنه في الواقع لا يستحق هذه الشهرة لأنه لم يضف جديداً إلي ما كتبه " هيدجر " وغيره ولا شك أن الدعاية الصهيونية كان لها أكبر الأثر في إعلاء شأن سارتر وفي ترويج أفكاره الخبيثة وذلك في محاولة تقويض الإيمان في نفوس الناس. (٣)

ويضاف إلي ذلك أن الذين آمنوا بها ، سذجاً غير مسلمين بقصيدة دينية تحميهم من عواصف هذه الفتنة العمياء ، التي تبيح لهم الشهوات وتخلع عليها.

---

(١) الوجودية في ميزان الإسلام ص١٨ (٢) الإسلام والدعوات الهدامة ص٤٥٦ ، ص٤٥٧

(٣) الوجودية في ميزان الإسلام ص١٥ أسماء رنانة ، بل وترفع من قدرهم حين توهم هؤلاء المخدوعين أنهم أصحاب دعوة فكرية وفلسفة جديدة ، وهي في الواقع لا شئ.

ولقد وصف الوجودية الفيلسوف " جان كانابا " في كتابه المعروف " الوجودية ليست فلسفة إنسانية " قائلاً: " إن الوجودية رائعة إذا شوهدت عن بعد ، غير أنها تبدو علي حقيقتها حين نقترب منها فنكتشف أنها ليست إلا بناء من ورق. " (١)

ومن هنا يتبين أن الدعوة الوجودية غريبة عنا نحن المسلمين وعن مجتمعنا وعن قيمنا كل الغرابة ، وذلك لأنها نتاج تحديات وظروف ومواقف مختلفة تماماً وهي في مجموعها لا تمت إلي مفاهيمنا بصلة وهي ثمرة مجتمعات معينة في ظروف معينة ونحن نعرف أن الفكر الغربي كله يمر في هذه السنوات بأزمة عاصفة ، ويواجه تحديات خطيرة ، وأن الصهيونية من خلال أيدلوجيتها التلمودية قد احتوته تماماً ، وصرعت فيه كل قوة وكل خير ، وهدمت دعائمه الأخلاقية وعزلته عن مفهوم الدين الحق عزلاً تاماً ومن عجب أن الكثير في بلادنا يفهمون هذه الحقيقة ولكنهم ينظرون إلي هذه الدعوات من خلال مظاهرها البراقة الخادعة ، بينما تجاوزتها مجتمعاتها لفسادها. (٢)

فالوجودية بعد وفاة سارتر لم يبق من الدعاة إليها إلا عشيقته " سيمون دي بفوار " وعدد قليل من أنصاف المثقفين والمتحللين وقد أعلن الأستاذ " جايتان بيكون " مدير الثقافة الفرنسية أن الوجودية قد ماتت في فرنسا منذ عدة أعوام ، بل أن سارتر نفسه قد اعترف بفساد فلسفته وهزيمتها حين سألوه وهو يحتضر إلي أين قادتك فلسفتك ؟ فقال : فلسفتي قادتني في النهاية إلي هزيمة نكراء ، بل خرج علي مبادئه الإلحادية وطلب أن يؤدي له بقسيس يحضر خروج روحه ويعطيه الغفران كما يعتقد النصارى.

الوجود والماهية : أيهما أسبق ؟

قضية علاقة الوجود بالماهية وأيهما أسبق اشتد الخلاف فيها بين الفلاسفة منذ العصور القديمة.

فهل الماهية أسبق من الوجود الواقعي أم أن الوجود الواقعي أسبق من الماهية ؟

قال أفلاطون : إن الماهية تسبق الوجود ، ومن هنا قال بالمثل التي تعبر عن عالم في العقل أسبق في وجوده علي كل عالم مادي.

وجاء بعده أرسطو ، فأنكر وجود عالم المثل ونقد فكرة أفلاطون فلقب بصاحب الفلسفة الواقعية.

---

(١) الوجودية والإسلام ص٢٦ – ٢٧ للأستاذ محمد البوهي

(٢) الإسلام والدعوات الهدامة ص٤٦٠.

وفي الفلسفة الحديثة جاء ديكارت يشير إلي سبق الماهية أو الفكرة علي الوجود المـــادي فقـــال بوجود نابع عن الفكر (أنا أفكر إذا أنا موجود) وجاء بعده كانت فنقد لخلطه بين مرتبة الفكـــر ومرتبة الوجود فكانت هو أول من حاول أن يعزل الماهية عن الوجود. (١)

أما الوجود والماهية عند الوجوديين فإن الوجود عندهم سابق علي الماهية يقول عبـــد المنعـــم الحفني (والوجوديون جميعاً يبدءون من بداية واحدة هي أن الوجود ابق علي الماهية. (٢)

والماهية عندهم هي ما يتصوره الفرد عن نفسه وما يريد أن يحققه في الواقع الحـــي والجـــود عندهم ليس تصور في الذهن ولكنه خروج من التصور إلي الواقع المحسوس.

وإذا أردنا أن نضرب مثلاً نوضح به مسألة الوجود والماهية فإننا نقول : عندما يريد المـــهندس أن يقيم عمارة فإنه يتخيل أولاً الوضع التصميمي الذي ستكون عليه تلك العمارة ٠٠ ارتفاعـــها عدد طوابقها أحجام حجراتها ألوانها نوع زجاجها إلي كل ما يتصل بها حتى الأشياء الكماليـــة فيها من بروز ونقوش وغير ذلك مما يجعل العمارة قائمة في ذهنه صورة متكاملة يضعها بعـــد ذلك علي الورق ثم ينقلها تنفيذياً علي الطبيعة ، هذه الفكرة عن العمارة هي صورتها تصميمـــها للوضع الذي ستصير عليه بعد وجودها ، ثم إن كينونة الشيء هي وجوده بينما الفكرة التي أقيـــم علي مثالها هي الصورة أو المثال وبين هذين الأمرين الصورة والكينونة تذهب الفلسفة وتجـــئ وقد اجمع كثير من الفلاسفة علي أن الصورة تسبق الوجود ، وأن وجود الشـــيء دليـــل علـــي وجود مثالي تصوري له سابق عليه ، ولكن الفلسفة الوجودية تقوم علي عكس ذلك فهي لا ترى أن هناك صورة مثالية سابقة علي الوجود.

كتب سارتر زعيم الوجودية يقول : " إن وجود الإنسان سابق علي ماهيته " ثم فسر عبارته تلـك بقوله " نحن نعني بهذا أن الإنسان يوجد أولاً ، ثم يتم تحديد فيما بعد بواسطته هو لأنه هو الـذي يصنع نفسه." (٣)

ويتساءل سار تر قائلاً: ما معني كون الوجود يسبق الجوهر أو الفكرة المجردة ؟

ثم يقول : إن ذلك يعني أن الإنسان يوجد قبل كل شئ ، يصادف ويظهر في الطبيعة والكون ومن ثـــم يحدد ويعرف ٠٠ الإنسان ليس فقط موجوداً كما يتصور وجود نفسه ، بل كما يريد وجود نفسه ،

---

(١)سورين كير كجارد د/ علي محمد ص٨٤

(٢)الوجودية مذهب إنساني ص٤٤ – ٤٥

(٣) تاريخ الوجودية محمد سعيد العشماوي ص٩٩ نقلاً عن الوجودية في ميزان الإسلام ص٢٠

وكما يتصور وجود نفسه بعد أن تكون هذه النفس قد وجدت والإنسان هو خـالق لنفسـه لأنـه وحده متصور لها. (١)

ويعلل سارتر بضرورة ذلك بحرية الإرادة حيث يدعي أنه ليست هناك ماهية للإنسان خلقها الله من قبل ، وفرض علي الإنسان أن يسير إليها بجهده ، إنما الأمر كله رهـن بمشـيئة الفـرد ، وإرادته يبتدع ما يعن له من قيم ، ويخلق ما يريد من مبادئ لأن وجوده سابق علـي أي مثـال ينزع إليه أما أن تصور وجود ذلك المثال أو خيل إليه وجود إله مهيمن علـي أفعالـه ، فإنمـا يكون قد قصد التخلي عن طريقة:

والتنصل من إرادته وترك وجوده لحرية الواقع تجري علي أي تيار بجمله (٢)

وهكذا يتصور سارتر أنه يسبق الوجود علي الماهية يكون الإنسان حراً ومسئولاً مسئولية تامـة عن أفعاله ، وعن مستقبله وأنه لن يكون شيئاً إلا إذا أراد وصمم وعمل ، وقذف بنفسـه إلـي المستقبل ، وحقق وجوده في عالم المادة.

والواقع أن سارتر قد خلط بين ماهية الشيء وهويته ، فالماهية : هي ما به الشيء هو هو (٣) والهوية حقيقة الشيء من حيث غيره عن غيره (٤)

فأنا قبل أن أوجد كانت ماهيتي وحقيقتي سابقة لوجودي فالإنسانية كمعني كلـي موجـود قبـل وجود الأفراد ثم وجدت وبعد أن وجدت بدأت طريقي في الحياة وكونت هويتي أو شـخصيتي ، فالإنسان يوجد أولاً ثم توجد هويته بعد ذلك ، هل هو إنسان صاحب موقف وصـاحب رأي أو معه يسير مع الناس حيث ساروا هل هو إنسان لا يقبل الزلة أم ذليل يقبل الضيـم ، هـل هـو إنسان صادق أم كاذب ، وهكذا فهوية الإنسان ومشخصاته تتكون بعد وجوده لكن الماهية سـابقة علي الوجود وهذا ما عجز عن فهمه سارتر أو أنه خلط علي الناس وأوهمهم بما يقـول عـن قصد. (٥)

وفيما يبدو أن الوجودية الملحدة اتخذت من القول بأسبقية الوجود علي الماهية لإنكار وجـود الله وكونه خالقاً وصانعاً.

يقول سارتر " هكذا يصح الاعتقاد أنه لا توجد طبيعة إنسانية لأنه لا يوجد إله خالق ليتصورهـا في ذهنه ومن ثم يعمد إلي خلق الإنسان بناء علي تصوره لتلك الطبيعة. " (٦)

---

(١) المعجم الفلسفي ص٤٦١ ، (٢) نفسه ص٢٠٨ (٣) الوجودية في ميزان الإسلام ص٢١

(٤) الوجودية مذهب إنساني ص٤٤-٤٥

(٥) الوجودية مذهب إنساني ص٤٥-٤٦ (٦) المصدر نفسه ص٥٥

وقول الوجوديين بأن الإنسان يصنع نفسه ، قول يجعل الإنسان لا يرتبط بغير شخصه ذاته ... وجوده ... لا تربطه بفكرة مثالية سابقة أو تقيم له صورة للإنسان الكامل أو الفاضل الذي يجاهد أن يحققها في نفسه .. فلا ارتباط عندهم بين الإنسان من حيث هو كائن فعلاً ، وبين الصورة الأصلية للإنسان المثالي ولا ريب أن فصل هذا الارتباط يكسب الإنسان اضطراباً وقلقاً ، لأنه لا يربط وجوده إلي أصول ثابتة ولا يلتزم طريقاً مطروقاً كالسيارة التي تنطلق دون أن تسير في طريق معلوم ولا صلة تربطها بالسيارات الأخرى التي تنطلق في قافلة الحياة ، إنها قد تتشابك وقد تتصادم وقد يحطم بعضها بعضاً دون أن تفكر في تعديل سيرها.

الإنسان في الوجودية.

إن كل إنسان في الوجودية له أهدافه الخاصة دون أن يكون له موجه من كتاب أو سنة ، ليأخذ بيده ودون أن يكون له مصباح ينير له دروب الحياة المظلمة فالإنسان غير مرتبط بصورة سابقة لوجوده ، عمارة قائمة بذاتها لا صلة لها بالمهندس الذي أقامها ولا تعترف به ولا بالتصميم الذي أقامها علي صورته ورسمه ، بل هذه العمارة تهندس نفسها منذ اكتشف وجودها وعليها أن تخلق عالمها.

يقول سارتر (الإنسان ليس قبل كل شئ إلا مشروعاً ،وهو مشروع يعيش بذاته ولذاته وهذا المشروع سابق في وجوده لكل ما عداه ، ولا يوجد شئ تستطيع السماء أن تتصوره أو تتخيله فالإنسان هو ما شرع في أن يكون لا ما أراد أن يكون.) (١) والوجودي يعتبر أيضاً أن الإنسان لن يجد عوناً في هذه الأرض ولن يجد ما يهدمه ، ويحدد له معالم سيره ، لأنه يؤمن بأن علي الإنسان أن يفسر هذه المعالم التي هي أشبه بالطلاسم وأن عليه أن يحلها بطريقته الخاصة فهو يعتبر إذن أن الإنسان مدعو في كل لحظة لاختراع الإنسان.(٢)

فالفرد الوجودي غير مكلف بالأخذ بتقليد سابق أو التمسك بعرف متبع أو النزول عند توجيهات سالف ، لأنه مقطوع الصلة بكل ذلك ، وقد بدأت دنياه المستقلة المنفردة داخل موقعته الذاتية منذ أحست هذه الذات بوجودها علي الأرض فقط ولا شئ غير هذا وعليه وحده أن يختار وفقاً لما يري حلاً لمشاكله وأن يرسم طرق السير في مسالكه لكن هذا الاختيار الذاتي هو الصورة التي يحققها لنفسه فالوجود أولاً من هذا الوجود تنبثق الصورة التي يجب أن يصنع حياته عليها. (٣)

---

(١) الوجودية مذهب انساني ص٤٥-٤٦

~~(١) الوجودية والإسلام ص١٠-١١~~ (٢) المصدر نفسه ص٥٥

(٣) ~~سورة ص آية ٧١~~ الوجودية والإسلام ص١٠-١١

ح٥

والوجودية بذلك تدعو إلي الكسل والخمول والكآبة والقلق والاضطـــراب والجبـــن والضعـــف والميوعةوالفسق والانحلال والشذوذ وغير ذلك من الصفات التي تؤدي إلي قطع العلاقات التـــي بين البشر والتي بينهم وبين الله الخالق ، مما يؤدي إلي تحطيم المجتمعات.

وأين هذا من موقف الإسلام من الإنسان.

فالإنسان في الإسلام مخلوق الله عز وجل ، الله خالقه ورازقه قال الله تعـــالى " إذ قـــال ربـــك للملائكة إني خالق بشراً من طين " (١)

والإنسان مكرم بتكريم الله عز وجل " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقنـــاهم من الطيبات وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلاً " (٢)

والإنسان في الإسلام وجد لغاية وخلقه الله تعالى لمهمة جليلة هي مهمة الخلافـــة فـــي الأرض والقيام بحق العبودية لله عز وجل : قال تعالى : " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " (٣)

وقال تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " (٤)

ومنحه حرية الاختيار ، وأعطاه الإرادة ليفرق بين الحق والباطل بين الفجور والتقوى " ونفـــس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها " (٥)

ولكنها الوجودية التي تدعو الشباب الباحث عن اللذة إلي الانغماس والعب من كؤوسها وإطـــراح كل ما يدعو إلي العفة أو الخلق أو الدين.

(١) سورة ص آية ٧١

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠

(٣) سورة البقرة آية ٣٠

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦

(٥) سورة الشمس الآيات ٧ - ١٠

٢٠٦